الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية
Faculté des sciences humaines et de la civilisation islamique
www.univ-oran.dz
جامعة وهران
Université d'Oran

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية

قسم الحضارة الإسلامية

المساهمة العلمية لمتصوفة بايلك الغرب خلال القرنين (11-12هـ/17-18م)

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الحضارة الإسلامية

إعداد الطالب: **حمدادو بن عمر**

إشراف: **أ.د عبد المجيد بن نعمية**

لجنة المناقشة:

بن معمر محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران	رئيسا
بن نعمية عبد المجيد	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران	مقررا
سلطاني الجيلالي	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران	مناقشا
حساني مختار	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر2	مناقشا
خلواتي صحراوي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة سعيدة	مناقشا
بوشنافي محمد	أستاذ محاضر "أ"	جامعة سيدي بلعباس	مناقشا

السنة الجامعية: 2012 - 2013

بسم الله

الرحمن الرحيم

قَـبَس

" إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ
"

سورة فاطر، الآية: **28**.

قـائـمة

المـختـصرات

قائمة المختصرات

أ- باللغة العربية:

الرمز	التسمية
الخ	إلى آخره
ج	الجزء
دت	دون تاريخ
دط	دون طبعة
هـ	التاريخ الهجري
م	التاريخ الميلادي
مج	مجلد
ع	العدد
ص	صفحة
ص ص	من صفحة كذا إلى صفحة كذا
ش.و.ن.ت	الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
ت	توفي
تح	تحقيق
تق	تقديم

ب- باللغة الفرنسية:

الرمز	التسمية
Ibid:	المصدر نفسه
N°:Numéro	العدد
Op.cit:	المصدر السابق
O.P.U:Office des Publications Universitaires, Alger.	ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر
P:Page	الصفحة
PP:	من صفحة كذا إلى صفحة كذا
R.A:Revue Africaine	المجلة الإفريقية
S.N.E.D:Société Nationale d'édition et de diffusion, Alger.	الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
T:Tome	الجزء
V: Volume	المجلد

الإهداء

إلى روح والدي وولدي

إلى روح جدّي وإلى جدّتي الكريمة

إلى الوالدة الكريمة...إلى عمتي الغالية

إلى صهري بوسلاح بوعلام

إلى رفيقة دربي...زوجتي

إلى إخوتي

إلى برعمتي الصغيرة...ابنتي هاجر

إلى روح الشيخ البشير محمودي، والشيخ مصطفى بن محي الدين، والشيخ بن زرام وذان

إلى أستاذي وشيخي المشرف أ.د عبد المجيد بن نعمية

إلى الحاج الجيلالي الزاوي، والحاج عبد الكريم المشرفي وأسرته الكريمة

إلى أعضاء لجنة المناقشة كل باسمه

إلى أساتذتي وزملائي الأساتذة

إلى كل هؤلاء أقدم هذا العمل المتواضع اعترافا بحقهم وإقرارا بفضلهم، وإشادة بذكرهم، وتمتينا للوشائج التي تربطني بهم.

شكر وتقدير

بحبور متدفق أتقدم بشكري الجزيل إلى كل المساهمين في إثراء هذا البحث المتواضع بحسن توجيههم، وحصيف إرشادهم، ويأتي في الطليعة أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور بن نعمية عبد المجيد الذي أغنى العمل بملاحظاته الدقيقة، ونصائحه العميقة، فقوم اعوجاجه، وأنار سبيله، وذلل صعابه.

وبإكبار فائق لا يسعني إلا أن أنّوه بالتشجيع الذي خصّني به ثلة من الأساتذة الفضلاء المبجلين الذين ما قصروا في تحفيزي على المضي في الكتابة والاسترسال في البحث، مقدمين بذلك دعما معنويا لن أنساه: الأستاذ الدكتور بن معمر محمد، والأستاذ الدكتور سلطاني الجيلالي، الدكتور ابراهيم مهديد، الأستاذ الدكتور فغرور دحو، الأستاذ الدكتور موفقس محمد، الدكتور غازي الشمري.

وبامتنان وافر أزجي خالص التحية إلى كل الذين قدموا لي وللدراسة مساعدة ودعما: عائلة الشيخ البشير محمودي، عائلة الشيخ بن زرام وذان، عائلة الشيخ مصطفى بن محي الدين، الشيخ أبو عبد الله شراك، الدكتور الشيخ أبو عبد الله غلام الله، الدكتور حسن صادقي، الشيخ كرار محمد.

كما أتوجه بخالص شكري إلى أعضاء لجنة المناقشة أ.د بن معمر محمد، أد. سلطاني الجيلالي، أ.د حساني مختار، د. خلواتي صحراوي، د. بوشنافي محمد.

كما لا أنسى عمال المكتبة الوطنية الجزائرية، والمكتبة الوطنية المغربية، ومكتبة مؤسسة آل سعود بالدار البيضاء بالمغرب، والمكتبة السليمانية باسطنبول، ومكتبة كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية بجامعة وهران. ومكتبة كلية

الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، والخزانة الصبيحية، وخزانة مؤسسة علال الفاسي بالرباط. إلى كل هؤلاء فائق التقدير، ووافر الاحترام، وعظيم الامتنان.

مقدمة

مقدمة

يتعلق الموضوع الذي نحن بصدد دراسته، حول دور المتصوفة كفئة اجتماعية وحركة دينية وتيار علمي في الحياة الفكرية والعلمية ببايلك الغرب، من خلال رصد مساهمتهم العلمية بالجرد والإحصاء والتحليل والنقد لهذا الإنتاج العلمي في كل جوانبه. هذا الرصيد الممثل في المخطوطات والكتب التي طبعت في الوقت الحاضر.

ومن خلال مجموعة من البحوث والدراسات التي تناولت موضوع الحركة الثقافية والفكرية بالجزائر خلال العهد العثماني، وعلاقتها بالنظام السياسي السائد آنذاك. يتضح لنا مدى ازدهار تلك الحركة العلمية، وذلك لمؤازرة السلطة العثمانية للمتصوفة وشيوخ الطرق الصوفية في بداية الحكم العثماني لإيالة الجزائر. وذلك نتيجة التحالف الاستراتيجي بين خير الدين وبعض زعماء المتصوفة مثل أحمد بن يوسف الملياني.

ونتيجة لذلك الجو السائد آنذاك ازدهرت بعض الحواضر العلمية وأصبحت مركز إشعاع فكري وعلمي، والتي لتزال آثارها باقية إلى حد اليوم مثل حاضرة مازونة، وحاضرة الراشدية.

ولإبراز مظاهر الحركة العلمية لمتصوفة بايلك الغرب استندنا إلى مجموعة من البراهين والدلائل التي تدل وتعبّر عن وجود تلك المظاهر التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة والتي تمثلت أساسا كما ذكرنا في الحواضر العلمية وأهم المتصوفة وإنتاجهم الفكري والأدبي.

ومن أجل معرفة الحركة الثقافية في بايلك الغرب والمساهمة العلمية للمتصوفة في الحركة الفكرية والأدبية خلال العهد العثماني، وقع اختيارنا على

موضوع " المساهمة العلمية لمتصوفة بايلك الغرب خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين(17و18م)"، وقد اتخذنا من إنتاجهم الفكري والأدبي محورا للدراسة في فترة لا تتعدى قرنين من الزمن، تتبعنا فيها الانجازات الثقافية والعلمية لمتصوفة بايلك الغرب. وإنتاجهم الفكري والحضاري، وذلك سعيا منا للكشف عن الأهمية التي اكتسبها متصوفة بايلك الغرب ودور الحواضر العلمية كمراكز ثقافية ساهمت في إثراء الحركة العلمية الصوفية.

والدارس يلاحظ نقصا كبيرا في هذا المجال المتميز بالاختصار والتحليل السطحي. وبالتالي جاءت هذه الدراسة لسدّ ثغرة من الثغرات في هذا الجانب. على أنّ أهمية البحث لا تكمن في استعراض تاريخ بايلك الغرب بقدر ما هي دراسة تحليلية نقدية لتراث المتصوفة العلمي.

ومن الأسباب التي دفعتنا لتناول هذا الموضوع بالدراسة والتحليل نذكر على سبيل المثال:

- رصد التراث العلمي والفكري لمتصوفة بايلك الغرب.
- إظهار الحياة الثقافية ببايلك الغرب من خلال إسهامات متصوفة البايلك في شتى العلوم والفنون، والدور الذي قام به بايات الغرب في إعطاء المكانة اللائقة بهؤلاء المتصوفة وبالقيمة السياسية والثقافية للمنطقة الغربية.
- قلة البحوث والدراسات الأكاديمية حول موضوع المساهمة العلمية لمتصوفة بايلك الغرب وبالخصوص خلال القرنين(11-12هـ/17-18م). الأمر الذي شجعنا للخوض في دراسة هذا الموضوع خاصة وأنّ أغلب ما ألفه متصوفة الغرب لا يزال مخطوطا.

وكما هو معروف عن السالك في طريق التصوف، فهو مجبر على التنقل والترحال بحثا عن الحقيقة وشيخ السلوك(شيخ التربية، القدوة)؛ وهذا ما ساعد فئة المتصوفة من كسب معارف وعلوم من منابع متعددة، كان لها آثار على إنتاجهم الفكري والعلمي.

وتتمثل إشكالية هذه الدراسة في رصد مظاهر وأشكال مساهمة المتصوفة في الحركة العلمية خلال القرنين(11-12هـ/17-18م) ببايلك الغرب، من خلال الجرد والإحصاء والتحليل والنقد لهذا التراث المادي، والمتمثل في المؤلفات والمصنفات المخطوطة والمطبوعة.

ولهذا فقد جاء البحث للإجابة عن هذه الإشكالية وعن مجموعة من التساؤلات الأخرى وأهمّها:

- ما هو الطابع العام الذي ميّز الحياة الثقافية والفكرية خلال العهد العثماني بإيالة الجزائر عموما وببايلك الغرب خصوصا؟ وما علاقة الحركة الصوفية بالمساهمة العلمية لهؤلاء المتصوفة؟. وما هو الدور العلمي الذي لعبه متصوفة بايلك الغرب خلال القرنين(11-12هـ/17-18م)؟.

- كيف أثر ذلك الوضع على حواضر البايلك الغربي وباقي حواضر البايلك الأخرى؟. وبماذا امتازت مصنفات المتصوفة العلمية؟.

- كيف تميز هذا الرصيد الفكري والعلمي من حيث اصطباغه بلون معين من حيث المنهجية والبناء والطرح؟.

- تأثير الوضع السياسي الخارجي خاصة الاحتلال الاسباني وغاراته المفاجئة على ثغور الجزائر. وهو ما أدى إلى نشوء حركة صوفية رباطية تمثلت في رباطات عديدة على كامل الثغور الساحلية لبايلك الغرب، وأدى هذا أيضا إلى

نشوء تحالف استراتيجي بين السلطة العثمانية والمتصوفة للدفاع عن الثغور بالجزائر.

- كيف أثر تنوع المشارب الصوفية (المدارس والشيوخ) على تنوع هذا الإنتاج والخصوصيات التي تميز بها؟.

كما تعالج الدراسة معضلة السلطة المركزية العثمانية وعلاقتها بالحياة الثقافية ببايلك الغرب من جهة، ومدى انعكاس التطورات السياسية والاقتصادية عليها. وهل كان عدم اهتمام السلطة العثمانية عموما بالحياة الثقافية والفكرية بإيالة الجزائر عاملا سلبيا، ممّا كان له أثر بالغ على إمكانية بروز ثلة من المتصوفة والعلماء؟. وهل ارتقت مساهمة متصوفة بايلك الغرب العلمية إلى مستوى مساهمة متصوفة باقي البايلكات الأخرى؟ ومن ثم إلى مستوى مساهمة متصوفة الحواضر العلمية المجاورة؟.

لابد من التنويه بأن التيارات الفكرية والاتجاهات الثقافية المختلفة والتنقلات البشرية المتنوعة الوافدة من بايلكات أخرى أحيانا، ومن الحواضر العلمية المجاورة أحيانا أخرى. كان لها بالغ الأثر على المتصوفة ببايلك الغرب؛ وهو ما جعلها تصطبغ بالحركة الصوفية. وهو الوضع الذي جعل المساهمة والتلاقح الثقافي بين بايلك الغرب وباقي البايلكات أمرا محتوما.

وللإجابة عن إشكالية البحث وتساؤلاته كان الاعتماد على منهج تاريخي يقوم أساسا على التحليل والتعليل والنقد والاستنتاج، ويحاول تفسير المتون والمصنفات ويناقشها وفق رؤية علمية نزيهة. وقد تمّ التركيز في هذه الدراسة على التعامل المباشر مع النصوص المستقاة من مصادرها الأصلية المتعلقة بالموضوع، والتي في غالبيتها مصادر مخطوطة.

ومما لاشك فيه أنّ من يتصدى لهذا الكم من الإنتاج المعرفي لهؤلاء المتصوفة جمعا، ووصفا وتصنيفا وتبويبا، ودرسا، ونقدا، أن يواجهه عدد من

الصعوبات متعلقة أساسا بتنوع مجالات العلوم التي تمّ تناولها خاصة مع وجود مصطلحات ومفاهيم خاصة للعلوم الفقهية والعقدية. لقد تم استقراء وتحليل تلك المصنفات العلمية آخذين بعين الاعتبار طبيعة الموضوع وواقع وبيئة الفترة المدروسة.

ومن الصعوبات الأخرى التي يمكن الإشارة إليها صعوبة الحصول على مجموعة من المخطوطات والوثائق الرسمية التي تخص فترة الدراسة. سيما ما تعلق منها بالحياة الثقافية والفكرية. لقد أخذ منا هذا الموضوع جهدا كبيرا ووقتا طويلا.

إنّ المادة التاريخية المخطوطة المستعملة في هذا البحث، تمثلت أساسا في مساهمات متصوفة بايلك الغرب في مختلف العلوم والمعارف. فقد احتفظت لنا رفوف بعض الخزائن الخاصة والعامة بجزء منها، تمّ توظيفها ضمن نطاق الدراسة، من بينها مصنفات أبي راس الناصر المعسكري، وأبي حامد العربي المشرفي، ومصطفى الرماصي، وعبد الله بن زرفة الدحاوي، ومحمد بن حوا المستغانمي.

وميزة التراث الجزائري المخطوط، أن بعضه قد فقد لاسيما تلك المصادر المخطوطة، وهذا نتيجة لظروف سياسية واقتصادية واجتماعية قاهرة، كالاستعمار الفرنسي والمجاعات والأوبئة العديدة التي أجبرت الكثير على الترحال من منطقة لأخرى. ولعلّ من الأمثلة على ذلك ذيل القرطاس في ملوك بني وطاس، ومروج الذهب في نبذة من النسب ومن إلى الشرف انتمى وذهب لأبي راس الناصر.

إنّ جلّ المادة المستعملة في هذه الدراسة مستقاة من مصادر مخطوطة في مختلف العلوم والمعارف، وهو ما صعّب المهمة أمام الباحث في التعامل مع المصنفات المخطوطة التي ألفها متصوفة بايلك الغرب، إلى جانب الاستعانة ببعض الدراسات الفرنسية التي تخدم موضوع البحث كالتي حوتها المجلة

الإفريقية. كما أن وجود بعض المراجع المعاصرة التي حاولت رسم صورة واضحة عن الإنتاج العلمي لمتصوفة بايلك الغرب الذي انعكس بصورة واضحة على حياة المتصوفة العلمية. إلاّ أن مادتها شحيحة وغير كافية، وغير منصفة في بعض الأحيان. باستثناء بعض المراجع والمقالات التي حاولت إعطاء صورة تقريبية عن حياة هؤلاء المتصوفة والتعريف بجزء من تراثهم المعرفي. وفي غالبيتها دراسات عرضية وسطحية.

ومن أهم المصادر المخطوطة والمطبوعة التي تمّ الاعتماد عليها نذكر:

1.نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار، تنفي عن المتكاسل الوسن، في مناقب سيدي أحمد بن محمد وولده الحسن، لصاحبه أبو حامد العربي المشرفي، وهو كتاب مهم يتناول فترة نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر الميلادي، خصوصا رحلته إلى منطقة سوس التي قادته إلى زيارة زاوية تيمكدشت لكتابة مناقب وكرامات شيخيه الصوفيين أحمد بن محمد التمكدشتي الميموني وابنه أبي علي الحسن. وقد استفدنا منه في مجال المناقب التي كانت معروفة آنذاك. وقد قسمه إلى سبعة أبواب.

2.ذخيرة الأواخر والأول فيما يتضمن من أخبار الدول، لأبي حامد العربي المشرفي، وهو تأليف مهم يجمع بين التاريخ العام والرحلة، دون فيه صاحبه ملاحظاته عن رحلته من المغرب إلى الجزائر. وقد قسمه إلى ستة أبواب. وقد أفادنا هذا الكتاب في معرفة الوضع العام الذي كان عليه متصوفة بايلك الغرب خلال فترة الدراسة.

3.الكوكب الثاقب في أسانيد الشيخ أبي طالب، لصاحبه عبد القادر بن المختار الخطابي الجزائري، وهو كتاب مهم، استفدنا منه في مجال الإجازات العلمية التي اشتهر بها المتصوفة نظرا لاطلاعهم الواسع ومعرفتهم للعلوم اللغوية والأدبية والفقهية. وقد أهلتهم ثقافتهم الواسعة واتصالاتهم بعلماء ومتصوفة المشرق

والمغرب على حفظ العلوم، وكانت حافظتهم القوية من استقطاب الفنون والعلوم فتنوعت بذلك إجازاتهم العلمية للطلبة بمدارس بايلك الغرب المختلفة من إجازات رواية إلى إجازات تزكية.

4. القول الأحوط في أسماء الكتب المتداولة في المغرب الأقصى والأوسط: للحرشاوي الندرومي، والذي يعد وثيقة مهمة في جرد الإنتاج الفكري والعلمي للعلماء في فن من الفنون، كما ضمنه إنتاج متصوفة بايلك الغرب في تلك الفنون المختلفة.

5. **ياقوتة النسب الوهاجة وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة:** لصاحبه أبي حامد العربي المشرفي، وهو من المخطوطات الأساسية التي زودت موضوع بحثنا بمادة علمية مهمة، كونها اشتملت على ذكر العديد من الأسر العلمية التي أنجبت عدد كبير من المتصوفة الذين كان لهم باع كبير في مجال العلم والمعرفة ببايلك الغرب. كما اتضحت أهميته من خلال تقديمه لمعلومات هامة عن علماء وفقهاء ومتصوفة البايلك المذكور.

6. **فتح الرحمن على شرح عقد الجمان النفيس،** لصاحبه محمد بن أبي القاسم الجوزي المزيلي الراشدي، وهو من المخطوطات المهمة التي تناولت التعريف بعدد من المتصوفة والترجمة لهم، زيادة على كونه مخطوط يهتم بأنساب الناحية الغربية من الوطن، وأهم الأسر الشريفة.

ومن المصادر المطبوعة التي تم الاعتماد عليها في مجال الدراسة:

1. **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار:** لصاحبه أبو راس الناصر المعسكري وهو يتناول فترة نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر الميلادي، خصوصا ما تعلق بالتواجد الإسباني ببايلك الغرب، وإذا كان المخطوط قد صنّف ضمن الأعمال الأدبية؛ فإنه تمّ توظيفه تاريخيا في مواضع كثيرة من البحث أهمّها

فتح وهران الثاني (1206هـ/1792م). وكذلك ضمن المساهمة العلمية في مجال الكتابات التاريخية المحلية. كما أنه مصدر مهم حوى الكثير من الإشارات التاريخية المتعلقة بوضعية الثقافة وحال المتصوفة آنذاك وذكر خصائل الباي محمد بن عثمان الكبير

2. **الحلل السندسية في فتح وهران والجزيرة الأندلسية:** يعد هذا المخطوط من نوادر ما ألفه أبو راس الناصر، كونه شرح نثري لقصيدة نظمّها المؤلّف بمناسبة فتح وهران الثاني، الذي أدى إلى رسم صورة واضحة المعالم عن مآثر الباي محمد بن عثمان الكبير ودوره في تحرير مدينة وهران وانعكاس ذلك على بايلك الغرب.

3. **الرحلة القمرية في السيرة المحمدية:** لابن زرفة أبو مصطفى بن عبد الله بن عبد الرحمن الدحاوي، وقد احتوت على جزأين، لا يزال الجزء الثاني منها مفقودا، رغم أهميته في ذكر وقائع فتح وهران الثاني، ورغم أن صاحب المخطوط كان كاتبا لدى الباي محمد بن عثمان الكبير ومادحا له ومخلدا لمآثره، إلاّ أنه لا يخلو من حقائق تاريخية هامّة، قلمّا نجدها في باقي المصادر الأخرى مما جعلتها تخدم موضوع بحثنا بطريقة أو بأخرى، فقد أعطت صورة حية ووصفية عن وقائع هذا الفتح ورباطه.

4. **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني:** لابن سحنون الراشدي، لمحققه المهدي البوعبدلي، لقد كان ابن سحنون من المقربين لدى الباي محمد بن عثمان الكبير، ورغم أن الكتاب يندرج ضمن الأعمال الأدبية، إذ أنه يشرح قصيدة مادحة ومخلدة لسيرة الباي المذكور، إلاّ أنّ أهميته التاريخية لا يمكن تجاوزها بأي حال من الأحوال، فقد خدم موضوع الدراسة من جانب الحركة العلمية ببايلك الغرب، كما أنه يعطي لمحة موجزة عن الرباط ودروه في فتح وهران الثاني، ونشاط متصوفة بايلك الغرب العلمي، ومن هنا يعتبر مصدرا فريدا ضمن مجاله البحثي.

5. دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران: لمحمد بن يوسف الزياني، والذي أفادنا في ذكر وتتبع مراحل الفتح الأكبر على يد الباي محمد بن عثمان الكبير، وطرد الإسبان من منطقتي وهران والمرسى الكبير. فهو يدخل ضمن موضوعات الكتابات التاريخية المحلية.

6. تاريخ بايات وهران المتأخر أو خاتمة أنيس الغريب والمسافر: لمسلم بن عبد القادر الوهراني، لمحققه محمد بن عبد الكريم الجزائري، يعد هذا المصدر من بين المصادر الغنية بالإشارات والمعلومات التاريخية المتعلقة بسياسة البايات الداخلية، وتزداد أهميته الكبيرة في كونه يعرف بأهم بايات ببايلك الغرب ويترجم لهم. ولذلك جاء مصدرا فريدا في بابه لعدم توفر هذه التراجم في مصادر أخرى.

7. بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر: لعبد القادر المشرفي، فقد كان الاعتماد عليه ضمن موضوع الكتابات التاريخية المحلية، فقد وردت فيه إشارات تاريخية مهمة جدا، تمثلت أساسا في عرض عام حول القبائل المتعاونة مع الإسبان بوهران ببايلك الغرب. كما عمد صاحبه إلى ذكر نسب تلك القبائل والمجال الجغرافي الذي تنتمي إليه والتطرق إلى بعض عشائرها.

8. رحلة ابن هطال التلمساني المسمّاة: رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري: لأحمد بن هطّال التلمساني أحد كتّاب الباي محمد الكبير، وتكمن أهميته في كونه المصدر الوحيد الذي دوّن أحداث غزو الباي محمد الكبير لقبائل الهضاب العليا في جنوب بايلك الغرب؛ وقد تمّ الاستفادة منه في التعرض إلى مساهمات متصوفة بايلك الغرب العلمية وبالتحديد ضمن موضوع الكتابات التاريخية المحلية.

9. طلوع سعد السعود: للآغا بن عودة المزاري، لمحققه يحي بوعزيز؛ والذي أمدنا بمعلومات هامّة عن أهم الأحداث التي شهدها بايلك الغرب وأهم المتصوفة ومدحهم للباي محمد الكبير؛ والإشادة بمآثره، سيما فتح وهران الثاني(1206هـ-1792م).

10. مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر: للحاج أحمد الشريف الزهار، لمحققه عبد الحميد حاجيات، وتكمن أهمية هذا المصدر كونه حفل بمعلومات تاريخية هامّة كان لها علاقة بموضوع الدراسة، لاسيما الأحداث التي لها علاقة ببايات بايلك الغرب بالسلطة المركزية.

ومن أهم المراجع التي تم الاعتماد عليها ضمن موضوع الدراسة كتاب تاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله، الذي تناول فيه الحياة الثقافية والفكرية والأدبية خلال العهد العثماني كالتعليم والتأليف والتصوف والعلوم والفنون، من هنا كان تركيزنا عليه كبيرا جدا. ومما زاد في أهمية هذا الكتاب هو اعتماد صاحبه على بعض المصادر المخطوطة المتنوعة التي لم نتمكن من الحصول عليها. وفق نظرة تحليلية وصفية في بعض الأحيان، مع مناقشة تلك المعلومات التي يوردها ويجتهد أحيانا في توضيح ملابساتها.

غير أنّ هناك بعض المخطوطات التي اعتبرها أبو القاسم سعد الله في حكم المفقود، قد تم إيجاد بعضها واستعمالها في هذه الدراسة. زيادة على أنّ تاريخ الجزائر الثقافي لا يذكر مادة ذلك المخطوط، وإنما يكتفي بالتنويه به وبذكر مكان تواجده بالمكتبات.

كما كانت لكتابات يحي بوعزيز حضور كبير في هذا البحث، خاصة كتابه أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، حيث أعطى صورة واضحة عن معالم الثقافة والعلم خلال العهد العثماني ببايلك الغرب، فتكلم عن أهم المتصوفة

الذين برزوا في إنتاج علمي معين، كما تحدث أيضا عن موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر. غير أن كتابات يحي بوعزيز لم تعط لنا تفسيرات واضحة عن نصوص تلك المصنفات العلمية لمتصوفة بايلك الغرب، وإنما اكتفت بالإشارة إليها دون تحليل مظانها. إلى جانب كتابات كل من ناصر الدين سعيدوني ضمن كتابه أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، والمهدي البوعبدلي في كتابه الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ومحمد بن يوسف الزياني في كتابه دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، والتي وظفت ضمن مجال الدراسة.

ومن المراجع المهمّة أيضا التي تمّ الاعتماد عليها في هذه الدراسة بعض الأطروحات والرسائل الجامعية، مثل أطروحة دكتوراه للباحث صحرواي عبد القادر، حول التصوف والمتصوفة في الجزائر العثمانية ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر، والتي كان اعتمادنا عليها في مجال التصوف وأهم المتصوفة الذين برزوا خلال الفترة المدروسة. وكذلك أطروحة دكتوراه لمكحلي محمد، حول ثورات رجال الزوايا والطرقية في الجزائر خلال العهد العثماني1707-1827م، إلى جانب أطروحة دكتوراه لبوشنافي محمد، حول القضاء والقضاة في الجزائر في العهد العثماني (16-19م)، وأطروحة دكتوراه للباحث الحسين الفرقان، حول تناوله لمخطوط أقوال المطاعين في الطعن والطواعين للعربي المشرفي دراسة وتحقيقا، والتي أفادتنا كثيرا في حياة المؤلف وعصره، إلى جانب الإشارة إلى أهم مؤلفاته.

كما اعتمدنا كذلك على رسالة ماجستير للباحثة بعارسية صباح، حول حركة التصوف في الجزائر خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، والتي أفادتنا حول انتشار التصوف بإيالة الجزائر عموما وببايلك الغرب على وجه الخصوص، وأهم الطرق الصوفية الموجودة بها، ومذكرة ماجستير للباحث

بوجلال قدور، حول العلم والعلماء في بايلك الغرب(1711-1930م) معسكر ومازونة نموذجا، والتي استفدنا منها عند تناولنا لأهم المتصوفة والعلماء ببايلك الغرب، ومدى أهمية الحواضر العلمية آنذاك مثل مازونة والراشدية، إلى جانب بعض مذكرات الماجستير التي تصب في هذا الموضوع.

كما تمّ الاعتماد في هذه الدراسة على كتب التراجم مثل فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني، وكتاب تعريف الخلف برجال السلف لأبي القاسم الحفناوي، وكتاب الأعلام لخير الدين الزركلي، حيث تمت الاستعانة بهذه الكتب في التعريف وترجمة بعض الأعلام.

كما تمّ الاستئناس في هذه الدراسة ببعض الدراسات باللغة الفرنسية والتي تخدم الموضوع مثل:

Notice sur le Bey d'Oran : Mohamed El Kabîr

وهو عبارة عن مقال نشره صاحبه جورجوس(Gorguos) بالمجلة الإفريقية لعام 1856م، حيث زودتنا بمعلومات هامة عن الباي محمد الكبير وإنجازاته الثقافية.

كما يمكن الإشارة إلى بعض المراجع الأخرى في نفس السّياق، ومنها كتاب الجزائر قبل قرن من الاحتلال الفرنسي لصاحبه الدكتور شو:

Dr.Shaw, L'Algérie un siècle avant l'Occupation Française

ومقال: مارسيل بودان حول العرب الثاوين تحت الإسبان:

Marcel Bodin, L'Agrément du lecteur :Notice historique sur les arabes soumis aux espagnols pendant leur occupation d'Oran par si Abd el Kader El-Mecherfi.

وهناك مصادر جغرافية تمّ الاعتماد عليها في هذه الدراسة، في التعريف بالأقاليم والأماكن الجغرافية والمدن والآثار التاريخية الموجودة في مؤلفات المتصوفة العلمية، مثل: البلاذري في فتوح البلدان، والإدريسي في نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، وياقوت الحموي في معجم البلدان، والحميري في الروض المعطار في خبر الأقطار.

ومن المصادر الفقهية التي تمّ الرجوع إليها في ضبط بعض النصوص الفقهية والفتاوى والنوازل مختصر الشيخ خليل في الفقه المالكي والمعيار للونشريسي والدرر المكنونة في نوازل مازونة للمغيلي.(المخطوطة والمطبوعة).

كما تمّ الاعتماد على كتب التراجم والطبقات لما لها من أهمية في ترجمة وتعريف الشخصيات التاريخية مثل: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، والطبقات الكبرى لابن سعد، اللذان يعتبران من المصادر التاريخية الهامة في حياة الصحابة والتابعين والخلفاء والفقهاء ومنزلتهم السياسية والاجتماعية والعلمية.

وكذا كتاب الأعلام لخير الدين الزركلي الذي يمكن اعتباره موسوعة علمية وأدبية ألمّت بشخصيات تاريخية استفيد منها في مجال البحث، وكتاب تعريف الخلف برجال السلف لأبي القاسم الحفناوي الذي ترجم لعدد من علماء وفقهاء وأدباء الجزائر من العصور التاريخية الأولى حتى العصر الحديث، وشجرة النور الزكية لابن مخلوف الذي يعد هو الآخر من أهم المراجع المعتمدة في تراجم أعلام وعلماء المالكية في العالم الإسلامي عامة وفي المغرب الإسلامي خاصة، حيث قسّمه صاحبه حسب الطبقات.

وبفضل المادة التاريخية التي أمكن جمعها، تم إنجاز الموضوع ولمّ شتاته في مدخل وبابين، يتناول الأول مساهمة متصوفة بايلك الغرب العلمية في علوم الشريعة، ويتناول الباب الثاني جهودهم في التاريخ واللغة والأدب.

خصصّ الفصل الأول من الباب الأول لجهود المتصوفة العلمية في التوحيد والتصوف، وخصص الفصل الثاني للإنتاج العلمي لهؤلاء المتصوفة في علوم القرآن والحديث، كما تطرق الباحث في الفصل الثالث إلى إنتاج المتصوفة في مجال الفقه والنوازل والفتاوى.

أمّا الباب الثاني من الدراسة فخصص للمساهمة العلمية لمتصوفة بايلك الغرب في التاريخ واللغة والأدب، حيث عالج الفصل الأول إنتاج المتصوفة في التاريخ والتراجم والأنساب، وفي الفصل الثاني في علوم اللغة وفنون النثر الأدبي، وفي الفصل الثالث إنتاجهم في مجال الشعر.

وأخيرا انتهى البحث بخاتمة أوجز فيها الباحث ما توصل إليه من نتائج وأتبعها ببعض الملاحق تضمنت صورا من المساهمة العلمية لمتصوفة بايلك الغرب، إضافة إلى الفهارس مثل فهرس الأعلام، وفهرس الأماكن والبلدان، وفهرس الأشعار ثم قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية وأخيرا فهرس الموضوعات.

ونرجو في الأخير من الله العزيز القدير أن نكون قد وفقنا قدر المستطاع في تقديم الموضوع وتحقيقه ودراسته بالصورة التي ترضي كل باحث ومتخصص، ومهتم بتاريخ الجزائر العثمانية؛ لاسيما بالحياة الثقافية والفكرية. وأهيب بكل من يقف على أخطاء هذه الدراسة وتقصيراتها وهفواتها وأن يرشدني إلى الصواب ويعينني على تجنب الزلل. وأدعو الله أن يعدّ جهدي هذا من صالح العمل وهو الموفق والهادي إلى سبيل الرشاد.

المــدخل

مدخل تاريخي:

1- بايلك الغرب خلال القرنين(11-12هـ/17-18م):

إنّ البحث في تاريخ الجزائر الحديث مرتبط برسم صورة واضحة للمساهمة العلمية لمتصوفة بايلك الغرب خلال(11-12هـ/17-18م)، لكون المساهمة العلمية في تلك الفترة كانت لها آثار حاسمة وانعكاسات مباشرة على مجريات الأحداث السياسية والنظم الإدارية والاقتصادية.

ومن خلال البحوث والدراسات التي تناولت بالبحث موضوع الحركة الثقافية بالجزائر العثمانية، لوحظ نوع من المساهمة العلمية لمتصوفة ببايلك الغرب في شتى العلوم والفنون، ولعلّ مردّ ذلك إلى ظهور نخبة من البايات الذين حكموا الإقليم الغربي، والذين كانت لهم أيادي بيضاء في تشجيع العلماء والفقهاء وكسب هؤلاء المتصوفة إلى جانبهم من جهة، وإلى بعث الحركة العلمية والثقافية بصفة عامة.

وعليه حتى نعرف تلك المساهمة العلمية لهؤلاء المتصوفة كان لزاما أن نتناول حدود بايلك الغرب، وأهم أوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وأهم الطرق الصوفية المنتشرة به، وانعكاس كل ذلك على مساهمتهم العلمية.

أ- حدود بايلك الغرب:

من الضروري لدارس أي عهد من العهود التاريخية بمختلف علاقاته ومجالاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الثقافية، أن يبرز بداية المجال الجغرافي الذي يراد دراسته، هذا المجال الذي يقنن الروابط والصلات بين الأفراد والجماعات من جهة، وبين القاعدة والقمة من جهة ثانية. فالموقع الجغرافي والفلكي لبايلك الغرب –الجيواستراتيي، الذي تميز به بايلك الغرب؛ قد جعل منه

همزة وصل بين إقليمي بايلك التيطري[1] وبايلك الشرق[2]، فنظرا لأهميته السياسية كان محل أنظار وأطماع العديد من الدول كإسبانيا والبرتغال وفرنسا. وفي هذا الشأن يقول صاحب طلوع سعد السعود:"...في الحقيقة أنه هو الثاني في المرتبة لكون الترك تولوا على الجهة الغربية وجعلوا فيها بايا قبل الجهة الشرقية وقاعدته وهران"[3].

يمتد بايلك الغرب ما بين الحدود المغربية غربا وبايلك التيطري ودار السلطان شرقا، والبحر الأبيض المتوسط شمالا، والصحراء جنوبا[4]. وهناك من يعطي مجالا أدق في تحديده للبايلك وفق معطيات توفرت لديه مثل أرامبورو دون جوزيف (Aramburu Don–joseph) الذي يرى"على أن وادي الشلف يحد بايلك الغرب من الناحية الشرقية، وداي ملوية من الناحية الغربية، ومن الشمال البحر الأبيض المتوسط، ومن الجنوب الصحراء. وفي هذا الشأن يقول صالح عباد" لقد كان بايلك الغرب يمتد من الحدود المغربية إلى الحدود التي تفصله عن

[1]) بايلك التيطري: وعاصمته المدية، يعتبر أصغر البايلكات وأفقرها وأكثرها ارتباطا بالسلطة المركزية، تولى تنظيمه في عهد حسن باشا بن خير الدين(1540–1552م)، يحد هذا البايلك من الشمال الأطلس البليدي، ومن الجنوب الأطلس الصحراوي، ومن الغرب الشلف ومن الشرق جبال ونوغة. صالح عباد، الجزائر خلال العهد الحكم التركي، (1514–1830م)، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، ط1، 2005، ص:292.

[2]) بايلك الشرق: وعاصمته قسنطينة، يعد من أهم البايليكات من حيث مساحته وثرواته وحتى من حيث عمقه الجنوبي، به أراضي خصبة صالحة لزراعة الحبوب وأجود أشجار النخيل. يمتد من منطقة وادي سوف إلى البحر المتوسط، ومن الحدود التونسية إلى وسط جرجرة(جبال البيبان، سيدي هجرس، سيدي عيسى). لعب هذا البايلك دورا كبيرا في نراقبة إيالة تونس، كان تحت سلطة الباي منذ إنشائه عام (941هـ=1535م). المرجع نفسه، ص:291.

[3]) الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تح:يحي بوعزيز، دار الغرب الاسلامي، بيروت، دط، ط1990، ج1، ص:270.

[4])*Rinn,Louis : Carte du Royaume d'Alger sous le dernier Dey, in, Revue Africaine, T43, 1899, p :139.*

دار السلطان وعن بايلك التيطري، ومن سواحل البحر المتوسط إلى نواحي البيض حيث مجال النفوذ الديني والسياسي لمشيخة أولاد سيدي الشيخ، ولم يكتمل بصفة نهائية إلا بعد خروج الإسبان من منطقة وهران سنة(1206هـ/1792م) بعد أن انتقلت عاصمته من مازونة إلى معسكر، ثم إلى وهران"[1]. ومن هنا نستنتج أن ظهور البايلك كتقسيم إداري وسياسي يعود إلى النصف الأول من القرن(10هـ/16م).

ولعلّ من أهم مدن بايلك الغرب نجد كل من معسكر، مازونة، وهران، حيث شكلت هذه المدن عواصم سياسية للبايلك وقواعد خلفية هامة له. نظرا لعدة أسباب تختلف حسب كل عاصمة.

لقد تناول الدارسون والباحثون موضوع حدود بايلك الغرب خلال العهد العثماني، إلا أنهم لم يدققوا فيها، باستثناء الاشارات التي جاءت في بعض الدراسات، مثلا ما كتبه رين لويس(Rinn Louis) وأرامبورو دون جوزيف(Don-joseph Aramburu)، حيث ربطا رقعة البايلك بالحدود المجاورة، والمتمثلة بالمغرب الأقصى غربا وبايلك التيطري ودار السلطان شرقا، وبالبحر الأبيض المتوسط شمالا والصحراء جنوبا[2].

ومن بين الدارسين والرحالة الذين حاولوا تعيين حدود هذا الاقليم الدكتور شو(Docteur shaw) خلال القرن (18م/12هـ)، حيث وضع خريطة وضّح عليها معالم وحدود إقليم بايلك الغرب الذي يمتد حسب رأيه من شمال البحر

---

[1]) صالح عباد، الجزائر خلال العهد الحكم التركي، المرجع السابق، ص:292.

[2]) *Aramburu Don Joseph de, op. cit, p:9.*

المتوسط إلى غاية الجنوب الصحراوي، في حين يرى بايسونال(Peyssonnel)، الذي زار الجزائر خلال عامي(1136-1137هـ/1724-1725م)، أن أطراف البايلك تمتد من الشرق إلى الغرب على مسافة 100ميلا أي حوالي185 كلم[1].

ومهما يكن من محاولة لتعيين حدود بايلك الغرب خلال القرنين(11-12هـ/17-18م)، فهي لم تعرف الثبات والاستقرار، ولعل هذا ما دفع نوشي(Nouchi) إلى وصفها بالحدود غير الثابتة؛ أو ما يعبر عنها بالحدود البشرية بدل الحدود السياسية[2] وفقا للوضع الاجتماعي السّائد القائم على أساس تنظيمات إدارية مطلقة[3]. كما يتبين من خلال ما سبق أن الدراسات حول بايلك الغرب نادرة والمعلومات فيها مستمدة إمّا من انطباعات الرحالة الأوربيين والعرب، وإمّا من تقارير قناصل الدول الأجنبية بالمغرب.

ب - أوضاع بايلك الغرب:

تعد الفترة الأخيرة من العهد العثماني خصوصا ببايلك الغرب من أحلك الفترات في تاريخ الناحية الغربية، والتاريخ الجزائري عامة؛ بسبب سيطرة الأوربيين على حوض البحر الأبيض المتوسط، وسياسة الحكام والسلاطين

---

[1]) Peyssonnel et des fontaines, Relation d'Un voyage dans les Régences de tunis et dAlger, Paris, gide, 1838, pp:292-293.

[2]) قدور بوجلال، العلم والعلماء في بايلك الغرب 1711-1830م(معسكر ومازونة نموذجا)، رسالة ماجستير مخطوطة، إشراف أ.د فغرور دحو، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة معسكر، 2008/2009م، ص ص:2-7.

[3]) Nouchi André, Enquete sue le niveau de vie des population rurales jusqu'à 1919, C.M.M.C, Paris, 1961, p:15.

العثمانيين اتجاه الرعية. إلى جانب سلسلة الاغتيالات، والعزل المتتالية التي كانت منتشرة في أوساط الحكام العثمانين.

لكن هذا لا يمنع من وجود نقاط إيجابية، ساهمت في إعطاء دفع قوي لمختلف الشرائح الاجتماعية المختلفة، من أن تعبّر عن رأيها ومشاركتها في كل ميادين الحياة المختلفة لاسيما، على يد الباي محمد بن عثمان الكبير، الذي كانت له أيادي واسعة على أهالي المنطقة من علماء وفقهاء وحتى العوام، وهذا بسبب جوده وكرمه وسياسته اللينة اتجاه الرعية، وهو ما دفع بعلماء وشعراء عصره يمدحونه في حياته، ويرثونه من بعد مماته ومن جملة الأحداث التي كانت فاتحة عهده حوادث درقاوة[1].

أ) الواقع السياسي لبايلك الغرب:

يعد العامل السياسي من العوامل الأساسية في حياة الدول من جهة، وعلى حياة العلماء ورجال التصوف والطرق الصوفية من جهة أخرى، ولمعرفة الواقع السياسي لبايلك الغرب لابد لنا من نتناول بعض الجوانب المهمة في هذا البحث.

1) إنتقال مركز بايلك الغرب:

تعد فترة العهد العثماني خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر بإيالة الجزائر عموما، وببايلك الغرب خصوصا؛ من بين الفترات التي كان العلماء ورجال التصوف يحتاطون منها، بالرغم من مجاورة بعضهم للسلطة العثمانية التي كانت محل إشعار خطر عليهم من جهة، والتحرش الإسباني بسواحل الناحية الغربية من جهة أخرى.

---

1) *La Croix, n, Les Derkaoua d'hier et d'aujourd'hui, Alger, (1902), p:5.*

إنّ انتقال عاصمة بايلك الغرب الجزائري من مازونة إلى وهران سنة 1115هـ/1701م، جعلت الباي مصطفى بوشلاغم[1]، ينتقل من مازونة إلى معسكر ثم إلى وهران سنة 1206هـ/1792م[2]على يد الباي محمد بن عثمان الكبير، والتي تعاقب على حكمها عدة بايات[3].

إنّ انتقال العاصمة إلى وهران أحدث تغييرا كبيرا على الأحداث السياسية في المنطقة[4]وعلى المدينة بصفة خاصة. فقد أصبحت مركزا قياديا مهما في مواجهة أبشع الحملات الصليبية اتجاه المغرب الأوسط. وزيادة على هذا كانت هناك عدة اضطرابات، وحوادث تزعمها بعض رؤساء ورجال القبائل والطرق الصوفية ضد السياسة العثمانية بالجزائر، وخاصة انتفاضة درقاوة التي جرّت البلاد إلى فوضى كبيرة. وقد مست شظاياها بعض العلماء من بينهم أبي راس الناصر.

---

1) مصطفى بوشلاغم: وهو الذي خلف الباي شعبان الذي قتل سنة 1686م، وهو الذي نقل البايلك من مازونة إلى معسكر، والمعروف عند الإسبان بـ: (Dpgotillos) أي صاحب الشلاغم.

2) وهو تاريخ تحرير وهران من يد الاسبان بعد الزلزال الذي أصاب المدينة.

3) وهم على التوالي: الباي شعبان الزناقي، الباي مصطفى بوشلاغم، الباي ابن عودة يوسف بن محمد بن اسحاق المسراتي، مصطفى الأحر المسراتي، الباي بوكابوس، الباي حسن، الباي الحاج عثمان، الباي اسحاق إبراهيم الملياني، الباي الحاج خليل، محمد بن عثمان الكبير. أنظر: مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، تاريخ بايات الغرب الجزائري، تح:رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1974، ص ص:18- 23.

4) محمد سي يوسف، "دراسة مخطوط عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، ط1986، ع2. ص:138.

2) حوادث درقاوة: تعتبر هذه الحوادث[1] من بين أسباب تزعزع ثقة سكان الجزائر اتجاه الولاة العثمانيين، إلى جانب بايات وهران، الذين استعملوا طرق القمع والتعذيب. وقد أشار كثير من المؤرخين إلى حوادث درقاوة[2]، فتحدثوا عنها، كحديثهم عن بقية الاضطرابات التي كانت تتجدد المرة تلوى الأخرى طيلة العهد العثماني ثم يخبو لهيبها. فقد بدأت هذه الحوادث سنة 1805م/1219هـ وبقيت مستمرة طيلة العهد العثماني، وإن كانت تختلف قوة وضعفا[(3)].

ومن بين المؤلفين الذين تعرضوا لأحداث درقاوة[4]، والذين اشتهروا بموالاتهم للأتراك: حسن خوجة، صاحب كتاب "الأعيان في أخبار مدينة وهران". وكذلك مسلم بن عبد القادر صاحب دفتر "بايات وهران"، والمؤرخ أبو راس الناصر الذي خصها بتأليف سماه "درء الشقاوة في حروب الترك مع درقاوة". ولقد سجل الشعراء الشعبيون، الذين كان جلهم ينتصر للثوار، الكثير من جوانب هذه الأحداث، فعلى سبيل المثال نجد أبياتا من قصيدة لشاعر شعبي[(5)] سجل فيها أول

---

1) الفاسي محمد البشير، قبيلة بني زروال، مظاهر حياتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، مطبوعات المركز الجامعي للبحث العلمي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1962، ص:83.

2) Rinn, Louis, Marabouts et khouan, étude su l'islam en Algérie, Adolphe Jourdan, Libraire-éditeur, Alger, 1884, p:263.

3) محمد الطيبي، أبو راس الناصر المعسكري، العصر والعصارة، المرجع السابق، ص:6

4) المعسكري، أبو زيان محمد، كنز الأسرار في مناقب مولانا العربي الدرقاوي وبعض أصحابه الأخيار، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، رقم:2339، و:83ظ.

5) قيل أن صاحب القصيدة هو الشيخ بوعلام السجراري، من قرية سجرارة بنواحي المحمدية، ببايلك الغرب، ومن نظمه:

حكي قصة الاجواد مع العثمانيين النوبة ... يوم أن فزع ابن الشريف أوجاد

دوك أتراك الكرسي دهوفا ترار صحبه ... قالوا الاجواد على حرمنا نزكاو

معركة وقعت بين عبد القادر بن الشريف الدرقاوي[1] بطل هذه الأحداث، وباي وهران مصطفى منزالي بفرطاسة. وقد هزم فيها الباي، ولم ينجح إلا بفضل بعض أنصاره، الذين ساعدوه في الفرار إلى بايلك الغرب ممتطيا جوادا من دون سرج.

3) الحملات الصليبية على بايلك الغرب:

لقد وعت الجزائر مدى خطورة الأبعاد الحقيقية للحملات الأوربية الصليبية ضدها. لاسيما ببايلك الغرب، ولذلك صمم شعبها، وقيادتها، على تصفية الوجود الاسباني في البلاد. بمختلف الوسائل، وبأي ثمن مهما كان غاليا.ومن هنا كانت قضية تحرير وهران، والمرسى الكبير، وطرد الإسبان من الاهتمامات الكبرى للجزائر[(2)]. ولكن ظروف السلطة العثمانية بالجزائر العاصمة لم تسمح، ولم تكن إمكانيات الأهالي وحدها كافية لطردهم. وعندما حقق الداي الحاج مصطفى انتصاره على سلطان المغرب الأقصى مولاي إسماعيل في جديوية وطارده إلى فاس اهتم بأمر بايلك الغرب وعين عليه مصطفى بوشلاغم المشار إليه سابقا.

أنعقد أوغاشـــي الجـــوار عقـــــد محبة	في فرطـــاسة شاو أنها وتلاقـــاو
بالسيف أونـــارالمشط اود في الحريـــة	وأفرايس العثمانيين للطريق أبقاو
اتغلبوا العثمانيين وأسلموا في الضـــربة	أهل العقد البيضاء كامل انغـــزاو

دار الذيب العولة من لحم العثمانيين

El Mahdi El Bouabdelli ,Dalil El Hairen ou Anis Essahran Fi Akhbar Madinati Ouahran, Bulletin de la société de Géographie et d'Archéologie d'Oran, Oran, n-01, 1975,T1,P :03

1)سعيدوني ناصر الدين، "ثورة ابن الأحرش بين التمرد المحلي والانتفاضة الشعبية"، مجلة الثقافة، الجزائـــر، ع78، نوفمبر ديسمبر 1983، ص ص:199-224.

2) يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربـــا 1500-1830م،ديـــوان المطبوعـــات الجامعية، الجزائر،(د ت)،ص:20

فأخذ يستعد لتصفية الإسبان بالأقليم الغربي، وعندما أصبح محمد بكداش دايا بالعاصمة، أمدّه بقوات كبيرة بقيادة صهره أوزن حسن، وشدّد الحصار على وهران حتى أجلى الإسبان منها، ومن المرسى الكبير عام1101هـ/1708م، وأسر ما يقرب من ألفين من الإسبان، فعمّت الفرحة بذلك كامل البلد، غير أن الاسبانيين أعادوا الكرة، فأعدوا حملة استغرقوا في تجهيزها قرابة الثلاث سنوات[1]، واستردوها في نوفمبرعام 1197هـ/1732م، وتأثر الداي من جراء هذه الهزيمة حتى توفي بعدها في العام الموالي.

لم يستطع الباي مصطفى بوشلاغم من مواصلة هجوماته على الاسبان، وإرغامهم على الانسحاب. بسبب عدم وجود قوات كافية تدرأ هذا الخطر الجسيم، فقرر التراجع والانسحاب إلى مستغانم لمواصلة المقاومة، بعدها تأكد الاسبان أن وجود العثمانيين في عاصمة الجزائر، يشكل خطرا دائما يهدد وجودهم هناك، فأخذوا يسعون بكل الطرق، والوسائل لاحتلال الجزائر ليضعوا حدا لهذه الأخطار.فقام كارلوس الثالث الاسباني بشن ثلاث حملات على عاصمة الجزائر، في أعوام 1200هـ/1775م،1783م/1784م فشلت كلها، واضطرت اسبانيا في الحملة الأخيرة أن ترضخ لشروط الجزائر دون قيد أو شرط.

ولا جرم أن هذا الوضع السياسي المضطرب كان مرحلة تمهيدية للوضع الاجتماعي، والاقتصادي آنذاك. وعلى وجه الخصوص القرنين الحاي عشر والثاني عشر الهجريين من العهد العثماني ببايلك الغرب.

---

1) يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1999، ص:297.

4) التنظيم الإداري ببايلك الغرب:

لقد عرف الجهاز الإداري ببايلك الغرب خلال العهد العثماني تطورا ملحوظا، وهذا بعد استقرار الوضع السياسي به، واستكمل تنظيماته واستقرت أجهزته مع نهاية القرن الثامن عشر الميلادي(12هـ). بحيث أصبحت السلطة التنفيذية بيد الباي، الذي كان يساعده في تأدية مهامه الإدارية وإصدار أوامره وكان يسهر على تنفيذ أوامره مجموعة من الموظفين، الذين كانوا بدورهم يشكلون الديوان الكبير لبايلك الغرب، والذي يجتمع أعضاؤه في المناسبات الرسمية والمواسم الدينية.

لقد كان بايلك الغرب من الناحية الإدارية خاضعا لموظفين مستقلين عن الآغا[1]، حيث كان يعين على البايلك باي يعيّنه الداي لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد. ومن مهامه إدارة المقاطعة إلى جانب تمتعه بصلاحيات واسعة دون مراقبة. وحتى يتم تعيين الباي مرة أخرى لابد له ترضية الداي وحاشيته بالهدايا.

يعد الباي صاحب السلطة السياسية الفعلية بمنطقة بايلك الغرب، وهو الذي يقوم بتعيين البايات وتنصيبهم، وبذلك كانت سلطته مطلقة في آداء مهامه. والمتمثلة أساسا في تسيير شؤون أقاليمهم والإشراف على القوات العسكرية وعملية جمع الضرائب من الأرياف، والسهر على استتباب الأمن. كما كان لهؤلاء البايات حقّ مصادرة الممتلكات وتولي قيادة الجند[2]. إلى جانب تسليمهم مرة كل ثلاث سنوات عائدات البايلك وتقاريره الخاصة بأوضاعه الداخلية، وفي الوقت

---

[1]) مصطفى بركات، الألقاب والوظائف العثمانية، دار غريب للباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، ط2000، ص:173.

[2]) بوجلال قدور، العلم والعلماء في بايلك الغرب، 1711– 1830م، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة معسكر، 2009/2008، ص:9.

نفسه يتم تجديد تعيين البايات أو عزلهم، وكان هذا مربتط وفق ما يقدمونه من هدايا وغيرها.

لقد كان بايلك الغرب موزع بين ثلاثة حكام يقومون باستخلاص الضرائب والإشراف عليها وتعيين قياد موظفين مثل آغا الدواير وآغا الزمالة وخليفة الشرق.

2- تأثر متصوفة بايلك الغرب بالحالة السياسية في عصرهم:

إنّ كثرة الفتن والاضطرابات وتزايد الأطماع السياسية على بايلك الغرب، وتعاقب مشاهد صراع البايات والدايات على عرش الحكم، من شأنه أن يؤثر في نفسية هؤلاء المتصوفة. ولا محالة أن يكون لهذه الأحوال أثر في تفكيرهم وفي رسم تصورهم للحياة، وفي المسار الذي ينبغي أن يسلكوه في ظروف كهذه. وهنا برز نوعين من المتصوفة: فئة تبحث عن سلامة نفسها، غايتها تجنب كل ما يمكن أن يؤدي إلى الاصطدام بتلك الفتن. وفئة ذو عزيمة وضمير متوقد تحزنها ما تعانيه إيالتها، فتعمل جاهدة على إصلاح ما استطاعت إليه سبيلا بما يتاح لها من فرص. حيث تمكنت هذه الفئة في ظل تلك الظروف الحالكة، من طلب العلم غير مبايلة بتلك الاضطرايات والفتن بهمة عالية[1].

ولا نحسب أبو راس الناصر، وابن سحنون الراشدي، وابن زرفة الدحاوي، وابن هطال التلمساني وغيرهم من متصوفة بايلك الغرب إلا من هذا الصنف الموالي للسلطة العثمانية. حيث تمكنوا في ظل تلك الظروف من طلب العلم غير مبالين بتلك الفتن والاضطرابات، رغم امتهانهم لأسمى الوظائف بالسلطة، كالافتاء والقضاء وكتّاب الباي، لم يتلونوا بأخلاق أهل السياسة.

---

[1]) طالبي عطاء الله، علاقة الحكام الأتراك برجال الدين والعلماء في الجزائر 1656- 1830، بحث في منهجية الدراسات المعمقة، معهد العلوم الاجتماعية، دائر الدراسات التاريخية، الجزائر، 1980. ص:13.

فحوادث درقاوة مثلا وانتقال عاصمة البايلك الغربي من مدينة لأخرى وفتح وهران، كل هذا لم يمنع هؤلاء المتصوفة من قوة عزيمتهم ومساهمتهم العلمية في شتى الفنون. حيث كان انتاجهم العلمي والأدبي متنوعا.

كما لم يكن متصوفة بايلك الغرب بمنأى عمّا كان يحدث في العالم العربي والاسلامي، ونقصد بذلك الحملة الفرنسية على مصر عام 1789م، وحملة أوريلي وحملة اللورد إكسموث. إلى جانب تأثر هؤلاء المتصوفة بالفكر الوهابي. كل ذلك كان مؤثرا في إبداعات المتصوفة وإنتاجهم العلمي والأدبي.

ب) الواقع الاجتماعي والاقتصادي:

كانت الفترة الممتدة ما بين القرنين السابع عشر والثامن عشر من الناحية الاجتماعية والاقتصادية مضطربة باضطراب النظام السياسي عموما، وهو ما أدى إلى سوء الأحوال الاجتماعية، وتدّني المستوى المعيشي لمجتمع بايلك الغرب بمختلف طبقاته بسبب انتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة كالطاعون الذي أودى بحياة الكثير من السكان، على اختلاف فئاتهم، بما فيهم العلماء، إلى جانب انتشار الفقر والمجاعة التي كان لهما الأثر الكبير في زيادة معاناة سكان بايلك الغرب. كما كان لغلاء الأسعار تأثيرا كبيرا على الحياة الاقتصادية وعلى المجتمع والمنطقة معا. فكانت مداخيل اقتصاد الدولة العثمانية من بايلك الغرب ضعيفة نوعا ما بعدما كان مزدهرا قبل ذلك[1].

1) الواقع الاجتماعي:

إنّ الطبقات والفئات الاجتماعية التي شكلت التركيبة الاجتماعية لبايلك الغرب قد كانت متمايزة، حيث كان للظروف الاجتماعية والسياسية خلال الفترة

---

[1]) الواليش فتيحة، الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، الجزائر، 1993/1994م، ص:58.

الممتدة ما بين القرنين (17-18م/ 11-12هـ) أثر في ظهور سلم طبقي بالبايلك الغربي، وتفاوت في أنماط معيشته في المجتمع. إذ ترتسم صورة مجتمع بايلك الغرب في ذلك العصر في الطبقة الحضرية الأرستقراطية، ذات الوظائف السياسية والاقتصادية والعسكرية والحضرية، التي تترادف مع الأستقراطية الريفية ذات المهام الحربية والعسكرية الأكثر منها ديدينة[1].

من هنا تشكلت الطبقة الأرستقراطية ببايلك الغرب من الفئات الحاكمة بمختلف انتماءاتها. حيث كانت هذه الفئة تتشكل من الأقلية التركية، إضافة إلى الكراغلة وفئة اليهود والنصارى. فهذه الفئات والمجموعات التي كانت تمثل الجهاز السياسي والإداري والعسكري بالبايلك كانت تتمتع بمختلف فئاتها بامتيازات هامة نتيجة دورها الاقتصادي والاجتماعي ومركزها في تسيير شؤون البلاد، وقد كانت هذه الفئات واضحة المعالم والمهام، حيث تمثلت فيما يلي:

1-1) فئات مجتمع بايلك الغرب:

إنّ دراسة أوضاع مجتمع بايلك الغرب خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين من عادات وتقاليد، والتعرف على أحوال السكان مرتبط أساسا بتناول الطوائف والأقليات، أو فئات مجتمع بايلك الغرب على وجه الخصوص، والتي تفيدنا في معرفة الحالة الاجتماعية، والاقتصادية التي كان عليها سكان بايلك الغرب آنذاك وعلاقتها بمتصوفة تلك الفترة.

وتفحص كل من الوضعية الاجتماعية، والنشاط الاقتصادي لكل طائفة أو فئة منها وعلاقتها بالمجتمع العثماني آنذاك من شأنه تقريب الفهم الصحيح للباحث حول واقع الحياة الاجتماعية والجوانب الاقتصادية التي كانت عليها الدولة العثمانية عموما خصوصا خلال القرنيين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين.

---

[1]) الواليش فتيحة، المصدر السابق، ص:58.

وتأثيرها على التحصيل المعرفي لدى متصوفة بايلك الغرب. ومن أهم هذه الأقليات التي كانت معروفة ببايلك الغرب، كسائر المدن الجزائرية في ذلك العهد: فئة الأتراك، وجماعة الكراغلة، وطبقة الحضر، وجماعة البرانية، والدخلاء. وحتى يتسنى للباحث فهمه أكثر لهذه الفئات، لابد من إشارة خفيفة إليها.

1-1-1) فئة الأتراك(الفئة الحاكمة):

تعتبر أول فئة يتشكل منها مجتمع بايلك الغرب هي فئة الأتراك العثمانيين التي تتألف في معظمها من الجنود. وهم المعروفون باسم"الإنكشارية" الذين كانوا يستقرون في حصون وثكنات، أو يتوزعون على حاميات المدن[1]، من بينهم بايلك الغرب. هذا وعليه ظلت فئة الأتراك محدودة العدد لا يتجاوز عدد أفرادها أواخر القرن السادس عشر(10هــ) العشرة آلاف، ولم يزد في الربع الأول من القرن السابع عشر عن اثني عشر ألفا، وظل هذا العدد ثابتا تقريبا حتى أوائل القرن التاسع عشر.

كانت هذه الفئة تتمتع بامتيازات كبيرة، وتوفر كتابا لإدارة الحكومة العثمانية. ورغم المدة التي قضاها العثمانيون بالجزائر، فإن تأثيرهم لم يتعد الأنظمة الإدارية ولم يتجاوز الألقاب العسكرية[2]. إنّ العلاقة التي كانت تربط متصوفة تلك الفترة مع فئة العثمانيين، كانت تتحكم فيها تلك المعاملة الوثيقة التي كانت متبادلة ما بين

---

1) قسنطينة، عنابة، تبسة، بسكرة، بجاية، تلمسان، مستغانم. ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي فــي العهــد العثماني، المرجع السابق، ص:92.

2)*Boyer. (P), Le problème kouloughli dans la régence d'Alger. France N: Spécial,1970, P:87*

الطرفين، خصوصا وأنّه كان بعضا منهم مواليا للسلطة العثمانية[1]. يشغل منصبا من مناصب الدولة ككتاب لدى الباي أو قضاة، أو مؤرخين، مثل: أبو راس الناصر، ابن سحنون الراشدي، ابن زرفة الدحاوي، ابن هطال التلمساني وغيرهم.

1-1-2) فئة الكراغلة:

من بين طبقات المجتمع بايلك الغرب طبقة الكراغلة، حيث تحتل هذه المجموعة السكانية المرتبة الثانية في السلم الاجتماعي التي تكونت نتيجة التزاوج بين الجند الانكشاري ونساء البلاد، وظهرت لأول مرة في المدن التي تقيم بها الحاميات التركية وبالأخص في بايلك الغرب –قلعة بني راشد– ومدن أخرى(2).

لقد أصبح هؤلاء يشكلون فيما بعد شبه حكومة خاصة بهم. ويتقاسمون مدن البايلك مع طبقة الحضر، ولهم ديوان خاص بهم، وصلاحيات معترف بها. فقد زادت صلتهم بالعثمانيين، وعلاقتهم الخاصة بالأهالي، استطاعوا بعد فترة وجيزة من الوجود العثماني بالجزائر من تشكيل طبقة متوسطة الحال، لها نشاطها التجاري الخاص بها، وتشتغل ببعض المهن، وتستثمر الملكيات الزراعية. وفي بعض الأحيان تقوم بوظائف إدارية متوسطة الأهمية(3). وهذا كله كان له تأثير بالغ على متصوفة بايلك الغرب.

1-1-3) فئة الحضر:

---

1) من بين هؤلاء المتصوفة أبو راس الناصر المعسكري الذي كان قاضيا ومفتيا لدى السلطة العثمانية، غير أنّ اتهامه بضلوعه في فتنة درقاوة، كان سببا في عزله من منصبه. راجع: أبو راس الناصر المعسكري، درء الشقاوة في حروب الترك مع درقاوة، مخطوط خاص.

2) الجزائر، مستغانم، مازونة، مليانة، المدية، البليدة، القليعة، بسكرة، قسنطينة، عنابة. أنظر:ناصر الدين سعيوني، الجزائر في العهد العثماني، ص: 94.

3) ناصر الدين سعيوني، الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص:95.

تتألف هذه الفئة من مجموعة سكانية تقطن المدن يرجع أصولها إلى الفترة الإسلامية وما انضم إليها من أندلسيين وأشراف. وقد تميز الحضر بعاداتهم وتقاليدهم الخاصة، وبوضعهم الاجتماعي المميز، مما جعلهم يشكلون طبقة اجتماعية ميسورة، حيث يشتغل أفرادها بالمهن الصناعية المختلفة، ويتولون وظائف السلك القضائي، والتعليمي. وقد ظهر في هذه الطبقة صناع مهرة، وتجار نشيطون، وبحارة مغامرون، وفقهاء وعلماء بارزون ومتمكنون ومتصوفة زهاد.

لقد اهتم أفراد هذه الطبقة بتنمية ثرواتهم، واستغلال أملاكهم أحسن استغلال، واستثمار مزارعهم الواقعة بالقرب من المدن. وهذا ما جعلهم يؤلفون أعلى الطبقات في المدن الصغيرة، التي عرفت بخضوعها للبايلك، وقلة اهتمامها بأمور السياسة، وشؤون الحكم[1]. فرغم سيطرتهم على الحياة الاقتصادية طيلة القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، إلا أنه لم تكن لهم يد مؤثرة في نظام الحكم.

وكانت الهجرة الأندلسية عام798هـ/1492م عامل أساسي في إنعاش الاقتصاد وازدهاره ببايلك الغرب خصوصا وبالجزائر عموما، وتطور العمران واتساعه بعد استقرارهم ببلاد المغرب، وخاصة الجهة الغربية من البلاد الجزائرية. فقد ظهرت مدن اعتبرت حواضر إسلامية مثل: كمازونة والراشدية التي كانت عواصم البايلك الغربي قبل أن تتحول إلى وهران فيما سنة1206هـ/1792م[2].

أمّا فيما يخصّ جماعة الأشراف فهي فئة قليلة العدد، تنتسب إلى آل البيت حسب التقاليد المتعارف عليها، ونظرا لمكانتهم الدينية بين باقي الحضر، حضوا

1) ناصر الدين سعيوني، الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص:97.

2) المرجع نفسه، ص:97.

باحترام وتقدير كبيرين، فخصّهم بعض الدايات بالعطايا والمساعدات، مثل الداي محمد بكداش الذي أوقف لصالحهم بعض الأملاك[1].

4-1-1) فئة اليهود والنصارى:

هي إحدى العناصر المشكلة للمجتمع السكاني ببايلك الغرب؛ والتي يطلق عليها اسم البرانية الذين اعتنقوا الدين الإسلامي، ولقد اكتسب هؤلاء عادات وتقاليد الأهالي، حيث اتخذوا من اللغة العربية أداة تعبير في معاملاتهم اليومية وطقوسهم الدينية، وحتى في معاملاتهم التجارية في البحر الأبيض المتوسط، التي كانت تفوق إمكانية حكام الجزائر[2].

ومما ساعد هذه الفئة على الاندماج في الحياة العامة ببايلك الغرب وغيرها، هو ثقة الحكام العثمانيين فيهم وتفضيل الأندلسيين التعامل معهم نظرا لكون غالبية اليهود ذوي أصول أندلسية ويتشابهون في نمط العيش والحياة معهم. وأغلب ما يميز الأهالي عن اليهود هو ارتداء لملابس قاتمة اللون وامتناعهم ركوب الخيل وحمل السلاح، والتزامهم دفع الجزية. ولقد كان اليهود في صراع مستمر من طرف الأهالي.

وهذا ما جعلهم يهاجرون، ويكونون في اتصال دائم بالأجانب والتعاون معهم، خاصة إلى تونس[3] وليفرون[1]. وقد كانت علاقة هؤلاء المتصوفة بهذه الفئة واضحا، من خلال تعاملهم معهم فيما يتعلق بالعقود والمواثيق.

---

1) المرجع نفسه، ص:99.

2) المرجع نفسه، ص:84.

3) تونس: مدينة كبيرة محدثة بإفريقية على ساحل بحر الروم، عمرت من أنقاض مدينة كبيرة قديمة بالقرب منها مدينة يقال لها طنجة، وكان اسم تونس في القديم ترشيش وهي على بعد ميلين من قرطاجنة، أنظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر بيروت لبنان، ط1984، ج2، ص: 60.

كما لا ننسى أيضا فئة النصارى التي كانت لها هي الأخرى أوضاعها الخاصة بها، فكانت الروابط الثقافية والاجتماعية مبنية على أساس التعاون والاحترام بين الأطراف. فقد كانت الأيالة العثمانية شبيهة بالإمارة العثمانية الأولى ،غير أن الفارق الأساسي بينهما كان يتمثل في أن العثمانيين الأوائل كانوا يهتمون بتأسيس دولة فردية وسط المجموعة الإسلامية في حين أن الجزائريين كانوا يشكلون حصنا إسلاميا منيعا في وجه العالم النصراني المعادي.

إلى جانب الفئتين السابقتين هناك عناصر أجنبية عن مجتمع بايلك الغرب، مثل التجار الأجانب، والقناصل الأوروبيين، ورجال الحملات التبشيرية، والبعثات الدينية، وكان عددهم بين زيادة ونقصان، ومع تجدد النشاط البحري الجزائري، في غضون أوائل القرن السابع عشر وأواخر القرن الثامن عشر، وإثر الهجوم الذي شنّه اللورد إكسموت Exmoth(1866م)[•]، اضطرت حكومة الداي إلى أسر حوالي 1642 أسيرا.

لكنّ رغم كل هذا كان ينظر إلى هذه الفئة على أنّها من أهل الذمّة، لها حقوق وواجبات أقرها الإسلام، وبما أنّه كان من هؤلاء المتصوفة علماء وفقهاء وأدباء، و...، كانت هذه الفئة تلجأ إليهم للاستحكام، فيما كان ينشب بينهم من

---

1) ليفرون: منطقة ساحلية غيطالية لها ميناء كان يستعمله اليهود لممارسة التجارة أي مجال حيوي اقتصادي خصب.انظر الموسوعة الجغرافية العربية،ج16،ص:243.

•) ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي بالجزائر في أواخر العهد العثماني (1792–1830م) المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري، ط2– 1985م، ص: 46.

خلافات اجتماعية، وحتى الاستفتاء في بعض القضايا الدينية: كالقضاء، الزواج، البيع والشراء[1].

2- الحالة الصحية لسكان بايلك الغرب:

لقد كان الحالة الصحية ببايلك الغرب تزداد سوءا وتدهورا خصوصا في أواخر العهد العثماني، مما كان له تأثير سلبي على نمو السكان وعلى وضعيتهم الاجتماعية. فتضاءل سكان المدينة وتناقص سكان الأرياف المحيطة بها، ابتداء من أواخر القرن الثامن عشر (18م)، كما تسبب في ضعف قوة الأوجاق وتناقص عدد البحارة وقدرات الحرفيين والصناع، وافتقار الأرياف إلى اليد العاملة الزراعية[2].

ويعود سبب ذلك إلى انتقال العدوى، وانتشار الأمراض من الأقطار المجاورة. وذلك لصلة الجزائر بعالم البحر المتوسط، وانفتاحها على أقاليم السودان، وعلاقتها بالبلاد الأوروبية، وارتباطها بالمشرق العربي. وكانت أهم الطرق لانتقالها توافد التجار والبحارة والحجاج والطلبة من أقطار الشرق الأوسط

---

1) ينظر: أبو راس الناصر، الخبر المعرب عن الأمر المغرب الحال بالأندلس وثغور المغرب، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية،الجزائر، رقم:3182، و:112ظ.

2) ناصر الدين سعيوني، الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)، المرجع السابق، ص:87.

إلى الموانئ الجزائرية[1]، ومما ساعد على توطن هذه الأمراض الموسمية والأوبئة المعدية، انتشار المستنقعات بالسهول الساحلية [2].

ومما زاد في سوء الحالة الصحية كذلك، هو أنّ الحكام العثمانيون كانوا لا يهتمون بأمور الصحة، ولا يولونها العناية اللائقة بها. فهم لم يتخذوا أي إجراء وقائي ضد الأمراض الفتاكة. بل اعتبروها طبيعة، وغضبا إلاهيا، ومن هنا نجد تخوف الباي عثمان حاكم وهران عام 1794م/1208هـ، من انتشار الوباء بناحية وهران، والتجائه إلى سهول مليتة ليقيم بها ثلاثة أشهر، بعيدا عن أي اتصال بالسكان[3].

وقد عرفت إيالة الجزائر، وعلى وجه الخصوص بايلك الغرب، وباء سنة 1794م/1208هـ، والذي أضرّ كذلك بجميع الجهات، ومما يضاف إلى سوء الأحوال الصحية، حدوث الكوارث الطبيعية. التي أدّت بدورها إلى تناقص السكان وتضرر الاقتصاد، وتنقل هذه الآفات والكوارث الطبيعية كالجفاف والزلازل، والجراد، والفيضانات، وغيرها.

---

2)*Ray Maud (P) ,Marche et origine des marche épidémies du nord de L'Afrique ,In .Congres médical du Caire P :12.* et *Berbrugger (A), Mémoire sur la peste en Algérie, depuis 1552 jusqu'en 1819. Exploration scientifique de L'Algérie, Pendant les Années 1840, 1841,1842, Imprimerie Royale, Paris, 1847, V2, P : 227.*

3) *Marcil Bodin, L'Agrément du lecteur : Notice historique sur les arabes soumis aux espagnols pendant leur occupation d'Oran par si Abdelkader El-Macherfi, in R.A, T65, 1924, P:14.*

3) ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص:88.

فقد عرف بايلك الغرب على وجه الخصوص وإيالة الجزائر على وجه العموم هزات أرضية عنيفة تسببت في تخريب بعض المدن[1]، ونتجت عنها في كثير من الأحيان خسائر في الأرواح والممتلكات، منها زلزال وهران عام 1790م/1204[2]، والذي ساعد على استرجاع وهران والمرسى الكبير من أيدي الإسبان.

إلى جانب الزلازل عرف بايلك الغرب عدة مجاعات، ذكرت بعض المصادر منها أن الناس كانوا يموتون أثناءها بأعداد لا تحصى، والتي تزامنت مع ثورات درقاوة. أما في الوضع الديمغرافي للسكان وبالرجوع إلى كثير من الإحصائيات، نستنتج أنه كان يتصف بعدم الاستقرار من حيث عدد السكان أو كثافتهم، كذلك تبعا للظروف الصحية والأحوال المعيشية والشروط الطبيعية[3]. وهو ما كان عاملا أساسيا في بروز شخصيات كان لها الأثر البالغ على بايلك الغرب.

كل هذا كان له بالغ الأثر على إخراج نخبة من المتصوفة ببايلك الغرب الذين تنوعت معارفهم ومشاربهم، فتنوع انتاجهم المعرفي، تدريسا وتأليفا. فمنهم العالم والفقيه والمؤرخ والأديب،...الخ.

---

1)*MELKI NORDINE Archives Historique National de MADRID–le tremblement de Terre d'Oran, Octobre 1790 et les tentatives du Bey de Mascara pour la libération de la ville d'Alger 1984; N10,11, pp296:307. L'Abbé Burzet, Histoire des désastres de l'Algérie, pp,35,38.*

2) ناصر الدين سعيدوني، " الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي بالجزائر أثناء العهد التركي"، مجلة الثقافة، الجزائر، ط1986، ع92، ص:104.

3) ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في العهد العثماني، ص: 91.

2) الواقع الاقتصادي:

لقد عرف بايلك الغرب نشاطا اقتصاديا رغم تدهور الأوضاع الاجتماعية بإيالة الجزائر والاضطرابات السياسية والفتن الداخلية التي تقوم بإثارتها بعض طرق الزوايا آنذاك. وتجدر الإشارة إلى التعرض إلى أهم ميزات تلك الفترة الممتدة ما بين القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلادي، ومدى نموّه من خلال استعراض لمختلف المنتوجات الزراعية، والحرف الصناعية والمهن اليدوية والمبادلات التجارية، وعلاقتها بمتصوفة بايلك الغرب، ومدى تأثيرها على شخصيتهم.

ومما لا شك فيه أن فترة التدهور الاقتصادي التي عرفها بايلك الغرب على غرار باقي مناطق إيالة الجزائر أثناء القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين عموما. قد خربت أثناءها عدة مدن، وأفقرت أرياف. ولذا وجب النهوض بهذا النشاط من جديد ومحاولة إعطائه صبغة مميزة. ولكن مع مطلع القرن السادس عشر والنصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي، تحسنت أوضاع بايلك الغرب نوعا ما. فكثر الإنتاج الفلاحي، وتعددت المصنوعات المحلية، ونشطت التجارة. مما كان له انعكاس واضح على إيالة الجزائر[1].

وقد ساعد على التطور الاقتصادي، والازدهار العمراني، قدوم وفود كبيرة من مهاجري الأندلس، واستقرارهم بالجهات الساحلية خصوصا بالجهات الغربية. بحكم الجوار، والموقع الجغرافي إلى جانب العادات، والتقاليد. وقد ساعد هذا على احتكاك متصوفة بايلك الغرب بمحيطهم الاجتماعي والاقتصادي. ومن هنا أراد

[1]) ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر، المرجع السابق، ص:32.

الباحث التطرق إلى أهم الأنشطة الاقتصادية التي كان لها تأثيرا واضحا على متصوفة بايلك الغرب[1].

فقد كانت الزراعة النشاط الرئيسي الذي يعتمده الناس في هذه الفترة –العهد العثماني– "بحيث تحكمت فيها طبيعة الملكية وكيفية استعمال الأرض، إلى جانب تأثير بعض الظروف والعوامل المختلفة فيها، حيث "كانت ملكيات خاصة، وكان يستخدمها أصحابها مباشرة[(2)]. ولا يستوجب عليهم من الدولة سوى فريضتا العشر والزكاة. وكانت تتصف بعدم الاستقرار وبصغر المساحة نظرا لخضوعها لأحكام الوراثة والبيع والشراء"[(3)]. وقد كان هذا واضحا على بايلك الغرب.

ومما لا شك فيه أن هذا النشاط –الزراعة– عرف ركودا كبيرا، يرجع أساسا إلى ظروف صعبة عايشها الفلاح خلال الفترة الممتدة ما بين القرنين(17–18م/11–12هـ). كانتشار الأوبئة والمجاعات والزلازل[(4)]، التي كان لها دور سلبي على حياة متصوفة بايلك الغرب. إلى جانب طبيعة التضاريس، وشروط المناخ التي أدت إلى ضآلة المردود، وقلة الإنتاج وأسباب أخرى. أمّا من حيث المحاصيل الزراعية، فقد اختصت كل منطقة بنوع معين حسب الظروف الطبيعية والمناخية[(5)]، وتأتي في مقدمتها الحبوب[(•)] التي اشتهرت بها سهول غريس

---

[1]) المرجع نفسه، ص:33.

2) الواليش فتيحة، الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، الجزائر، 1993/1994م، ص:58.

3) الواليش فتيحة، الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، المصدر السابق، ص:59.

4) غالم محمد، وحدة الأنتروبولجيا والعلوم الاجتماعية، جامعة وهران، ص:14.

5) ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في الفترة (1800–1830م) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، ط1979، ص:32.

ومعسكر ووهران، والتي كانت تنتج مقادير وفيرة منها إلى جانب عدة أنواع من الخضر والفواكه والتي نعد منها التين والزيتون والبرتقال.

أمّا النشاط الثاني والذي تمثله الصناعة فقد شمل أغلب المهن التقليدية، والحرف اليدوية التي كانت معروفة خلال أواخر الفترة العثمانية، وكما اختصت كل منطقة بزراعة نوع معين من المزروعات، فكذلك في مجال الحرف، حيث انفردت كل منطقة بصناعة منتوج حرفي خاص بها، مستوحى من الماضي[1].

ومن بين تلك الوظائف الحرفية صناعة النسيج التي اعتبرت الأكثر انتشارا ببايلك الغرب، تأتي بعدها صناعة الجلود. ثم إنّ إنتاج المصنوعات النسيجية والجلود قد تجاوز تلبية السوق المحلية والاكتفاء الذاتي بالبايلك الغربي؛ فقد كان جزء من هذا الإنتاج يُسَوق إلى الخارج لاسيما إلى الأقطار الإسلامية والبلدان الأوربية. كما عرفت بعض مدن المنطقة الغربية صناعات حرفية أخرى كحرفة الطرز، وصناعة الجلود، والسروج والألجمة، البرانيس والزرابي، وفي هذا المقام يذكر صاحب تأليف قلعة بني راشد عند معرض حديثه عن سوق بني راشد الذي كان يقام كل يوم سبت قوله:"...وهي التي يعمر فيها السوق يوم السبت وعمرانه من أحوازها كبني غدو وقربوصة وألاود بوعلي والدواير، والحساسنة واحبوشة والتمازنية والبرج وسجرارة وبني شقران، تباع فيه الحبوب والفواكه والخضر والحطب، واللحم والمواشي، والصوف والكسوة، والزربية والكتان والعطرية والقهوة، والسكر والصابون والزيت، وغير ذلك...ويباع فيه الصابون الجزائري

•) مؤلف مجهول، تاريخ القلعة، ناسخه الشيخ محمودي البشير، مخطوط بخزانة الشـيخ محمـودي البشـير، نسخة يوم 27 نوفمبر 1973م، ورقة رقم: 6. وقد زودنا بهذه النسخة المخطوطة الدكتور مختـار بوعنـاني، المدرس بقسم الآداب اللغات والفنون بجامعة وهران، حيث وضع عليها دراسة في مجلـة القلـم، كليـة الآداب جامعة وهران ع12.

[1]) ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر، المرجع السابق، ص:33.

الذي يصنع من رماد الضرو وهو أجود أنواع الصابون في الغسل لثياب الصوف والبدن، ويباع فيه السمن والعسل والقطران..."[1].

لقد أسهب صاحب المخطوط في التعريف بالوظائف الحِرَفية ببايلك الغرب، فاقتصر ذكره على سبيل المثال على قلعة بني راشد كونها كانت مركزا اقتصاديا وتجاريا وإحدى مدن عواصم البايلك الغربي السياسية. وبالتالي فإنه يبدو جليا بأنّ هناك تأثير واضح للأوضاع السياسية والاقتصادية على أعمال وكتابات متصوفة بايلك الغرب، من حيث التحصيل المعرفي ومن حيث الإنتاج العلمي، وهو ما كان عاملا مشجعا في تكوين شخصيتهم.

3- تأثر متصوفة بايلك الغرب بالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في عصرهم:

لقد مر بايلك الغرب خلال الفترة الممتدة ما بين القرنين(17-18م/11-12هـ) باضطرابات اجتماعية وأزمات اقتصادية متفاوتة الشدة، توالت الواحدة تلوى الأخرى. منها الأوبئة التي كانت تفتك بالآلاف من البشر والغلاء والمجاعات، إضافة الضرائب المجحفة التي كانت تثقل كاهل الرعية. ولقد كان لهذه الظروف كلها أثر بالغ في حياة الناس عامة وطلبة العلم والمتصوفة خاصة.

إنّ مثل هذه الظروف لم تثن من عزم متصوفة بايلك الغرب من طلب العلم، ولم تصرفهم عن تحصيله، بل إلى تدوين كثير من المؤلفات في علوم وفنون مختلفة. في التوحيد والفقه والتصوف والتاريخ وغيرها. ومرد ذلك أساسا إلى إرادتهم القوية في التفوق والتحصيل في العلم والتدريس والتدوين والتأليف[2].

---

[1]) مؤلف مجهول، تاريخ القلعة(بني راشد)، المصدر السابق، و:4ظ.

[2]) الواليش فتيحة، الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، المصدر السابق، ص:117.

كما أن إرصاد الأوقاف تعتبر عاملا سياسيا مشجعا على نشر العلم والمعرفة، كما كانت سندا لهم لاسيما في عهد كل من الباي مصطفى بوشلاغم ومن بعده الباي محمد بن عثمان الكبير، الذي انتعشت الحياة الثقافية والفكرية في عهده ببايلك الغرب.

ويبدو جليا أن متصوفة بايلك الغرب كانت فئة أساسية ضمن النمط التعليمي والإداري لدى السلطة العثمانية بإيالة الجزائر. حيث أوكلت لدى بعضهم مناصب عليا ذو امتيازات هامة. إلى جانب لعبها دور الوساطة بين الفئة الحاكمة والأرستقراطية الحضرية التي بين يديها السلطة وباقي سكان البايلك[1].

وممّا يلاحظ أنّ تعامل بعض متصوفة بايلك الغرب مع فئة العثمانيين، الذين منحوا مناصب عالية بالإيالة، مثل منصب القضاء والإفتاء، كأبي راس الناصر، رغم الاتهامات الموجهة إليه في أحداث درقاوة، وكذلك الطاهر بن حوا الذي شغل منصب القضاء في عهد الباي محمد بن عثمان الكبير(1779–1797م).

كما تظهر معاملة المتصوفة مع فئات مجتمع بايلك الغرب من خلال توسطهم في بعض القضايا المختلفة بين الكراغلة وبين عرب المنطقة، وفضهم لبعض النزاعات التي يصعب حلها، ولعلّ هذا الأمر هو ما عالجه مصطفى الرماصي في حاشيته الفقهية، ضف إلى ذلك ما تطرق إليه أبو راس الناصر[2]، وعبد القادر المشرفي[3]، وابن سحنون الراشدي[1] في كتاباتهم. باعتبار أنّ متصوفة

---

[1]) الواليش فتيحة، الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري، ص:117.

[2]) ينظر: أبو راس الناصر المعسكري، الخبر المعرب عن الأمر المغرب الحال بالأندلس وثغور المغرب، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، رقم:3182، و:112ظ.

[3]) ينظر: عبد القادر المشرفي، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1972. ص:12.

بايلك الغرب كانوا أحد أفراد المجتمع، ظلوا يحسون بما يحس به مجتمعهم، ويتأثرون بما يتأثر به محيطهم؛ فكانت معاملتهم اتجاه فئات الحضر وثيقة جدا تمثلت في غالب الأحيان في حسن المعاملة لا غير. ولعلّ أحسن دليل على ذلك هو إعطاء أبي راس الناصر بعض تآليفه لفئة الحرفيين لنسخها مقابل مبلغ من المال، وسبب ذلك هو رداءة خطّه.

وعليه فإن الفترة الممتدة ما بين القرنين(11-12هـ/17-18م) من الناحية الاجتماعية والاقتصادية قد كانت جدّ مضطربة باضطراب النظام السياسي، وهو ما أدى إلى سوء الأحوال الاجتماعية وتدني المستوى المعيشي للمجتمع ببايلك الغرب بمختلف طبقاته، بسبب انتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة كالطاعون الذي أودى بحياة الكثير من السكان على اختلاف فئاتهم، لاسيما متصوفة البايلك كأبي راس الناصر الذي كان ضحية هذا الوباء. إلى جانب انتشار الفقر والمجاعة، والكوارث الطبيعية كالجفاف والزلازل والجراد والفيضانات، كل ذلك كان له أثر على هؤلاء المتصوفة.

كما لعبت مجموعة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية دورا كبيرا في تكوين شخصية المتصوفة، بل وأثرت على تحصيلهم المعرفي فانعكس ذلك على إنتاجهم العلمي. ولكن هذا لم يمنع من وجود بيئة ثقافية متبلورة في مجموعة من مراكز ومؤسسات العلم والثقافة عرفها بايلك الغرب خلال القرنين(17-18م).

ج- التصوف أثناء العهد العثماني ببايلك الغرب:

قد يوصف تاريخ الجزائر العثمانية، على أنه تاريخ سيادة التيار الصوفي بامتياز، وبتعبيراته المختلفة، حيث نجد أن التجاوب بين المتصوفة والسلطة

---

[1]) ينظر: ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، الجزائر، 1973. ص:123.

العثمانية؛ قد أعطى نتاجا ثقافيا غزيرا، مشوبا في غالبيته بالتصوف والتفكير الباطني، المعتمد على المجاهدة وتصفية النفس بالزهد والورع، وقلمّا نجد نتاجا ثقافيا يعود إلى هذه الفترة قد نجا من حمى التصوف، ذلك أنّ أغلب الشيوخ المتصوفة المتصدرين للإفتاء والتدريس والتأليف كانوا يجمعون بين علمي الظاهر والباطن[1].

كما كانت " الزوايا " مؤسسات تعليمية ترعى الحركة الصوفية ببايلك الغرب؛ حيث كانت المواد المدرسة غالبيتها مأخوذة من خلال بعض المصادر الصوفية المعروفة آنذاك، كالرسالة القشيرية، وحكم ابن عطاء الله السكندري، وإحياء علوم الدين، وقوت القلوب، وغيرها من أمهات الكتب والتراجم ذات المنحى الصوفي[2].

وأثناء تأملنا لمسار التصوف التاريخي؛ فإننا نلحظ أنّ بداياته في الانتشار كانت مع مطلع القرن(9هـ/15م)، وكان ركنا منعزلا عن المجتمع وسرعان ما انتشر فكره بين أوساط المجتمع مع اشتداد الأزمات. كما برز وجوده على الساحة السياسية مع تواجد القوة العثمانية بإيالة الجزائر.

ويمكن اعتبار التواجد الصوفي بالجزائر خلال العهد العثماني كنتاج لتلاقح الأفكار الوافدة من المشرق والمغرب، حيث كانت ناحية دكالة بالمغرب مثلا ملتقى ومجمع الفكر الصوفي الإسلامي؛ حيث كان ينهل منها متصوفة بايلك الغرب في تلك الفترة التاريخية. كما كانت النزعة الصوفية وليدة البيئة الجزائرية

---

[1]) عبد القادر صحرواي، التصوف والمتصوفة في الجزائر العثمانية ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة سدي بلعباس، 2004/2003م. ص:124. ومكحلي محمد، ثورات رجال الزوايا والطرقية في الجزائر خلال العهد العثماني 1707-1827م، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة سدي بلعباس، 2009/2008م. ص:95.

[2]) المرجع نفسه، ص:125.

الخالصة، وما كان لها لتظهر على ساحة الوجود بمثل النسق الفكري والروحي الذي احتوته أصول الطرق الصوفية بإيالة الجزائر[1].

وقبل أن نخوض في موضوع الدراسة لابد من إعطاء صورة موجزة عن تعريف التصوف وأهم الطرق الصوفية المنتشرة ببايلك الغرب.

1- مفهوم التصّوف:

إنّ موضوع التصوف[2] والمتصوفة من الموضوعات الهامة التي حظيت بمكانة متميزة في تاريخ المسلمين وثقافتهم عموما وفي تاريخ بايلك الغرب خصوصا، بحيث شكلت جزء مهما من تراثهم العلمي والمعرفي وحتى الإنساني. وحتى يتسنى لنا معرفة العلاقة بين المتصوفة والطرق الصوفية خلال الفترة المدروسة، لابد من إعطاء تعريف موجز للتصوف ثم أهم الطرق الصوفية التي وجدت ببايلك الغرب.

قد يصعب على الباحث وغيره تحديد تعريف جامع للتصوف مقارنة بموضوعات أخرى؛ ولعلّ ذلك راجع إلى ارتباط التصوف بالفلسفة، واعتباره أمر روحي ذي تجليات دقيقة ومتنوعة تدرك بالإحساس وعبر عنها عند المتصوفة بالأحوال. ورغم اختلاف التعاريف وتباينها إلا أنها تبقى إحدى الوسائل للاقتراب من الحقيقة وإدراك معنى مصطلح التصوف واشتقاقه.

---

[1]) بومدين أولاجي، قراءة تحليلية في الواقع الاجتماعي للطرق الصوفية ودورها في حركة التواصل (الجزائر العثمانية)، رسالة ماجستير مخطوطة، إشراف أ.د مكحلي محمد، قسم التاريخ، جامعة سيدي بلعباس، 2012/2011؛ ص:74.

[2]) صلاح مؤيد عقبي، الرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق، لبنان، بيروت، د ط، ط2002، ص:34. كما يراجع رسالة ماجستير للباحث:الطرق الصوفية في الجزائر، أصولها وتطورها حتى سنة 1939م، رسالة ماجستير مخطوطة، إشراف أ.د عكاشة شايف، معهد الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 1999/1998م، ص:9.

وقد اختلف العلماء والباحثون في الأدب والفلسفة حول تحديد أصل كلمة" الصوفي"، فهناك من قال أنها أخذت من الصفة تشبيها لهم بأهل الصفة من فقراء المهاجرين والأنصار الذين كانوا يقيمون في صفة بناها لهم الرسول ρ في مؤخرة مسجده الشريف للذكر وللعبادة، وهناك من قال أنها أخذت من الصفاء أي صفاء قلب الصوفي وطهارة ظاهره وباطنه عن مخالفة أوامر ربه، وفي هذا يقول الألوسي في كتابه الفيض الوارد والذي يميل إليه الكثير من السادة ما يفهم من هذين البيتين:(بحر البسيط)

تَنَازَعَ النَّاسُ فِي الصُّوفِي وَاخْتَلَفُوا   فِيهِ وَظَنُّوهُ مُشْتَقًا مِنَ الصُّوفِ
وَلَسْتُ أَمْنَحُ هَذَا الاسْمُ غَيْرَ فَتًى   صَافِي فَصُوفِيٌ حَتَّى سُمِّيَ الصُّوفِي

ومما لاشك فيه أنّ متصوفة بايلك الغرب خلال القرنين(11-12هـ/17-18م) قد تأثرت ثقافتهم العلمية والفكرية إلى حدّ بعيد بظهور تيارات صوفية منها ما هو نابع من السلوكات اليومية، كل حسب زهده وقناعته في التصوف، ومنها ما هو عبارة عن تيارات فكرية اشتقت أفكارها من نظريات صوفية فلسفية مشرقية، ولعل من أبرزها:

1. **تيار التصوف السني:** ويتميز بالتزامه بالقرآن الكريم والسنة النبوية وأخلاق السلف الصالح، والابتعاد عن الخوض في القضايا السلفية كالحلول والاتحاد والوحدة والإشراف[1].

[1]) أحمد مريوش، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، ص:43.

2. **وتيار التصوف السني الفلسفي:** وهو تيار التزم فيه متصوفته بتعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية، وعرفوا بنزعتهم الكشفية لحجاب الحسن لإدراك الحقائق الإلهية، واكتساب العلوم الدينية[1].

3. **وتيار التصوف الفلسفي:** وهو تيار يخضع إلى مجاهدة النفس وترغيبها في أمور الآخرة كالتقشف في المأكل والملبس والصوم وقيام الليل، غير أن ما يمكن الإشارة إليه هو أن كل الاتجاهات الصوفية ببايلك الغرب كانت تقف موقفا عدائيا إزاء ما كان يحدث من غلو وتطرف وشعوذة. وتجلى دورهم الديني في توعية العامة بأمور دينهم ودنياهم[2].

2- الطرق الصوفية ببايلك الغرب:

يحتل بايلك الغرب موقعا استراتيجيا جعله ينفتح على مناطق عدة من المغرب الأقصى، وعليه فإن المتحكم في موقع بايلك الغرب الاستراتيجي،كان تحكم في الواقع في الحركة التجارية بين المناطق المتاخمة له، ولعل هذا الموقع هو الذي جعل بايلك الغرب مقصدا لعدد من رجال التصوف والعلم الذين أسسوا سلسلة من الزوايا والرباطات بالبايلك.

من الصعوبة بمكان التأريخ لظهور الطرق الصوفية بالجزائر عموما وببايلك الغرب خصوصا، ومن ثم التعرف على أولى الطرق الصوفية بها. ولعل بداية فرضيتنا عند الحديث عن هذه المسألة هي كتب التراجم المصنفة قبل القرن11هـ/17م، أو خلال النصف الأول منه، فتعد المضان التي حاولنا أن نستلهم منها ما كنا نصبوا إليه، غير أن الواقع لم تسعفنا بشيء، منها " عنوان

[1]) أحمد مريوش، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، المرجع السابق، ص:44.

[2]) المرجع نفسه، ص:44.

الدراية" للغبريني، و" نيل الابتهاج بتطريز الديباج" لأحمد بابا التمبكتي، و" البستان" لابن مريم. وكلها حافلة بتراجم المتصوفة، لكنها لم تنسب أي واحد إلى أي طريقة صوفية بالجزائر. كطريقة ابن سبعين، والطريقة الزروقية، والطريقة اليوسفية[1].

ولعل مرد إهمال النسب الروحي للمترجم لهم في تلك المظان هو قلة شأن تلك الطرق وقلة أتباعها من الناحية التنظيمية خلال عصور مؤلفيها. غير أن وجود قرائن أخرى تؤكد ظهور طرق صوفية وجدت منذ القرن9هـ/15م مثل الطريقة الشابية الوافدة من القيروان. وقد كان أحمد بن يوسف الراشدي الملياني من أشهر تلاميذ الشيخ زروق وقد نسبت إليه اليوسفية، حيث ساهم تلامذته في تأسيس فروع الشاذلية ونشرها ببايلك الغرب بل وصل امتدادها إلى شرق المغرب الأقصى وجنوبه[2].

وهناك من يرى أو وجود الطرق الصوفية في الجزائر يرجع إلى حوالي القرن السادس الهجري(12م)، أي عهد أبي مدين الغوث، فهو واضع أول طريقة عرفت هنا بالجزائر وهي الطريقة المدينية، التي نشرها في بجاية وضواحيها، وانتقلت إلى مدن بايلك الغرب كتلمسان ونواحيها، حيث نجد فيها أبرز ملامح الطريق الصوفي، من الذكر، ووجوب الالتزام بشيخ معين في التربية الروحية، ولبس الخرقة، وسلسلة الطريق المنتمى إليه[3]. وبعد وفاة أبي مدين الغوث، كان

---

[1]) عبد الحكيم مرتاض، الطرق الصوفية بالجزائر، المرجع السابق، ص:150.

[2]) عبد الحكيم مرتاض، الطرق الصوفية بالجزائر، المرجع السابق، ص:150.

[3]) عبد القادر صحرواي، التصوف والمتصوفة في الجزائر العثمانية ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر، ص:127.

جل المغرب الإسلامي على الطريقة المدينية، من فاس إلى القيروان مرورا ببجاية وتلمسان[1].

ونستنتج من كل هذا أنّ الطرق الصوفية وجدت ببايلك الغرب قبل العهد العثماني وترسخت وتوطنت أقدامها فيه. ممّا يعكس تاريخية تلك الطرق الصوفية ببايلك الغرب وتأثيرها وتأثرها ببعض الطرق الصوفية الأخرى الوافدة عليها.

ويوضح لنا الجدول الآتي أهم الطرق الصوفية ببايلك الغرب:

القرن الهجري/الميلادي	اسم الطريقة الصوفية	مكان انتشارها
16/10	اليوسفية(أحمد بن يوسف الملياني)	مليانة، معسكر(الراشدية)، مازونة، تلمسان، وهران، عين الصفراء.
16/10	الكرزازية	واحة كرزاز، تلمسان، ندرومة، مغنية، سبدو، النعامة.
16/10	الشيخية	جبال القصور، الأبيض سيد الشيخ، تلمسان، عين تموشنت، وهران.
17/11	التجانية	عين ماضي(الأغواط)، تماسين،
18/12	القادرية	معسكر(الراشدية)، ناحية عين الصفراء، وادي الخير(مستغانم)،
18/12	الدرقاوية	تيارت، معسكر، وهران، تلمسان، غليزان، مازونة.

جدول يبين أهم الطرق الصوفية ببايلك الغرب[2]

إذا حاولنا أن تحليل الجدول المبين أعلاه، فإنه يظهر أن القرن11هـ/17م هو أخصب القرون انتشارا للطرق الصوفية ببايلك الغرب دون سائر البايلكات الأخرى، وهذا ما حاولنا أن نقف عنده. وما يمكن التنبيه عليه هو أن هناك توافد

[1]) عبد الحكيم مرتاض، الطرق الصوفية بالجزائر، المرجع السابق، ص:151.

[2]) عبد الحكيم مرتاض، الطرق الصوفية بالجزائر، المرجع السابق، ص:151.

لعديد من الطرق الصوفية ببيالك الغرب كالطيبية، الحنصالية، الهبرية، الشاالية وغيرها من الرطق الصوفية الوافدة على إيالة الجزائر عموما. بمعنى آخر توافد العديد من الطرق إلى بايلك الغرب. في حين أن القرن 12هـ/18م هو الآخر شهد ميلاد طرق صوفية أخرى كالتجانية وهي الطريقة الوحيدة المستقلة التي أنتجها الجزائر عموما وبايلك الغرب خصوصا.

وقد تختلف تلك الطرق اختلافا كبيرا فيما بينها من حيث المعتقدات الشعبية الشائعة بين مريديها، ومن حيث طقوسها وانتشارها وعدد أتباعها ومدى تأثيرها في مجريات الأحداث التاريخية. ويمكن تصنيفها إلى مجموعتين رئيستين: مجموعة الشاذلية، ومجموعة الطرق غير الشاذلية.

ولعل من أهم الطرق الصوفية ذيوعا ببايلك الغرب نذكر منها على سبيل المثال:

1. الطريقة المَدْيَنِيَة:

ظهرت قبل الوجود العثماني في الجزائر؛ ثم انتشرت وتطورت ونمت أثناء العهد العثماني[1]. وتنتسب هذه الطريقة إلى مؤسسها الشيخ أبو مدين الغوث[2]، وهي

---

[1]) ويشير أبو القاسم سعد الله إلى أن "عدد الطرق الصوفية الفاعلة في الجزائر بلغ أكثر من ستة وعشرين طريقة منها فقط حوالي أربعة أنشئت في العهد الاستعماري، كالسنوسية والعليوية، والباقي كان موجودا منذ العهد العثماني، ومن هذا العدد ما هو مؤسس في المغرب كالطيبية والعيسوية والدرقاوية، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998، ج2، ص:123.

[2]) أبو مدين شعيب(ت594هـ/1199م): بن الحسن الأندلسي التلمساني، صوفي أصله من الأندلس، أقام بفاس، وسكن (بجاية) وكثر أتباعه حتى خافه السلطان يعقوب المنصور. وتوفي بتلمسان ودفن بالعباد، وقد قارب الثمانين أو تجاوزها. له (مفاتيح الغيب، لإزالة الريب، وستر العيب). أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1999، ج2، ص ص:172-178، وابن مريم، البستان في ذكر الأولياء بتلمسان، مراجعة محمد بن أبي شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1986. ص:108، خير الدين الزركلي، الأعلام، ج3، ص:166.

ليست فرعا من فروع الطريقة القادرية، بل طريقة أصيلة نشأت وتطورت في إيالة الجزائر بعيدا عن تأثيرات الطريقة القادرية بل كانتا متعاصرتين في النشأة. وقد كان أبو مدين يدرس بعض كتب التصوف كالرسالة القشيرية والمقصد الأسنى للغزالي لأتباعه ومريديه، فالتف حوله العديد من العلماء والفقهاء والصوفية، وانتسبوا إلى طريقته.

وقد كان انتشار هذه الطريقة بحواضر إيالة الجزائر؛ كقلعة بني حماد وبجاية وتلمسان وقسنطينة. ليستقر بها المطاف بتلمسان، وباقي نواحي بايلك الغرب كمغنية، سبدو، معسكر (الراشدية).

2. الطريقة اليوسفية (الراشدية):

تنتسب هذه الطريقة إلى أحمد بن يوسف الملياني الراشدي[1]، كان من تلاميذ الشيخ زروق حين إقامته ببجاية. وقد صال وجال في عدة نواحي من الجزائر وأسس زاويتين الأولى في بني منجلات[2]، والثانية في قلعة بني راشد حيث استقر به المطاف هناك[3].

ولعلّ شدة اهتمامه بالتدريس والتلقين هو الذي شغله عن التأليف؛ ومع مرور الوقت كثر أتباعه ومريدوه، فقد كان يمنحهم الأوراد في حياته ويشكلهم في

---

[1]) أحمد بن يوسف الملياني الراشدي:(ت934ه/1528م): متصوف صالح، من أهل المغرب.

تنسب إليه الطريقة (اليوسفية) قال فيه صاحب لقط الفرائد: الرجل الصالح وحاشاه أن يقول ما قيل عنه، وفي خزانة الرباط (1457 د) كتاب في (مناقبه) مجهول المصنف. وهناك عدة رسائل في الحكم والتصوف مخطوطة بمكتبات وخزائن المغرب. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج1، ص:275.

[2]) حاج صادق محمد، مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، ط1989، ص:83.

[3]) المرجع نفسه، ص:88. ولعل ما يعطي تفصيلا عن حياته تلميذه الصباغ القلعي في كتابه" بستان الأزهار في مناقب زمزم الأبرار ومعدن الأنوار". ينظر: *Boudin, M, Notes et questions sur sidi Ahmed ben Youssef, revue Africaine, Alger. n :66, Annee1925, p :148.*

مجموعات ودوائر للذكر، واستعملت خلال تلك الأذكار آلات الموسيقى والغناء. وربما هي سبب إنكار البعض عليه، خاصة بعد حركة ابن عبد الله المنزولي[1] التي نسب النبوءة إلى الملياني.

ومن أهم مصنفاته رسالة في الرقص والتصفيق والذكر في الأسواق، حكم في التصوف[2]. ولازال صيت أحمد بن يوسف يذكر في الآفاق بوصفه أحد مشاهير الأولياء، غير أن طريقته تكاد تنحصر ببايلك الغرب (عين الصفراء). وهي الزاوية الوحيدة بها.

3. الطريقة الشيخية:

تنتسب هذه الطريقة عبد القادر بن محمد (سيدي الشيخ) بن سليمان بن أبي سماحة المتوفى سنة(1025هـ/1616م)، والذي يرتقي نسبه إلى سيدنا أبو بكر الصديق τ، نزحوا من مكة في وقت غير معروف، إلى تونس لأسباب دينية وسياسية، ومن تونس خرج جدّهم غاضبا لأسباب عائلية، وذهب إلى الصحراء واستقر بالبيض، وهناك أسس زاويته المعروفة، حيث توارث أبناؤه تراثه في آخر دولة بني زيان واحتلال الإسبان.

رحل إلى فجيج للدراسة، حيث كانت في عهده مركزا ذو إشعاع علمي وصوفي كبيرين. فتعلم بها القرآن الكريم والفقه ومبادئ العربية على يد عدة فقهاء

---

[1]) هو أحمد بن عبد الله المنزولي، أخباره مفصلة في الباب الخامس من كتاب تبصرة الرئيس الأمين في ذكر إمام المسلمين لمؤلف مجهول، وهو من الذين صحب أصحاب الملياني، ثم تزندق وذهب مذهب الإباضية في تلك الفترة. محمد بن عسكر، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تح: محمد حجي، مطبعة الكرامة، الرباط، ط3، 2003، ص:113.

[2]) الحمدي أحمد، " مخطوط بستان الأزهار في مناقب زمزم الأبرار ومعدن الأنوار" مقاربة منهجية وتاريخية، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، جامعة وهران الجزائر، ع6، ص ص:9-27.

وعندما شبّ وترعرع تأثر بالصوفية وعلومها، فسلك في البداية الطريقة القادرية، ليتحول بعدها إلى الطريقة الشاذلية التي أخذها عن الشيخ أحمد بن موسى الكرزازي، والشيخ محمد بن عبد الرحمن السهيلي، وبعد سلوكه أمره شيخه السهيلي[1] بالتنقل إلى بلدة فجيج، وهناك أنشأ زاوية أطلق عليها اسم «العبّاد» تيمنا بالعباد ضريح الشيخ أبي مدين الغوث، وقصده الناس من كل حدب وصوب[2]، وأصبح يدعى «سيدي الشيخ»، واتسعت شهرته اتساعا عريضا وبلغت شهرت الآفاق ، وكان له مقدمون[3]. فقد كان مريدوه ببايلك الغرب(تلمسان، عين تموشنت، وهران) يتوافدون عليه إما للتلقي عنه أو التبرك منه أو كليهما معا[4]. لم يخلف سيدي الشيخ من الآثار المكتوبة إلا بعض الرسائل والأذكار، وقد اشتهر بقصيدته التائية التي سمّاها « الياقوتة في التصوف»[5].

4. الطريقة الدرقاوية:

---

[1]) عبد الحكيم مرتاض، الطرق الصوفية بالجزائر، المرجع السابق، ص:170.

[2]) *Trumlet, L'Algérie légendaire Jourdan, Alger, 1982, p:172.*

[3]) *Si Hamza Boubekeur: Un* Soufi algérien, Sidi Cheikh, Edition Maison neuve et La Rose, Paris, 1990, pp:15-16.

[4]) لم يسلم سيدي الشيخ من بعض الفقهاء والصوفية المعاصرين له، فراحوا يهجونه ويتعرضون له، ولعل من أبرزهم أبو محلي الذي ألف فيه كتاب المنجنيق والاصليت فلعله كتاب " إصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت" وكتاب المنجيق لعله كتاب" منجنيق الصخور لهدم بناء شيخ الغرور ورأس الفجور" أو" المنجنيق لرمي البدعي الزنديق"، وأبو القاسم محمد بن عبد الجبار الفجيجي. اتصلنا بعميد كلية الآداب جامعة بنمسيك بالدار البيضاء عبد المجيد القدوري، وتحدثنا عن كتابه ابن أبي محلي الفقيه الثائر وتحقيقه لرحلته الإصليت الخريت.

[5]) عبد القادر خليفي، الطريقة الشيخية، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، ط2، 2010، ص:124.

تنتسب هذه الطريقة إلى الشيخ محمد العربي الدرقاوي[1]، حيث لازم شيخه علي الجمل بفاس، ويقال أنه اتصل به " بإلهام من الله أو منام، فأخذ سيدي علي الجمل في رميه بالحجارة، وقال له من أخبرك بأنني من أهل الخصوصية؟ اذهب إلى أمك، ففعل معه ذلك مرارا إلى أن حقق الدق منه"[2].

وقد وجدت هذه الطريقة أتباعاً ومريدين كثيرين[3] ببايلك التيطري وبايلك الغرب، حيث كان لدعاتها دور مهم في الأحداث التي عاشتها الجزائر مع نهاية القرن الثامن عشر الميلادي(12هـ/18م)، بعد أن نجح كل من ابن الأحرش في شمال قسنطينة وعبد القادر الشريف ببايلك الغرب في إثارة السكان ضد السلطة المركزية العثمانية. فالدرقاوية إذن انتشرت في الجزائر عموما وببايلك الغرب خصوصا في حياة مؤسسها، ونستنتج ذلك من بعض الأحداث التاريخية، كانتفاضة درقاوة بقيادة ابن الشريف وبين باي وهران[4] والتي انتصرت فيها درقاوة.

---

[1]) العربي الدرقاوي(1150-1239ه/1737-1823م) (أو محمد العربي) بن أحمد ابن الحسين بن علي، أبو عبد الله الدرقاوي الحسني: أول من نشر الطريقة الدرقاوية في المغرب، ولد ببني زروال بنواحي فاس، قرأ بها وتفقه وتصوف بفاس. تخرج على يده كثيرون قيل: خلف نحو أربعين ألف تلميذ. من مصنفاته: رسائل في التصوف"، و" بشور الطوية في مذهب الصوفية " وكتاب في ترجمة شيخه " علي الجمل " المتوفى سنة 1194 ه. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج4، ص:224.

[2]) أحمد بن عليوة المستغانمي، المواد الغيشية الناشئة عن الحكم الغوثية، المطبعة العلاوية، مستغانم، ط2، 1989، ص ص:199-200.

[3]) من جملتهم العربي بن عطية الغماري المسمى مولاي العربي الطويل، فلما توفي شيخه انتقل إلى الجزائر ليساهم في نشر الدرقاوية بها، فأخذ عنه عدة بن الموسوم بن غلام الله. ولقب بالطويل تمييزا له عن شيخه محم العربي الدرقاوي، وقد وقع في الخلط السيد جولي(Joly,A) في مقال له نشر بالمجلة الافريقية.

JOLY (A.), Étude sur les Chadouliyas, Rev. af., L, 1906,p:345.

[4]) ألف أبو راس الناصر المعسكري تأليفا حولها سماه" درء الشقاوة في حروب الترك مع درقاوة" وهو تأليف مهم إذ يرصد أسباب وظروف قيامها، وبحوزتنا نسخة مصورة من المخطوط غير أن خطه مكتوب بخط حديث وفيه بعض معلومات كتاب أنيس الغريب والمسافر. للإطلاع هذه الانتفاضة يراجع: مسلم بن عبد

5. الطريقة التجانية:

تنسب هذه الطريقة إلى مؤسسها الشيخ أحمد التيجاني(ت1231هـ/1815م)، تقوم هذه الطريقة على الجانب السلوكي من خلال الالتزام بالواجبات الدينية كالأوراد وقراءتها في أوقات محددة، إلى جانب الاستغفار والتهليل والذكر الفردي[1]. وقد كان لرحلات الشيخ التيجاني أثر كبير في سلوك طريق التصوفة لطبيعة الشخصيات التي التقى بها في كل المناطق التي زارها، واتصالاته بأهم الطرق الصوفية المعاصرة له.

وكان نطاق انتشار الطريقة التيجانية ببايلك الغرب، حيث شملت مدن عدة منها الأغواط[2](عين ماضي)، تلمسان وباقي النواحي الغربية[3].

6. الطريقة القادرية:

تنتسب هذه الطريقة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني[4]، وقد وجدت بالجزائر منذ القرن8هـ/14م، وقد مثلتها زاوية القيطنة على وادي الحمام، حيث يذكر أن

القادر، أنيس الغريب والمسافر في طريف الحكايات والنوادر، تح:رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، ط1974، ص ص:71-75.

[1]) محمد العربي بن محمد السائح، بغية المستفيد لشرح منية المريد، ضبط وتصحيح عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، ط2002، ص ص:266-269.

[2]) المهدي بن شهرة، الطرق الصوفية في الجزائر السنية، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، دط، ط2004، ص ص:28-37.

[3]) بعارسية صباح، حركة التصوف في الجزائر خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، رسالة ماجستير مخطوطة، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006/2005م، ص:94.

[4]) عبد القادر الجيلاني(471-561ه=1078-1166م) عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي: مؤسس الطريقة القادرية، من كبار الزهاد

أول شيخ للقادرية ببايلك الغرب هو عبد القادر بن أحمد المختار بن عبد القادر بن أحمد المختار بن محمد من الأشراف الأدارسة اشتهر بسيدي قادة وهو الجد الثالث للأمير عبد القادر، حيث اختص بتلقين الأوراد. وقد أسس الزاوية القادرية الحاج مصطفى بن المختار الغريسي(جد الأمير عبد القادر، ت1200هـ/1784م)، وتولى أمرها والد الأمير عبد القادر الشيخ محيي الدين، ثم خلفه بعد وفاته ابنه الأكبر الشيخ محمد العيد (أخو الأمير الأكبر). وأصبحت الزاوية فيما بعد معهدا للتدريس وتلقين الأذكار[1]. كما مثلتها زاوية كنتة بالجنوب الغربي من أبرز رجالاتها: الشيخ المختار الكنتي (ت1241هـ/1826م)، وكثر أتباعها وزواياها. فقد كان انتشارها ببايلك الغرب واضحا تجسد في مدن: الراشدية، غليزان حيث كان من أشهر مريديها سيدي محمد بن عودة، عين الصفراء، تلمسان، عين تموشنت، وبورقلة في شيخ مريدها محمد الطيب، وفي قالمة ببايلك الشرق في شيخ مريدها ابن النحال.كما لها امتداد بالمغرب الأدنى آنذاك[2].

والمتصوفين، ولد في جيلان. وانتقل إلى بغداد شابا، سنة 488 ه، فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، وبرع في أساليب الوعظ، وتفقه، وسمع الحديث، وقرأ الادب، واشتهر، وكان يأكل من عمل يده، كما وتصدر للتدريس والافتاء في بغداد سنة 528 ه.وتوفي بها. من أهم مصنفاته: " الغنية لطالب طريق الحق " و" الفتح الرباني " و" فتوح الغيب " و" بالفيوضات الربانية ". يوسف بن تغري بردي الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992، ج5، ص:371. وعبد الوهاب الشعراني، طبقات الشعراني المسماة لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، ج1، دار المعرفة للطباعة والنشر، دط، ط2005، ص ص:108-114، ومحمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1974، ج2، ص:2،. خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، دط، ط1986، ج4، ص:47.

[1]) بلهاشمي بن بكار، مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، ط1961، ص ص:336-338.

[2]) منصف التايب، الانشاد الصوفي والتاريخ في تونس من خلال السفاين القادرية والتجانية، مجلة الآداب العربية، تونس، ع180، سنة1997، ص:54.

7. الطريقة الكرزازية:

تعد هذه الطريقة من فروع الطريقة الشاذلية، وتنتسب إلى أحمد بن موسى الحسني الشريف، مولى كرزاز، يتصل نسبه بالولي الصالح عبد السلام بن مشيش[1]. ولد سنة(907هـ/1505م)، وعاش إلى أن تجاوز المائة إذ توفي سنة(1016هـ/1607م)، اشتهر بالعلم والصلاح والورع، وأخذ الطريقة الشاذلية اليوسفية عن الشيخ أحمد بن يوسف الملياني، وعن خليفته فيما بعد الشيخ محمد بن عبد الرحمن السهيلي، وصار مقدما للطريقة بالمنطقة الغربية. حيث أصبحت الزاوية بواحة كرزاز بغرب الصحراء ببايلك الغرب محط توافد العديد من المريدين والأتباع.

وعرفت هذه الطريقة انتشارا واسعا بمدن بايلك الغرب فأكثر أتباعها من حميان وتلمسان ومغنية وندرومة وسبدو وعين تموشنت[2]، وتليها من حيث الأهمية ناحية عين الصفراء، كما امتد نفوذها إلى المغرب الأقصى[3] في قبائل بني كيل، وأنكاد ووجدة، وبني يزناسن...[4].

8. الطريقة الطيبية(الوزانية):

---

[1]) ابن مشيش(ت622ه=1225م) عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر(منصور) بن علي (أو إبراهيم) الادريس الحسنى، أبو محمد: ناسك مغربي، اشتهر برسالة له تدعى " الصلاة المشيشية " شرحها كثيرون، وأحد شروحها مطبوع. ولد في جبل العلم، بثغر تطوان، وقتل فيه شهيدا، قتله جماعة بعثهم رجل يدعى ابن أبي الطواجين الكتامي (ساحر متنبئ) ودفن بقنة الجبل المذكور. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج4، ص:9.

[2]) *Rinn*, Louis, *Marabouts et Khouan*, étude sur l'Islam en Algérie, Typographie Adolphe Jourdan (Alger), 1884, pp:541-549.

[3]) Ibid, pp:541-549.

[4]) عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دارالثقافة بيروت، دط، ط1980، ج4، ص:33.

تنتسب هذه الطريقة إلى مؤسسها أبي محمد عبد الله بن ابراهيم الشريف الوزاني، بجبل العلم سنة(1004هـ/1596م)، ووزان(1089هـ/1678م) من نسل يملح بن عبد السلام بن مشيش من الأشراف الأدارسة، وقد هاجر من مسقط رأسه بشمال المغرب الأقصى، واستقرّ في بلدة وزان[1].

وقد تولى المشيخة بعد وفاته ابنه أبو عبد الله محمد(ت1120هـ/1708م) ثم تولاها حفيداه الأخوان التهامي بن محمد بن عبد الله(ت1127هـ/1715م)، وأبو عبد الله محمد الطيب(1181هـ/1767م) الذي أصبحت الطريقة تنسب إليه فسميت الطيبية[2]. وقد وصل صيت هذه الطريقة ببايلك الغرب، حيث عزم المتصوف الهاشمي بن علي بوشنتوف(من أهل القرن12هـ/18م) على الذهاب إلى منطقة وزان لأخذ الورد عنه، فكان له ما اراد وعمل على انتشار الطريقة الطيبية ببايلك الغرب لاسيما بلاد الراشدية ونواحيها وتلمسان وباقي المناطق المجاورة لها[3].

إن هذا العرض الموجز عن أهم الطرق الصوفية التي وجدت ببايلك الغرب خلال القرنين(11-12هـ/17-18م) أو تلك التي وفدت على البايلك، إنما في الحقيقة تعكس عن مدى تأثر الجزائر عموما والناحية الغربية خصوصا بمجريات الأحداث التي عرفها بايلك الغرب؛ ونظرا للدور الهام الذي كانت تلعبه جهاديا ودينيا واجتماعيا وروحيا وحتى ثقافيا وفكريا. وهو ما يفسر ازدهار طرق صوفية

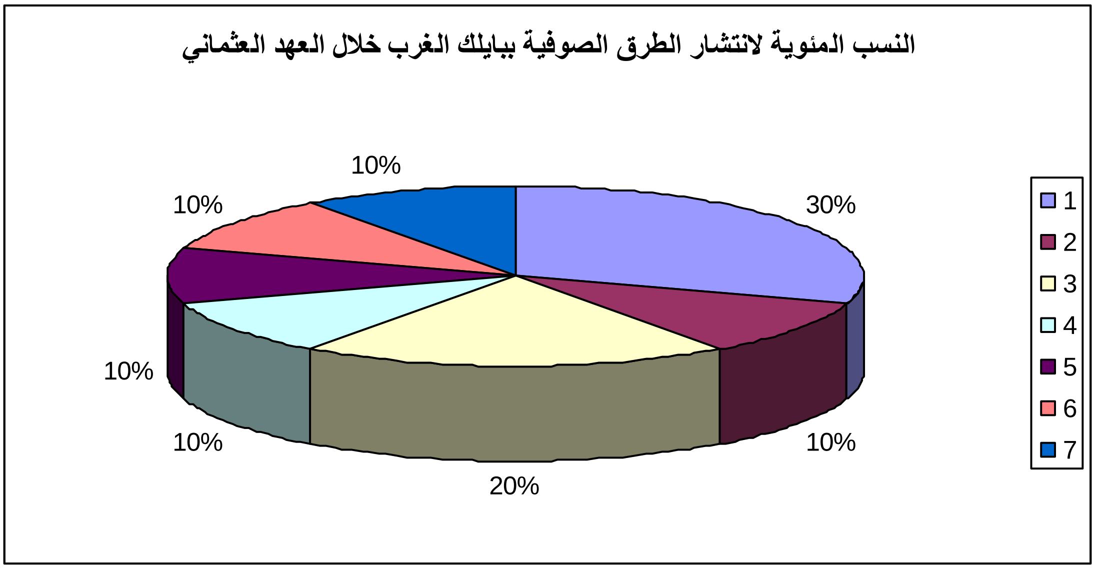
---

[1]) أصل تسمية المدينة راجع: الهاشمي بن بكار، مجموع الحسب والنسب، المرجع السابق، ص:75.

[2]) عبد الحكيم مرتاض، الطرق الصوفية في الجزائر، المرجع السابق، ص:196.

[3]) المرجع نفسه، ص:73.

وانكماش أخرى بسبب الدور المنوط بها من جهة وبسبب علاقتها بالسلطة المركزية من جهة ثانية.



إذا حاولنا تحليل المخطط الذي أمامنا نرى أنّ أكثر الطرق الصوفية ببايلك الغرب شيوعا هي الطريقة الدرقاوية بنسبة حوالي 30%، نظرا لعدة أسباب يمكن أن نجملها فيما يلي:

1. فساد نظام الحكم العثماني ممّا كان له بالغ الأثر على الرعية.
2. انضمام الرعية إلى صفوف الطريقة الدرقاوية.
3. تنامي قوة الطريقة الدرقاوية وانهزام السلطة العثمانية في بعض معاركها ضد الدرقاويين.

كما تأتي الطريقة القادرية في المرتبة الثانية بعد الدرقاوية ممثلة نسبة 20%، نظرا لوجودها القديم كما يذكر ذلك أبو القاسم سعد الله مستندا في ذلك إلى

ورود ذكرها عند حسن ابن باديس(ت787هـ/1385م) في سينيته. تليها باقي الطرق بنسب تكاد تكون واحدة[1].

---

[1]) عبد القادر صحرواي، التصوف والمتصوفة في الجزائر العثمانية ما بين القرنين 16و18م، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة سيدي بلعباس، 2008/2009م. ص:23.

الباب الأول: جهود المتصوفة العلمية في علوم الشريعة

الباب الأول: جهود المتصوفة العلمية في علوم الشريعة

تعد الفترة التي نحاول تغطية بعض جوانبها العلمية[1]، كما يصطلح على تسميتها أبو القاسم سعد الله بعصر التخلف العلمي" ذلك أن الناس تعودوا على ربط الازدهار العلمي بالتحرر العقلي، كما تعودوا على الربط بين التخلّف السياسي

[1]) الواليش فتيحة، الحياة الثقافية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن18م، رسالة ماجستير مخطوطة، جامعة الجزائر،1994/1993، ص:170.

والتخلف العلمي"[1]. بمعنى أنّ الحياة الثقافية خلال القرنين(17و18م) كانت ضعيفة المسار ومهمّشة من طرف الجهات الرسمية، ومردّ ذلك إلى عدم الاستقرار السياسي الداخلي من جهة، ومواجهة العدو الخارجي(الإسباني) من جهة ثانية. ومع ذلك فإنّ الجوّ العام لم يمنع من وجود نخبة من المتصوفة من علماء وفقهاء ومؤرخين أو من المنتسبين إلى إحدى الطرق الصوفية، من أن تكون مساهمتهم في مجالات العلم المختلفة.

لقد حاولنا جهد الامكان العثور على المصنفات المخطوطة التي تبين مساهمة المتصوفة في مجال أصول الشريعة. غير أن هناك بعض المؤلفات لبعض المتصوفة؛ تم اكتشافها مؤخرا تؤيد قول أبي القاسم سعد الله من أنّ" بعض المؤلفات المذكورة (في مختلف التخصصات) قد تناوله الكتّاب بالبحث وبعضه ما يزال يعتبر في حكم المفقود"[2].

الفصل الأول: المساهمة في التوحيد والتصوف

انتشر خلال العهد العثماني علم التوحيد والعقيدة، والمنطق، والتصوف، لقد كان إنتاج علمائه مصبوغا بالزهد والموعظة والالتزام بمبادئ التصوف والزهاد، وتلون إنتاجهم الأدبي بلون التصوف الذي يتصل أحيانا بعلم الكلام والمنطق[3].

---

1) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ في الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت. لبنان، ط1، 1990 ج3، ص:185.

2) المرجع نفسه، ج3، ص:192.

3) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، من القرن العاشر إلى الرابع الهجري(16- 20م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1981، ج2، ص:95.

وهذا ما سنحاول أن نركّز عليه من خلال التعرض بالتحليل والدراسة إلى نماذج من مؤلفات هؤلاء المتصوفة ومساهمتهم العلمية خلال هذا العهد.

إنّ الحديث عن علم التوحيد بإيالة الجزائر عموما، وببايلك الغرب خصوصا، يقودنا إلى دراسة واستكشاف جوانب المساهمة العلمية لمتصوفة بايلك الغرب في مجال التوحيد والتصوف. فالخوض فيه ليس سهلا ويسيرا، ومرد ذلك إلى التبديد الذي أصاب التراث الكلامي بهذه المنطقة. ولا ننكر وجود بعض الدراسات التي قدمت حول علم التوحيد بالغرب الإسلامي عموما، فرغم ندرتها وأهميتها وريادتها وجهود مؤلفيها، قد لا تتيح لنا " قراءة هؤلاء المتكلمين بعيونهم، وقد لا تقدم لنا صورة دقيقة للمذاهب الكلامية في الغرب الإسلامي"[1].

فأهمية علم التوحيد وضرورة إحيائه وتفعيله، تكمن في مدى اهتمام متصوفة بايلك الغرب مثلا بالإرث الكلامي العقلي الضخم الذي خلفه القدماء في زمنهم، ومحاولة منهم في إحياء الفكر الأشعري، واستلهام درره. وهذا ما سنحاول إبرازه هنا من خلال التطرق إلى بعض مصنفات هؤلاء المتصوفة وجهودهم الحثيثة في خدمة المذهب الأشعري.

1/ التوحيد:

شاع لدى المتصوفة ببايلك الغرب استعمال تعبير علم التوحيد وعلم الكلام وأصول الدين على حدّ سواء، وكان يعتبر من أهم العلوم وأجلّها. فقد عرّفه مصطفى الرماصي[2] بقوله:" علم الكلام أوثق العلوم دليلا، أو أوضحها سبيلا،

---

[1]) عبد المجيد الصغير، تجليات الفكر المغربي، دراسات ومراجعات نقدية في تاريخ الفلسفة والتصوف بالمغرب(المكتبة الفلسفية)، شركة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص:5.

2) مصطفى الرماصي(ت1136هـ/1723م): مصطفى بن عبد الله بن موسى الرماصي القلعي، نسبة إلى رماصة، قرية من قرى الوطن الراشدي. عالم من علماء القرن الثاني عشر الهجري، له اهتمامات بعلم التصوف؛ حلاه صاحب كتاب تعريف الخلف برجال السلف"بالعلامة المتفنن، المحقق والجهبذ النقاد المدقق،

وأشرفها فوائد، وأنجحها مقاصد، إذ به تعرف ذات الحقّ وصفاته، ويصرف عنه ما لا يليق به ولا تقبله ذاته، وقد شرف كل علم بحسب معلومه، وقد صنف في ذلك ما لا يحصى كثرة من الدواوين والمختصرات، وقد اعتنى في هذا الزمان بمقدمة الشيخ الولي الصالح محمد بن يوسف السنوسي[1]، المسماة بصغرى السنوسي، لعظم فوائدها وبركة مؤلفها..."[2].

ولهذا العلم عدة أسماء، فيسمّى بـ"أصول الدين"، لأنه يقوم بتصحيح الإيمان، وبـ"علم التوحيد"، لأنه يثبت الوحدانية لله تعالى في جميع الكمالات، وبـ" علم العقائد والمعتقدات"، لأنه يشتمل على ما يجب اعتقاده في حقه تعالى وفي حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وبـ" علم الصفات"، لأنه يبرز صفات الله تعالى وصفات الرسل عليهم الصلاة والسلام، ويسمى بـ"علم الكلام" إمّا لكثرة

من أذعنت له في وقته الأقران، ولم يختلف في فضله وسعة علمه اثنان، وتزاحم على بنات فكره وعرائس سره الداني من أهل العلم والأقاصي"، وهذه العبارات الطنانة شهادة على اتساع معرفته وعلو مكانته بين علماء عصره. تعلم على أشهر علماء وقته، من بينهم سيدي عمرو التراري المشرفي والذي رثاه بقصيدة طويلة. وكذا علماء مازونة، التي أخذ عن كبار علمائها، ويضيف صاحب تعريف الخلف قائلا:" وموضع درسه في مسجدهم إلى الآن مشار إليه ومتبرك به ويتنافس الطلبة على الجلوس فيه". ثم ارتحل إلى مصر في طلب العلم، فأخذ عن فطاحلة علمائها. وللشيخ مصطفى الرماصي مؤلفات مشهورة، منها شرحه على متن السنوسية، إلا أن أبرزها يبقى تأليفه المتعلق بحاشيته على شرح التتائي. ولقد صنف فيه كثيرا من الأئمة العلماء كالبناني والرهوني. انظر تعريف الخلف برجال السلف، ج2، ص:571.

1) من الذين قاموا بدراسات وافية حول السنوسي نذكر: محمد بن ابراهيم الملالي في المواهب القدسية في المناقب السنوسية(مخطوط)، والقول الأحوط لجورج دلفان(مخطوط)، وثبت البلوي(مطبوع)، ودوحة الناشر(مطبوع)، ودرة الحجال في أسماء الرجال(مطبوع). المصادر الفرعية: تعريف الخلف للحفناوي، البستان لابن مريم، تاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله، السنوسي وعلم التوحيد للدكتور بوكلي.

2) مصطفى الرماصي، حاشية على أم البراهين للسنوسي المسماة بصغرى السنوسي، مخطوط خزانة الشيخ البشير محمودي، البرج معسكر. كما اطلعنا على نسخة منها بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم: ك 2499، ضمن مجموع في حوالي 300 ورقة.

الكلام فيه، وإمّا لأنّ علماء الفن يقولون الكلام في القدرة كذا والكلام في السمع كذا"[1].

معنى هذا أن هؤلاء المتصوفة توقفوا مليا عند علم التوحيد وقضاياه وإشكالاته، إما بطريقة مبسطة أو بطريقة معمقة، تقوم على المنطق وآليات اشتغاله وطرق براهينه واستدلاله[2]. ومن هنا تعد مؤلفاتهم من الأهمية بمكان في الحديث عن هذا العلم وتفصيل مجملاته ودفع المشبهات عنه، فهو" يسعى إلى تنزيه الذات الإلهية والدفاع عن الوحدانية، ودحض العقائد الفاسدة اتجاه الألوهية"[3].

وقبل الحديث عن المساهمة العلمية لمتصوفة بايلك الغرب في مجال علم التوحيد لا بد من إعطاء لمحة خصوصا عن اهتمام علماء بايلك الغرب بعلم التوحيد وبالمذهب الأشعري، وتاريخ انتشاره بالمنطقة.

1-1 انتشار المذهب الأشعري ببايلك الغرب:

تختلف آراء الباحثين والمؤرخين في من أدخل مبادئ المذهب الأشعري من الأوائل إلى بلاد الغرب الإسلامي، إلا أنها جميعها تكاد تجمع على أن إرهاصات هذا المذهب ظهرت خلال القرن(4هـ/8م)، ومنهم من يرجعه إلى حياة أبي الحسن الأشعري، ومن المؤكد أن هذا المذهب كان موجودا ومعروفا زمن المرابطين.

ويتضّح ذلك من خلال ما أورده محمد بن تاويت الطنجي خلال تقديمه لكتاب "ترتيب المدارك"، إذ يقول عن المدرسة الأشعرية المغربية زمن المرابطين: "هذه المدرسة المغربية كانت على علم تام بالجدل والمناظرة وأصول الدين والكلام

---

1) محمد بن عبد السلام البيجري، فتح الرحمن لأقفال أم البرهان، مخطوط خزانة عــلال الفاســي، الربــاط، رقم:97، و:10ظ.

[2]) عبد الإله لغزاوي، مونوغرافية المقدس بمدينة مكناس، مقاربة لظاهرة الأولياء في تجلياتها الثقافية والأدبية ودراسة آليات اشتغال الكتابة، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1،2010، ج2، ص:806.

[3]) محمد بن عبد السلام البيجري، فتح الرحمن لأقفال أم البرهان، وظ:11، وو:15.

على مذهب أبي الحسن الأشعري، وإن كتب الأشاعرة في علم الكلام كانت معروفة بين رجال المغرب يتدارسونها في كافة أنحاء المغرب.."[1] ، ومما يؤيد كلام ابن تاويت هذا ما لمّح إليه الناصري في "الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى"، حيث يقول بعد أن نقل كلام ابن خلدون[2] وانتصر له، ثم تحفظ قليلا فقال: "...وإن كان (المذهب الأشعري) قد ظهر في المغرب قبل ابن تومرت ظهورا ما..."[3].

ثمّ إنّ القول بأنّ بداية دخول الفكر الأشعري رسميا إلى بلاد المغرب زمن المرابطين، فيه إشارة إلى أن المذاهب الكلامية التي سبقت المدرسة الأشعرية كانت قد تسرّبت إلى بلاد المغرب خصوصا مع بداية القرن الثاني الهجري بدخول العرب الفاتحين إلى بلاد الغرب الاسلامي عموما وبايلك الغرب خصوصا[4].

وقد أسهمت الأشعرية رفقة المذهب المالكي والتصوف السني في إحداث نوع من الانسجام المذهبي والعقدي بإيالة الجزائر عموما، وببايلك الغرب خصوصا، وهذا ما أدى إلى بروز اتجاهات عقدية غير أشعرية عند بعض علماء إيالة الجزائر من قبل أي بعد القرن السادس الهجري؛ فإن التعبير عن الخلاف كان

1) حسن حنفي، " تجديد علم الكلام الأسس الدوافع والغايات"، وهو عبارة عن حوار أجرته معه " مجلة " المنطق" العدد المائة والعشرون، ربيع صيف 1988م، ص:162. القاضي عياض بن موسى السبتي ، ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح: محمد بن تاويت، دط، الرباط، المطبعة الملكية، المحمدية، فضالة. ص:34.

2) ابن خلدون يرى أن المذهب الأشعري دخل المغرب في عهد الموحدين، على يد المهدي بن تومرت. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج7، ص:123.

3) أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى، ج1، ص:140.

[4]) بنسعيد العلوي سعيد، الخطاب الأشعري، مكوناته وآلياته المعرفية، دكتوراه دولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، 1989، تحت إشراف محمد عابد الجابري، ص ص:37-40.

محصورا في السجال العلمي[1]. ولم تتحول الأشعرية إلى موضوع نقاش وأخذٍ وردٍ في مجتمع الإيالة الجزائرية عموما؛ إلا بعد أن تعرضت لهجوم ممنهج في العقود الأخيرة.

1- 2 اهتمام متصوفة بايلك الغرب بالتوحيد:

ويذهب بعض الباحثين أمثال الأستاذ احنانة يوسف والأستاذ المغرواي محمد، إلى أنّ مذهب الأشاعرة يدعو إلى أنه لا تقليد في العقيدة وأصول الدين وخاصة لدى الإمام السنوسي، إلا أن هذا الاجتهاد والنظر في تقرير العقيدة انقطع مع الإمام السنوسي إذ لم يأت بعده من اتبع العقيدة كما اتبعها ممن سبق ذكرهم كإمام الحرمين والرازي والامام السنوسي[2]. بل جل من جاء بعد الامام السنوسي إمّا شارحا أو مختصرا أو ناظما لما دعى إليه هؤلاء العلماء، وهذه ميزة أخرى للإمام السنوسي تجعل منه آخر مجدد للمذهب الأشعري في العالم الإسلامي وأول منظر له ببلاد الغرب الاسلامي[3].

وعليه يمكن اعتبار محمد بن يوسف السنوسي مجددا للمدرسة الأشعرية في المغرب كما أن الإمام الرازي مجددها في المشرق، فقد ذكر ابن عساكر أنّ السنوسي:" كان من مشايخ المائة التاسعة وتوفي على رأسها فكان ممن جدد لهذه

[1]) المغراوي محمد، تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي، التاريخ والفقه: أعمال مهداة إلى المرحوم محمد المنوني، إنجاز الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر؛ تنسيق محمد حجي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، المملكة المغربية، ط2002، ص ص: 133-153.

[2]) احنانة يوسف، تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، دبلوم دراسات عليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، 1995، تحت إشراف محمد عابد الجابري، ص:22.

3) يوسف الكتاني، "التجديد والاجتهاد مظهر أصالة الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان"، " مجلة الإحياء "، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1981، ع1، ص ص: 45- 63.

الأمة أمر دينها على رأس تلك المائة".[1] وقد أخذ عن الإمام السنوسي عقيدته عدد من المتصوفة، أمثال الصباغ القلعي الذي قال:" أخذت العقيدة المعروفة بالسنوسية وأم البراهين والمقدمة المعروفة بالمقدمات والمقدمة المعروفة بصغرى الصغرى ثلاثتهم(كذا) للإمام أبي عبد الله محمد السنوسي وشروحهم كذلك عن خلق كثير منهم أستاذي إبراهيم ابن الشيخ موسى المنشاوي عرف بالفيومي وعلى سنده مختصر للاختصار وهو تلقاها عن خلق كثير..."[2].

ويكمن سرّ اهتمام متصوفة بايلك الغرب بعقيدة السنوسي كونها تعد أحد الرموز المقدسة التي تناولت موضوع التوحيد بالدراسة وشرح مفاهيم تتعلق بالايمان بالله عقلا وليس تقليدا، واعتمادا على ميكانيزمات البرهنة والاستدلال، فهو بحث في الجانب الديني للألوهية انطلاقا من تصور الواجب والمستحيل والجائز ومعرفة حقائقها. ومن هنا كان علم التوحيد من العلوم التي أولى لها المتصوفة ببايلك الغرب عناية خاصة. وهذه الشهرة والمكانة الكبيرة التي حظيت بها كتب السنوسي تترجمها كثرة الشروح والحواشي والمنظومات التي وضعها العلماء عليها، سواء منها ما يتعلق بعقيدته الصغرى التي نالت قصب السبق، أو بعقيدتيه الوسطى والكبرى[3].

1) محمد الصغير الإفريني، صفوة ما انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء،ط1، 2004 ص:109.

2) عبد الرزاق ابن حمادوش، رحلة ابن حمادوش الجزائري: لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال، تح: أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، دط، 1989 ص:272.

3) عبد الخالق أحمدون، " عناية المغاربة بالعقيدة الأشعرية "، مجلة التاريخ العربي، الرباط، ع51، 2010، ص:114.

لقد تداول متصوفة بايلك الغرب الجزائري مؤلفات السنوسي[1] في علم الكلام بشكل كبير. كما شرحوا ونظّموا وهذبّوا ووضعوا الحواشي على مؤلفات السنوسي؛ ويتضح ذلك من خلال ما أقرّه صاحب القول الأحوط بقوله:"ومنها تآليف السنوسي[2] وهي الكبرى والوسطى والصغرى وصغرى الصغرى والمقدمة وله على كل واحد منها شرح جليل وعليها من الشروح عدة منها: حاشية اليوسي على الكبرى وغيرها وهو العلامة أبو الحسن ابن مسعود اليوسي تلميذ القطب سيدي أحمد بن ناصر الدرعي، وكان اليوسي وشيخه من أهل القرن الثاني عشر، ومنها شروح الشيخ نفسه، ومنها شرح الغدامسي..."[3].

وما يمكن الاشارة إليه أن الاهتمام بمؤلفات بايلك الغرب قد حظيت بالدراسة والعناية من طرف متصوفة المغرب الأقصى خصوصا حاشية مصطفى الرماصي على السنوسية، وشرح أحمد المقري المسمى" إفادة المغرم بتكميل شرح الصغرى"، وشرح تلميذ السنوسي محمد بن عمر الملالي التلمساني المسمى " المواهب القدسية في المناقب السنوسية"[4]، تلك هي التي تعتبر لدى متصوفة المغرب الأقصى وإلى الآن عمدة في التدريس والتلقين.

---

[1]) جمال الدين بوقلي حسن، يوسف السنوسي وعلم التوحيد، المؤسسة الوطنيـة للكتـاب، الجزائـر، ط1985، ص:140.

[2]) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي دفين تلمسان وتقدم الكلام عليه. محمد الربيع، "الإمـام السنوسـي عالم تلمسان"، حوليات جامعة الجزائر، الجزائر، ط1992- 1993، ع7، ص ص:23-36.

3) جورج دولفان، القول الأحوط في أسماء الكتب المتداولة بالمغرب الأقصى والأوسط، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم: 3245، و:18ظ.

[4]) محمد بن عمر الملالي التلمساني، المواهب القدسية في المناقب السنوسية، مخطوط خزانة البشير محمودي، البرج، معسكر.

إلى جانب شروح علماء الراشدية[1] فمنهم عبد القادر بن خدة[2]...كان من أهل القرن التاسع، ومنهم أحمد أقدار التجاني دفين عين السدرة بغريس، منهم أحمد بن خدة[3]، ومنهم منصور بن عبد الرحمن، ومنهم علي بن يسعد، ومنهم أبو علي، ومنهم سيدي محمد بن يحي مقرئ الجن تلميذ السنوسي وهو أول من بث التوحيد بغريس، وكل هؤلاء من أهل القرن التاسع من علماء غريس وغاب عني التعريف بهم وتاريخهم وعليك بالعقد النفيس لأبي زيد وشارحه الجوزي المسراتي وغيرها، ومنهم أبو عبد الله محمد المصطفى الرماصي المتوفى سنة(1139هـ/1727م)[4]، وقيل سنة(1136هـ/1724م)، وقيل أيضا سنة(1150هـ/1738م)، ومنهم حافظ بايلك الغرب محمد أبو راس الناصر المعسكري[5]، وممن شرحها الشيخ الملالي

1) كانت خلال العهد العثماني حاضرة علمية شهيرة، قال الإمام الرماصي في بعض أجوبته:"وأراك أيها السائل تحتفل بكلام عبد الباقي وذلك بمعزل عن التحقيق لأن شرحه وشرح الخرشي لا نكترث بهما في بلادنا الراشدية لعدم تحقيقهما...". محمد الأعرج، تسهيل المطالب لبغية الطالب، ضمن مجموع الحسب والنسب للشيخ الهاشمي ابن بكار المعسكري، المطبعة الخلدونية، ص:371.

2) هو الإمام أبو محمد عبد القادر بن أحمد: الظاهر أنه من تلاميذ السنوسي قال فيه عبد الله الونشرسي في كتابه "البستان في ذكر العلماء الأعيان":"إمام جليل القدر واسع الصدر له عظمة عند الخاصة والعامة وله تبحر في علم النحو واللغة والحساب والفرائض وعلم التوحيد فتح الله له عليه فيها حفظا واضطلاعا ونقلا وتوجيها مما لا مطمع لسواه في زمانه حاز رياسة غريس بعد موت أصحابه وشدت له الرجال الرحال من المغرب والمشرق..". محمد المزيلي، فتح الرحمن على شرح عقد الجمان النفيس، مخطوط خزانة الشيخ البشير محمودي، البرج معسكر، و: 346 ظ.

3) الظاهر أنه أخو الإمام عبد القادر السابق، وخدة مرضعتهما على ما قاله المزيلي صاحب فتح الرحمن. أنظر: مخطوط فتح الرحمن على شرح عقد الجمان، و: 348و.

4) عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية إسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين(3ه/14م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1975، ص:364.

5) حمدادو بن عمر، أبو راس الناصر المعسكري وكتاباته التاريخية، رسالة ماجستير مخطوطة، إشراف أ.د.عبد المجيد بن نعمية، المعهد الوطني العالي للحضارة الاسلامية وهران، عام2003م.

بثلاثة شروح كبير وصغير ووسط "[1]. وهو ما سنراه فيما بعد ضمن نماذج متصوفة بايلك الغرب في مجال التوحيد.

هكذا يتضح لنا جليا أنه لم يبق في أيدي العلماء وطلبة العلم ببلاد المشرق وبلاد الغرب الاسلامي لدراسة العقيدة إلا كتب السنوسي ممّا يدل على أنه تبوأ مقام التجديد في الدين عامة، وفي التوحيد خاصة.

1- 3 مساهمة المتصوفة في التوحيد:

لقد لاقت كتب السنوسي رواجاً كبيراً في أوساط العلماء وطلبة العلم، وانبرى الشيوخ لتدريسها وقراءتها وشرحها، خاصة عقيدته الصغرى المسمّاة " أم البراهين" التي حظيت بشهرة كبيرة وإعجاب بالغ، حتى قال عنها تلميذه محمد بن عمر الملالي التلمساني: " إنها من أجل العقائد، ولا تعادلها عقيدة من عقائد من تقدم ولا من تأخر"، وقال فيها الشاعر المجاهد محمد بن يجبش التازي (ت:921):(بحر البسيط)

لَوْ أَبْصَرتَ عَيْنَاكَ حَسَنُ عَقِيدَةٍ   قَدْ صَاغَهَا هَذَا الإِمَامُ الأَوْحَدُ
لَرَأَيْتُ مَا يَجْلُو القُلُوبَ مِنْ الصَّدَا   وَيَنِيلُهَا نُوراً حَكَاهُ الفَرْقَدُ
فَعَلَيْكَ يَا نِعْمَ الحَبِيبُ بِدَرْسِهَا   تُدْرِكُ فَوَائِدُ دُونَهَا لاَ تُوجَدُ
فِي شَرْحِهَا ظَهَرَتْ غَرَائِبُ عِلْمِهِ   فَاقْصُدْ إِلَيْهِ وَرُدْ فَنِعْمَ المَوْرِدُ[2]

---

1) جورج دولفان، القول الأحوط في أسماء الكتب المتداولة بين المغرب والأوسط، المصدر السابق، و:88ظ.

[2]) محمد بن عمر الملالي التلمساني، المواهب القدوسية في المناقب السنوسية، مخطوط خزانة الشـيخ البشـير محمودي، البرج معسكر، وو: 236-237.

ويعد القرن التاسع الهجري مرحلة فاصلة في تاريخ علم الكلام الأشعري[1] بإيالة الجزائر عموما وببايلك الغرب خصوصا، حيث تميزت بالتراكم الكبير في المؤلفات العقدية، يمكن أن نطلق عليها المرحلة السنوسية نسبة إلى عالم تلمسان أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي (ت.895هـ) الذي هيمنت كتبه في العقيدة وشروحها على الساحة الفكرية، وشهدت إقبالاً منقطع النظير من قبل طلبة العلم والحفاظ والشرّاح والمُعلِّقين، وطغت على حلقات الدرس ومجالس العلم في الحواضر والبوادي ببايلك الغرب، وأصبحت معتمداً في أخذ الإجازات على قراءتها، مما دفع البعض إلى اعتبارها مرحلة مستقلة بذاتها في تاريخ المذهب الأشعري بإيالة الجزائر (المغرب الأوسط)[2].

وقد دشّن أبو عبد الله السنوسي هذه المرحلة بمحاربة التقليد وإحياء الاجتهاد، بعد فساد عقائد الطلبة والفقهاء، وإحجامهم عن النظر في أدلة التوحيد، وإهمالهم لكثير من مراشدهم[3]، من هنا وجب على طلاب العلم تحصيل العلوم من طريقها الأصلي، وهو الاجتهاد في النّظر والتعلم من العلماء، وملازمة حلقات الدّرس والرحلة في طلب الفوائد[4].

---

[1]) حول علم الكلام بالغرب الاسلامي، يراجع: بناصر البعزاتي، "مآل علم الكلام عند ابن حزم والباجي"، تنسيق: علي الادريسي، سلسلة ندوات ومناظرات رقم:118، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص ص:169- 215.

[2]) احنانة يوسف، تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص:114.

[3]) المرجع نفسه، ص:127.

[4]) عبد الخالق أحمدون، عناية المغاربة بالعقيدة الأشعرية، المرجع السابق، ص:02.

وقد تمكّن السنوسي من تحقيق رسالته، وتبليغ أفكاره إلى مناطق واسعة من إيالة الجزائر (بلاد المغرب الأوسط) وخارجه، وأصبحت كتبه مرجعاً أساسياً يعتد به كل طالب علم أو مشتغل بعلم الكلام[1].

ولقد أسهم متصوفة بايلك الغرب في مجال علم التوحيد أو ما يصطلح عليه بعلم الكلام، فنجد مثلا مصطفى الرماصي يضع حاشية[2] على صغرى السنوسي، يتناول فيها علم الكلام، بل كان من الذين حثوا على تعلمّه معرفا إياه بقوله:" علم الكلام أوثق العلوم دليلا، وأوضحها سبيلا، وأشرفها فوائد، وأنجحها مقاصد، إذ به تعرف ذات الحقّ وصفاته، ويصرف عنه ما لا يليق به ولا تقبله ذاته، وقد شرف كل علم بحسب معلومه، وقد صنف في ذلك ما لا يحصى كثرة من الدواوين والمختصرات، وقد اعتني في هذا الزمان بمقدمة...محمد بن يوسف السنوسي، المسمّاة بصغرى السنوسي، لعظم فوائدها وبركة مؤلفها..." [3].

---

[1]) نذكر منها: العقيدة الكبرى، وتسمى عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمات الجهل وربقة التقليد المرغمة أنف كل مبتدع عنيد، شرح العقيدة الكبرى، ويُتسمى عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد، العقيدة الوسطى وشرحها، العقيدة الصغرى وتسمى أم البراهين أو السنوسية وشرحها عقيدة صغرى الصغرى، أو صغيرة الصغرى، وتسمى بالحفيدة وشرحها، المقدمات، وهي مجموعة مفاهيم في أصول الفقه وأصول الدين جعلها مدخلاً لفهم عقائده الكبرى والوسطى والصغرى، شرح على منظومة شيخه أبي العباس أحمد بن عبد الله الجزائري (ت.884ه) المسماة كفاية المريد في علم التوحيد، شرح على منظومة تلميذه أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الحوضي (ت.910ه) المسماة: واسطة السلوك، شرح على مرشدة ابن تومرت، شرح جواهر العلوم لعضد الدين الأيجي. المرجع نفسه، ص:03.

2) ويبرز مصطفى الرماصي غرضه من تأليف حاشيته بقوله:" رغب من بعض الإخوان، جمعني وإياهم في فراديس الجنان، ومتعني وإياهم برؤية من غير مؤاخذة ولا امتحان، أن أضع عليها شرحا، فأجبته فيما يرغب واستفته لما طلب، وإن كنت لا طاقة لي بذلك ولا لي يدان فيما هنالك، لكن لحسن ظنه الجميل، عسى الله أن يهديني سواء السبيل". مصطفى الرماصي، حاشية الرماصي على صغرى السنوسي، و:1و.

3) محمد بن عبد الله بن مؤمن مصطفى الرماصي، حاشية الرماصي على صغرى السنوسي، مخطوط خزانة الشيخ البشير محمودي، البرج معسكر. و:1و.

هناك بعض العوامل في رأينا، تعزز اختيار هؤلاء المتصوفة لعقيدة السنوسي، تتلخص أساسا في رغبة أهل الغرب الاسلامي عموما في الاستقلال السياسي والفكري عن المشرق، وميلهم إلى الوحدة السياسية والفكرية والمذهبية. ورغبة متصوفة بايلك الغرب من تداول كتب السنوسي، خصوصا ما تعلق منها بالعقائد مثل كتابيه العقيدة الصغرى(أم البراهين) والعقيدة الكبرى(عقيدة أهل التوحيد والتسديد) ومختلف شروحهما[1].

ولعلّ من أهم المباحث التي تطرق إليها مصطفى الرماصي ضمن حاشيته، تلك المتعلقة بصفات المعاني[2] كالقدرة والإرادة، والعلم، والحياة والسمع والبصر والكلام. وصفات الكمال لله تعالى كثيرة[3]. استطاع السنوسي أن يرسّخ العقيدة الأشعرية في نفوس متصوفة إيالة الجزائر عموما ومتصوفة بايلك الغرب خصوصا، ويبعث فيها حياة جديدة ويمدها بدم جديد جعلها تواصل مسيرتها وتمارس هيمنتها، بالرغم من بروز بعض خصومه من معاصريه الذين عارضوه في بعض المسائل خاصة في مسألة إيمان المقلد، ورؤية المعدوم. كأحمد بن زكري التلمساني(ت.900هـ) الذي وضع منظومة محصّل المقاصد ردّ بها على السنوسي.

---

1) اشتهر بتدريسها العلماء المتصوفة المغاربة، في حلقات العلم بالجوامع والزوايا والمعاهد العلمية المعروفة آنذاك. مثل" مدرسو تامكروت، واعتبرها البعض من كتب المبتدئين". أحمد بن محمد عمالك، جوانب من تاريخ الزاوية الناصرية، من النشأة إلى وفاة الشيخ محمد الحنفي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، المملكة المغربية، ط1، 2006، ص:317.

2) والمراد بها تلك الصفات الموجودة في نفسها، وهي بالنسبة للذات العلية؛ كل صفة قائمة بذاته سبحانه وتعالى، تستلزم حكما معينا له، كقيام القدرة بالذات، فإنه يوجب كونه قادرا. مصطفى الرماصي، حاشية الرماصي على صغرى السنوسي، المصدر السابق، و:15ظ.

3) ينظر: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الصفات الإلهية تعريفها، أقسامها، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية،ط1، 2002، ص:58.

وعلى ما يبدو فإن مكانة الرماصي هذه لم تكن ترتبط ببراعته فحسب؛ بل إلى تعزيز العثمانيين للمذهب المالكي بالمذهب الحنفي، واعتماد هذا الأخير كمذهب رسمي للدولة آنذاك[1]. ومن زاوية أخرى نجد أنّ إلحاح الرماصي على أهمية وضرورة تعلم علم الكلام؛ إنما هو تبرك بمؤلفها. إن هذا الاعتقاد الراسخ في أذهان المتصوفة ولّد شعورا بضرورة الاهتمام بهذه الحاشية وبمكانة مؤلفها.

ولعلّ شهرة مصطفى الرماصي هي التي مكنت حاضرة تلمسان من تبوء مكانة مرموقة، اعترف لها بها علماء بلاد المغرب العربي[2]. حيث كان منبع علم التوحيد بشهادة ممّن ألفوا في علم التوحيد، ولعلّ من أبرزهم علماء تلمسان والمغرب الأقصى، أمثال أحمد المقري صاحب كتاب نفح الطيب الذي قال عنه:" أن سنده في علم التوحيد يتصل بعلماء الراشدية العارفين بهذا الشأن"[3]. وكذلك قول الشيخ السكتاني قاضي مدينة مراكش الذي قال في حاشيته على الصغرى حاكيا عن مصطفى الرماصي قوله:" أنّ سنده في هذا الفن – علم التوحيد – يتصل بعلماء الراشدية"[4] واصفا إياها بأنها منبع علم التوحيد.

وممّا تجدر الإشارة إليه في هذا المقام إنه إذا ذكر مصطفى الرماصي فإنه يذكر على أنه فقيه محقق لعلم التوحيد وبه اشتهر، دون أن يذكر عالم كلامي متفنن فيه. غير أنّ هذه الإشارة – عالم كلامي– لها دلالتها وأبعادها في تقدير

[1]) لحسن جاكر، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مينة معسكر(1931–1956) دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران الجزائر، ط1، 2003، ص:48.

[2]) المرجع نفسه، ص:48.

[3]) ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، ص ص:170–171.

[4]) عيسى السكتاني(ت1062هـ/..–1652م) عيسى بن عبد الرحمن السكتاني، المالكي (أبو مهدي) فقيه، متكلم، مشارك في علوم أخرى. ولد بمراكش، وبها نشأ، وأفتى بها وقضى، وتوفي بها، وقد ناف عن المئة. من تصانيفه: حاشية على شرح أم البراهين للسنوسي في العقائد، وبغية الظمآن من فوائد أبي حيان. عمر كحالة، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت، دط، 1993، ج8، ص:26.

منزلة الرجل، " فالصغرى أو أم البراهين، إلى جانب عقيدة أهل التوحيد، وهي العقيدة الكبرى، والعقيدة الوسطى من أهم المتون التي اهتم بها متصوفة بايلك الغرب اهتماما بالغا"[1]، وخصوصا مصطفى الرماصي.

ومن بين المآخذ التي نلحظها على كلام مصطفى الرماصي، أنه لم يذكر المنهج الذي سار عليه في تعليقه على علم التوحيد، بل دخل مباشرة في صلب الموضوع، فبدأ يبّين ألفاظ ومعاني كلام السنوسي[2]. ولكن الحقيقة غير ذلك فكما جرت بعض عادة الأوليين أنهم يتطرقون إلى ذكر ذلك من خلال تلك الشروحات والألفاظ والمعاني حتى يستقرئها الباحث والمهتم بدراسة التراث العلمي لمن سبق. وقد يوصف كلامه على أنه كلام تقليدي، وإنما أضاف إليه معارفه الخاصة وأسلوبه. غير أن الملفت للانتباه هو أن ضخامة تلك الحاشية " تعتبر عملا ضخما من حيث حجمها"[3].

إنّ حاشية الرماصي في صورتها التأليفية تشكل وجها مألوفا لنوعية التآليف التي كانت سائدة في ذلك العصر. وسنحاول هنا أن نبيّن فحوى هذه الحاشية وقيمتها وهو نوع من التآليف تداولها علماء العهد العثماني واهتموا بها.

ورغم تصدي مصطفى الرماصي للتدريس بجبال الراشدية أثناء الفتح الأول لوهران عام 1119هـ/1707-1708م ومعاناته من خطر الإسبان، إلا أن ذلك لم يمنعه من التأليف والتمحيص والتحقيق، فنجده يخوض في مباحث علم الكلام، وهذا ما يفسّره أحد علماء فاس أثناء رحلته للجزائر وزيارته لمصطفى الرماصي

1) الحسن بن سعيد الشريف الحسني، شرح رائية الجنيد، تح عبد المجيد بوكاري، "مجلة عوارف"، مطبعة ألطوبريس، طنجة، المغرب. ص ص: 171- 191.

2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 101.

3) المرجع نفسه، ج2، ص:101.

وهو يدرس طلبته العلم الشرعي، قوله: " كنت قد وفدت على العالم الراوية النقاد منهل العلم الأصفى أبي عبد الله سيدي محمد المصطفى الرماصي، فوجدته يسكن بأهله بيوت الشعر قرب غابة في رأس جبل يأوي إليهم ليلا ويظل بالنهار في داره ومسجده يطالع كتبه ويقرئ طلبته، فسألته عن ذلك فقال: كنا على هذه الحالة على عهد الإسبانيين خوفا منهم، فإننا كنا لا نأمن في الدّور من أن يصلونا ليلا، فخرجنا لبيوت الشعر لسهل علينا الفرار لغابة الجبل"[1].

إنّ حاشية الرماصي التي اعتمدها العديد من العلماء ممن جاؤوا بعده في مصنفاتهم، تعد إضافة علمية تبرز واقع بايلك الغرب العلمي والفكري. فهي بذلك تعكس ذلك الواقع الذي لطالما كان منحصرا في علوم معينة.

والمتمعن في هذه الحاشية يدرك تأثر متصوفة بايلك الغرب بالمدرسة الأندلسية، فقد حاولوا إعطاء صورة واضحة عن الواقع المعيش وتدوينه ضمن مصنفاتهم. من هنا نلحظ ميزة الكتابة لدى هؤلاء المتصوفة. وكرؤية نقدية لمجموع المتون التي تمّ تناولها بالدراسة والتحليل، وهو ما جعلنا نلحظ عدم التزامهم بالإشكالية المحددة التي تمّ طرحها ضمن المقدمة مثلا، وهو أسلوب القدامى في تناول مثل تلك المواضيع.

فنرى مصطفى الرماصي[2] قد قسّم حاشيته إلى مسائل وشرحها، وقبل هذا شرح كلام السنوسي استنادا إلى قول العلماء استنباطا من الكتاب والسنة. في حقيقة الأمر اختصار لحاشية اليوسي على شرح الإمام السنوسي مع زيادات

---

[1]) عبد الرحمن الجامعي الفاسي، شرح أرجوزة الحلفاوي التلمساني، مخطوط خزانة الشيخ البشير محمودي، البرج، معسكر، و:22و.

[2]) هو الإمام مصطفى بن عبد الله بن محمد مؤمن الرماصي(1127-1724م)المعسكري الجزائري الذي لقبه متأخرو المالكية بمحقق الفقه، له كفاية شرح عقيدة التوحيد" شرح فيه صغرى السنوسي وحاشية على التتائي على خليل وغير ذلك من المؤلفات المهمة. قد سبقت ترجمته، أنظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص:152.

واستدراكات، على اليوسي، ونظرا لأهميتها اعتمد عليها الرماصي في حاشيته[1] التي اشتملت على فوائد لخصها من حاشية اليوسي[2].

إنّ استيعاب المضامين التي رام مصطفى الرماصي الوصول إليها، لن تتأت إلاّ من خلال الاطلاع على ذلك الكمّ الهائل من المصادر العقائدية، للوقوف على أهمية المجهود المبذول. والواقع أنّ حاشية الرماصي تطرح مجموعة من القضايا والتخريجات التي تدفع إلى التأمل، وبما يسمح به الاجتهاد من فسحة لتبادل الآراء وبسط حدود التأويل.

فمثلا حاول مصطفى الرماصي أن يشرح عقيدة السنوسي انطلاقا من شرحه الذاتي لها؛ استنادا على معارف كان قد اكتسبها خلال تحصيله للعلم الشرعي، وضمن رحلاته التي قادته إلى بلاد المشرق، أين استزاد في تحصيلها وتطويرها. فتتطرق إلى مسألة صفات الله تعالى واسمائه، وتعرضه لمسألة إيمان المقلد، ورؤية المعدوم. وهو ما دفع ببعض خصومه بمعارضته كأحمد بن زكري التلمساني(ت.900ه) الذي وضع منظومة محصّل المقاصد ردّ بها على السنوسي.

كما أنّ هناك شرحا آخر لا يقل أهمية عن سابقه، وهو شرح عبد القادر بن خدة الراشدي[3]، لعقيدة السنوسي. حيث عالج فيه قضية من أهم القضايا التي شغلت

---

1) مصطفى الرماصي، كفاية المريد في شرح عقيدة أهل التوحيد، و:1و.

2) تقييد مصطفى الرماصي، خزانة مؤسسة علال الفاسي، الرباط، تحت رقم:512، و:6.

3) عبد القادر بن خدة الراشدي الغريسي: ابو محمد بن عبد القادر بن احمد المعروف بابن خدة بن محمد من أبناء عبد القوي، من أعيان القرن الحادي عشر الهجري (17م) له حاشيته في التوحيد على الصغرى، ويعبرون عنه بابي محمد عبد القادر بن خدة الراشدي، وقبره معروف بأرض غريس. يراجع: أبو زيد التوجيني، عقد الجمان النفيس في ذكر أعيان غريس، مخطوط خزانة الشيخ البشير محمودي، البرج معسكر، و:4ظ.

بال متصوفة بايلك الغرب خلال القرن الحادي عشر الهجري[1]، تلك المندرجة في دائرة المراتب الصوفية. في مقابل الآخرين من الفقهاء ورجال السياسة الذين تربعوا على السلطة الدنيوية، ليقع التوازن بين جدلية الدنيا والآخرة في النظام الحضاري للدولة الإسلامية عبر التاريخ، منذ أن اشتدت حدّة التيارات حول الخلافة الإسلامية.

وعبد القادر بن خدة الراشدي كمتصوف وفقيه وعالم، وداخل البنية الصوفية لمجتمع القرن الحادي عشر الهجري(17م)، كان مشدودا إلى مسألة التوحيد، المتمثلة في الفكر العقائدي الأشعري، وهي مسألة لطالما شغلت بال متصوفة تلك الفترة كما ذكرنا آنفا. وذلك من خلال تناولهم لجملة القضايا الجوهرية، كمسألة النعيم والجنة والنار...ونلحظ ذلك جليا حين يتناول بن خدة الراشدي تلك المسألة بقوله:(بحر الوافر)

بِحَمْدِ الجَلِيلِ جَلَّ ذِكرُهُ بِذَاتِ المَقَامِ وَأَسلَمُوا
مَنَازِلُهَا شَهَرَتْ سَبْعَةٌ فِي كَلِّ دِيوَانِ مِنْ كُتُبِهِمُ
فَجَنَّةُ المَأْوَى جَنَّةُ النَّعِيمِ جَنَّةُ الخُلُودِ فِرْدَوْسُهُمُ
وَمِنْهَا تَفَجَرَّتْ أَنْهَارُهَا وَتَعْلُ جَمِيعًا عَلَيْهِمُ[2]

إنّ تأليف عبد القادر بن خدة الراشدي ذو المنحى الصوفي، الذي يستمد إشعاعه من تجارب المتصوفة السابقين عبر تنظيراتهم وأفكارهم التي اعتمدت في تناولها لمثل هذه القضايا الجوهرية خصوصا تلك المتعلقة بمسائل التوحيد؛ يشكل

---

[1]) اطلعنا على نسخة مخطوطة من هذا الشرح بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم: 2421 د ضمن مجموع، ويقع في حوالي ثلاثين صفحة. كتبت بخط مغربي واضح ومقروء، عليها تعليقات.

[2]) ومما جاء في نهايتها قوله: وَلِوَالِدَيْهِ وَأَجْدَادِهِ إِلَى مُنْتَهَاه إِيمَانُهُم (كذا)

بِأَسْمَائِكَ الحُسْنَى يَا رَبَّنَا وَبِالمُرْسَلِينَ جَمِيُعُهُمُ

وحدة تناسقية بين واقع عصره وما سبقه غيره في المجال نفسه. وتكاد تتفق على شرحها جل الشروحات التي تناولت مؤلفات السنوسي بالشرح والتمحيص.

إنّ هذا التأليف يعكس ما برع فيه متصوفة العهد العثماني، خصوصا وأنّ بعض هؤلاء كانوا عارفين، من هنا قال أحدهم" لايفوت الصوفي، وهو يقصد إلى اثبات هذا السبق في التعلق بمصادر السلطة في الاسلام، أن يستند بين الفينة والأخرى على مصادر ذلك الآخر، الذي ينازعه سلطته، وهو الفقيه نفسه، ليقوم ذلك المقام وشهد شاهد من أهلها"[1]. ويذكر ابن عجيبة مستشهدا بما أورده الونشريسي في" المعيار" عن الفقيه ابن رشد (الجد) الذي أكدّ أنّ " تفضيل العارفين بالله على العارفين بأحكام الله...(قول)متفق عليه"[2]. ويسترسل في كلامه قائلا:" بل العارفون بالله أفضل من أهل الأصول والفروع" أي أنّ للتصوف منزلة تفوق منزلة علم الكلام (التوحيد) وأصول الفقه والفقه جميعا، وما ذلك إلاّ "لأنّ العلم يشرف بشرف المعلوم وثمراته..."[3]. إذن فمنزلة التصوف تفوق منزلة علم الكلام وباقي العلوم الدينية الأخرى من منطلق ثمرات العلم نفسه.

فمحتوى هذا التأليف ينم عن مقدرة الرجل على معالجة بعض القضايا الجوهرية التي كانت تمثل عصب تلك الفترة، وإذا كان الخطاب الصوفي عموما ولدى عبد القادر بن خدة الراشدي على وجه الخصوص يتميز بخصوصيتين اثنتين كما قال بذلك طه عبد الرحمن وهما قوة التأثير وقوة التوليد، حيث تتجلى هاتان الخصوصيتان بوضوح في تأليف الراشدي؛ ذلك أنّ الكتابة الصوفية عنده تعبر

---

[1]) عبد المجيد الصغير، إشكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرنين 19/18م، أحمد بن عجيبة ومحمد الحراق، دار الآفاق الجديدة، المغرب،ط2، 1994، ص:21.

[2]) المرجع نفسه، ص:21.

[3]) أحمد بن محمد بن عجيبة، الفتوحات الألهية في شرح المباحث الأصلية، مطبعة القصيم، الرياض، ط2، 1389هـ. ج1، ص ص:179- 180.

عمّا في قرار نفس المتصوف، ويروم من خلالها ترجمة ما تجيش به ذاته من غشراق وشعور فياض، وهو بذلك يخاطب الوجدان لشحذ النفوس وتشغيل القلوب، ومن ثم يتأتى للخطاب الصوفي سلطته التأثيرية؛ إذ يعمد إلى انتقاء المصطلحات الأكثر إبلاغا والأوفى إقناعا.

كما يتضح أنّ هذه المصطلحات مستمدة من ممارسة الصوفي اليومية، وهي مصطلحات يستعملها الكثير من متصوفة القرن17و18م؛ نظرا لغناها وقوتها الاشتقاقية، مما يسمح لها باختراق وجدان النفس البشرية وتأهيلها لتربية صوفية نقية.

وهنا تبرز الفوارق الحقيقية في مجال العقيدة بين كتابات مصطفى الرماصي وعبد القادر بن خدة الراشدي الغريسي، سواء من حيث اللغة، فالأول استعمال لغته أرقى من الثاني، فعباراته موحية وألفاظه حسنة الاختيار من حيث المعنى ومن حيث استعمال لمصطلحات العلم المراد الخوض فيه. أو من حيث المنهج المتبع في تحليل الموضوع، حيث يظهر فيها كل منهما براعته وتحصيله، على خلاف من جاء بعدهم الذين ينقلون ويقلدون من سبقهم.

وعموما فإنّ عبد القادر بن خدة الراشدي يركز في تأليفه هذا على عناصر ثلاثة هي:

أ- **العقائد:** حيث نجده يوصي المريد بتقليد المتكلمين من أهل السنة في العقائد التي هي أساس الدين، ولأنّ عصره اتسم بهذا النوع الدراسات التي اهتمت بالجانب العقدي لاسيما ببيالك الغرب حيزه الجغرافي القاطن به.

ب- **الأحكام الشرعية:** يوصي فيها المريد بتقليد الفقهاء في الحكم الشرعي، نظرا لأن متصوفة ومريدي ذلك العصر طانوا متأثرين أكثر

بالمتصوفة وبشيوخ الطرق الصوفية الذين كانوا يرونهم المثل الأعلى في سلوكاتهم وأعمالهم الخيرية.

ج- **الآداب:** حاول قدر المستطاع تبيان الطريق الروحي لسلوك أرباب القلوب وصلاحهم في الآدا ومدى تشبثهم بسلوك النبي ρ.

وهناك تأليف آخر لأحمد المقري[1] الذي اعتنى هو الآخر بعلم التوحيد؛ حيث سمّى شرحه بــ" إتحاف المغرم المغري بتكميل شرح الصغرى للسنوسي"[2]، وهو تأليف حاول من خلاله صاحبه إعطاء صورة علمية لمتصوفة القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين(18/17م). وكيف صوبوا اهتماماتهم حول عقيدة السنوسي، ويرى ذلك من خلال تلك النبذة التي جمعها أحمد المقري أيام دراسته

[1])أحمد المقري (992-1041هـ/1584-1631م) أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمن ابن أبي العيش بن محمد المالكي، الأشعري، التلمساني، نزيل فاس، ثم القاهرة، المشهور بالمقري (أبو العباس، شهاب الدين) مؤرخ أديب. ولد في تلمسان، وتوفي بالقاهرة في جمادى الآخرة. من تصانيفه الكثيرة: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، فتح المتعال في وصف النعال نعال النبي صلى الله عليه وسلم، أزهار الرياض في أخبار عياض، روض الآس العاطر الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام مراكش وفاس، والبدأة والنشأة في النظم والأدب. ينظر ترجمته في: المحبي، خلاصة الأثر، مج1، ص ص:302-311، الزركلي، الأعلام، مج1، ص:237، موسوعة أعلام المغرب، ج3، ص ص:1294-1305، ابن الماحي، معجم المطبوعات المغربية، ص:541، كحالة، معجم المؤلفين، ج1، ص:248، بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، مج7، ص:474، البغدادي، إيضاح المكنون، ج1، ص:16.

[2]) هو نفسه إفادة المغرم المغري بتكميل شرح الصغرى، يقع في 59 ورقة، ذو مقاس 21/15، بمعدل 25 سطرا في كل ورقة. ناسخه موسى بن محمد بن ضيف الله المنادي، (1094هـ-1682م). وكان الفراغ من ذلك يوم الأربعاء السادس والعشرين من محرم الحرام فاتح (بياض) الحادي والعشرين بعد الألف من الهجرة النبوية بمحروسة فاس...قال المؤلف وألحقت فيها الأربعة مواضع بعد هذا التاريخ بثغر الإسكندرية عام 1028هـ...وكان الفراغ من كتابة هذه الحاشية يوم(...)عند صلاة الظهر في آخر...شوال عام أربعة وتسعين بعد الألف على يد...موسى بن محمد بن ضيف الله الملقب المنادي". أحمد المقري، إتحاف المغرم المغري بتكميل شرح الصغرى للسنوسي، المصدر السابق، و:2ظ. مخطوط مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المغرب. تحت رقم: 548-2.

بفاس من بطاقات جمعها خوفا من ضياعها[1]، وهي قضية لطالما حرص متصوفة بايلك الغرب على تدوينها في مؤلفاتهم وكنانيشهم، بل في بعض الأحيان يضيفون إليها تعليقاتهم وحواشي تناسب المقام المراد دراسته أو الحديث عنه.

ونعتقد أن قيام متصوفة بايلك الغرب بتدوين تلك البطاقات المأخوذة عن شيوخهم أثناء دراستهم، إنما تنم عن تدني مستوى الحفظ لديهم، إلا النزر القليل ممن كانت لديهم ملكة الحفظ قوية، أمثال مصطفى الرماصي، وأبو راس الناصر، أبو حامد العربي المشرفي، وابن زرفة الدحاوي ومحمد بن حوا المستغانمي بنسب متفاوتة.

إنّ تجليات القراءة والبحث لمحاولة الاطلاع على كنه هذا التأليف، من أجل استقراء الرؤى والتفسيرات العقدية لمسألة التوحيد ببايلك الغرب خلال القرن الحادي عشر الهجري(17م). ورغم ما يحمله هذا التأليف من معلومات وقضايا متنوعة، تكاد تجعله لا تخلو من فوائد جمة تتمثل في إعطاء صورة حول كيفية تناول علم التوحيد من طرف متصوفة بايلك الغرب، من شأنها مساعدة طالب العلم على استثمارها في مجال بحثه[2].

فقد تناول المقري في تأليفه مختلف الجوانب التي تهم هذا العلم، فمن القضايا التي كانت محل عناية واهتمام من طرف المقري قضية إبراز خصوصية الذات الإلهية، وصفاتها القدسية والدفاع عن الوحدانية، ففي البداية يقرر أنّ الله لم يلد ولم يولد، ليس له بداية ولا نهاية، ولا شبيه، هو المصور القهار. كما نجده يتعاطى مع علم التوحيد وفقه رؤى وتأملات.

---

[1]) أحمد المقري التلمساني، إتحاف المغرم المغري بتكميل شرح الصغرى للسنوسي، مخطوط مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المغرب الأقصى. تحت رقم: 548-2. و:1و.

[2]) إتحاف المغرم المغري بتكميل شرح الصغرى للسنوسي، المصدر السابق، و:59ظ.

كما يشار هنا إلى كتاب الحاوي[1] والفتاوي، لأبي راس الناصر المعسكري[2]، الذي يعد من بين الكتب المهمة التي ألفت خلال العهد العثماني ببايلك الغرب، والتي شملت قضايا ومباحث مختلفة من علم التوحيد والعقيدة، وهذا راجع لموسوعيته واطلاعه عليها. ونظرا لمدى أهمية علم التوحيد والعقيدة، وكثرة المسائل التي أثيرت حوله، كان على أبو راس أن يؤلف كتابا حول علم التوحيد والمباحث التي تمس الموضوع وجوانبه. حيث نجد أبو راس ممهدا كتابه عن علم التوحيد بقوله:" الحمد لله الذي جعلنا من أهل التوحيد المتفرع فرعه في السماء الثابت الأصل...وجنبنا دعوى الفرق الضالة من الأثنينية والتثليث..."[3].

ومن المباحث التي تطرق إليها أبو راس في كتابه الحاوي وإن تنوعت مباحثه؛ دفاعه عن شيخ الإسلام بن تيمية، (في باب سمّاه الرّد على من طعن في ابن تيمية)، بل في هذا الباب يدافع عن آراء ابن حنبل عموماً، رغم مالكية أبي راس للمذهب. وهذا ما يدل عليه قوله:" أما شهادته له بالحفظ والإتقان فهو كذلك وأكثر"، وأما قوله: مطعون عليه في عقائد الإيمان فغير مسلم لما تقدم عن جلال الدين الكوراني الشافعي حيث قال:"أمعنت النظر في رسائل القوم فوجدتهم برآء

---

[1]) يراجع: أبو راس الناصر المعسكري، الحاوي لنبذ من التوحيد والتصوف والأولياء والفتاوي، مخطوط خزانة الشيخ البشير محمودي، البرج، معسكر.

Kamel FILALI, Sainteté maraboutique et mysticisme, Contribution à l'étude du mouvement maraboutique e, Algérie sous la domination ottomane, Insniyat, CRASC Oran, n:3. Hiver1997, pp: 117-140.

[2]) تقع النسخة في حدود 133 صفحة وهي غير تامة، خزانة الشيخ بلقرد بوكعبر، معسكر. في حين تقع النسخة الثانية في حدود 202 صفحة. أوراقها مبعثرة في حاجة إلى ترميم وبعض الأوراق غير كاملة وممزقة إلا أن النسختين مكملتين لبعضهما مما يسمح بإخراج مخطوطة تامة. خزانة الشيخ البشير محمودي، البرج، معسكر.

[3]) أبو راس الناصر المعسكري، الحاوي لنبذ من التوحيد والتصوف والأولياء والفتاوى، مخطوط خزانة الشيخ بلقرد بوكعبر، معسكر، و:1و.

من كثير مما رماهم به أصحابنا الشافعية من التجسيم وإنّما القوم متمسكون بمذهب كبراء المحدثين كما هو معروف من حال إمامهم τ وهو الإمام أحمد ابن حنبل، وأنهم أبقوا الآيات والأحاديث على ظاهرها والإيمان بها كذلك مفوضين فيما أشكل معناه، وهذا لا يذّمه أحد من الأشعرية..."[1].

وهذه القضية – قضية التجسيم – قد خاض فيها العديد من علماء ذلك العصر، وهي قضية لطالما جعلت علماء ذلك العصر يؤلفون مجلدات وأسفار حولها، ونقصد بذلك فكرة المجسمة.

إن اهتمام متصوفة بايلك الغرب بعلم التوحيد، مردّه إلى عدة عوامل ساهمت في إرساء دعائم هذا العلم ببايلك الغرب خلال القرنيين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين. من هذه العوامل تمسك متصوفة بايلك الغرب بالعقيدة الأشعرية التي كانت ولازالت إلى اليوم مرتبطة بالمذهب المالكي، فهما حلقتان متصلتان ببعضهما البعض.

ولقد كانت هذه العوامل مدعاة لظهور مدرسة متميزة لدى متصوفة بايلك الغرب، متأثرة بالمدرسة السنوسية وتختلف عن المدرسة المشرقية في مشاربها ومواضيعها، والتي كانت تدعى بمدرسة التوحيد والعقائد، أي مجال اختصاصها كان ضمن الجانب العقائدي. وهو ما جعلها تنافس مدرسة مازونة الفقهية ليس في مجال التخصص، ولكن بروزها كمدرسة وحاضرة فيما بعد تضاهي باقي الحواضر العلمية التي كانت بإيالة الجزائر وخارجها.

2/ التصوف:

[1]) أبو راس الناصر، الحاوي لنبذ من التوحيد والتصوف والأولياء والفتاوى، و:24ظ.

خاض متصوفة بايلك الغرب غمار الكتابة الصوفية، لأنهم مارسوا التصوف في حياتهم العملية، فانعكس ذلك على كتاباتهم الدينية النثرية التي ألمّوا فيها بمختلف الجوانب كتلك المتعلقة بالخوف من الله تعالى؛ والزهد والورع في الحياة الدنيا قبل الآخرة، ومنها تلك المتعلقة بالمريد الذي يتبع توجيهات شيخه، ومنها ما تعلق بمعارف الشيخ وتلقينها للمريد، ومعرفة تلك الأسرار والموضوعات الروحانية التي يودعها الشيخ لأتباعه، كالصّلاة على النبي ρ، والمواعظ والنصائح، والابتهالات والتوسل.

إنّ الخطاب الصوفي من حيث هو تلفظ يبقى لدى المتصوفة رهينا بجاذبية التلقي، فمن أجل إحتوائه وإدماجه في التعاقد القولي للخطاب الصوفي، ولذا نجدهم يجتنبون الخوض في التصوف الرامي إلى الحلول، كما هو وارد في الفكر الصوفي لدى ابن سبعين وابن عربي والحلاج والسهروردي.

1-2 اهتمام متصوفة بايلك الغرب بالقضايا الصوفية:

إذا كان التصوف من العلوم الحادثة في الملة " على حد تعبير ابن خلدون، فإنّ هذا الحدوث أو" الابتداع شكّل مسألة هامة كون تفسيرها يحتاج إلى تبرير، بغية إثبات شرعية اكتساب حقّ ممارسة العلم الحادث ل" سلطة" مشروعة...مثل باقي العلوم، كالفقه والنحو والكلام، والتصوف "[1].

غير أنّ المتمعنّ في الخطاب الصوفي وخاصة في شقه السّني، لا يمكنه إلا أن يقف على مبلغ تشديد الفكر الصوفي على خطورة الاستمرار في حالة الانفصال عن الواقع والفناء"[2]. لقد انتبه متصوفة بايلك الغرب إلى أزمة الفرق،

---

[1]) عبد المجيد الصغير، إشكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرنين19/18م، أحمد بن عجيبة ومحمد الحراق، دار الآفاق الجديدة، المغرب، ط2، 1994، ج1، ص ص:11 12.

[2]) عبد المجيد الصغير، إشكالية إصلاح الفكر الصوفي، المرجع السابق، ص ص:13- 14.

وما يمكن أن تجرّه عليهم من فشل في التكيّف مع الواقع ومسايرته، وهذا ما نلحظه عند بعض هؤلاء المتصوفة أمثال مولاي العربي الدرقاوي ومحمد الغريسي؛ الذين أكدا على أهمية مقام الجمع بين الواقع والمثال، بين النموذج الفكري الأخلاقي والواقع المجتمعي.

إنّ اهتمام متصوفة بايلك الغرب بالتصوف؛ جاء من منطلق تلك الغاية التي ذكرناها آنفا. ولذا جاءت اهتماماتهم لبعض القضايا الصوفية متنوعة. فقد حاول بعض المتصوفة ببايلك الغرب، اثبات اهتمامهم وتفوقهم بعلم التصوف على باقي العلوم.

2- 2 مساهمة المتصوفة في مجال التصوف:

ترتقي كتابات المتصوفة وتسمو عند مناقشتها للقضايا الجوهرية التي تبلور المدار المركزي الذي يستقطب هذا الضرب من العلوم الدينية المهتمة بمعرفة الباطن والسلوك، والتواصل مع الله، وتحديد المقامات والأحوال، ومراتب الولاية، وعلاقة الشيخ بالمريد، وتبعا لذلك نجد "أبو راس" يطرح على بساط البحث مسألة الوصول لأحد المقامات العالية، حيث لا يتم ذلك حسب رأيه إلا بجذب، أو بالسلوك على يد شيخ صادق، وقد جاء هذا الحُكم في سياق جواب عن سؤال رفع إليه:" وقع السؤال عما يصل به العبد إلى ربه، فكان الجواب بأنه لا يصحّ لأحد الوصول إلى المقامات العالية إلا بجذب، وإمّا بالسلوك على يد شيخ صادق لما في أعمال العباد من العلل، بل لو قدر زوال العلل من عبادته فلا يصح له الوصول إلى الوقوف على عين الشريعة لحبسه في دائرة التقليد لإمامه، لا يمكنه أن يتعداه ويشهدها إلا بالسلوك على يد شخص آخر فوقه في المقام من أكابر الصادقين"[1].

---

[1]) أبو راس الناصر، الحاوي لنبذ من التوحيد والتصوف والأولياء والفتاوى، المصدر السابق، و:81ظ.

ومسألة ضرورة الشيخ بالنسبة للمريد، وهي مسألة قديمة ثارت في الأندلس في النصف الثاني من القرن 8هـ/12م، وكانت موضوع مناظرات شارك فيها الفقهاء والصّوفية بالأندلس، ثم رفع أبو إسحاق الشاطبي سؤالا يستطلع فيه رأي بعض أعلام مدينة فاس في هذه المناظرات وكان السؤال موجه- بالخصوص- إلى عالمين وهما ابن عباد الرندي وأبو العباس القباب[1]، وقد أجاب كل من المسؤولين المغربيين بجواب احتفظ بهما- معا- الونشريسي في «المعيار»[2] ثم كانت هذه المسألة موضوع تأليف خاص لابن خلدون في رسالة تحمل اسم «شفاء السائل لتهذيب المسائل».

تلقى "الشاطبي" جوابا في الموضوع من "القباب" وغالب الظن أن الجواب المثبت في "المعيـــار" يمثل رسالة أولى من "القباب" استحسن فيها حجج القائلين بوجوب الشيخ في سلوك طريق القوم[3]، وأكد فيها كلام الشيخ زروق بأنه لا يكفي الاطلاع على الكتب المصنفة في هذا الباب وأن قول العلماء (الظاهريون)" بأن

[1]) هو أبو العباس أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن الجذامي الفاسي الشهير بالقباب فقيه مالكي، ولد بفـــاس ســـنة (724هـ)، تولي الفتوى فيها، والقضاء بجبل الفتح، ثم اعتزل واختفى مدة، ثم عاد إلى التدريس والفتيا، وحـــجّ، ثم ولي الخطابـــة بالجامع الأعظم بفاس سنة 778هـ، وتوفي إثر ذلك، له عدة مؤلفات انظر في ترجمته، ابـــن فرحون، الدِّيباج المذهب،ص64، أحمد بابا التنبكي، نيل الابتهاج، ج1/100-102، جعفـــر الكتـــاني، ســـلوة الأنفاس،ص ص:304-305.

[2]) انظر: جواب ابن عباد. الونشريسي أحمد بن يحي، المعيار المعرب والجامع المغرب عـــن فتـــاوى علمـــاء افريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي دار الغـــرب الإســـلامي، بيـــروت 1981م: ج12/ص ص:293-307.

[3]) انظر : الونشريسي أحمد بن يحي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقيـــة والأنـــدلس والمغرب، المصدر السابق، ج11، ص:118.

العلم في صدور الرجال، ثم انتقل إلى الكتب ومفاتيحه بأيدي الرجال غير مقنع، لأن طريقة الصّوفية أشد غموضا من هذه العلوم"[1].

كما أشار إلى انحراف بعض صوفية زمانه بدون ذكر الأسماء، وذكر بدعهم كالرقص أثناء الذكر، كما أقر ثبوت استعمال السبحة من الناحية الفقهية، فقال:" كنت جالسا مع بعض الفقهاء ولساني يجاوبهم ويدي على حال الخدمة في السبحة، فقال لي أحدهم: ألك عقلان أم عقل واحد ؟. فقلت (لي)عقل واحد، ولكنه على ثلاثة احتوى، وعند القسم الثاني استوى، والقسم الثالث هو اللوى، نوره ساطع للسالكين، غائب عن الغافلين، ومن هام في بحر الإدراك، نارت منه البصيرة والأبصار، ومن غرق في بحر الغفلة خسر في الدنيا والآخرة[2].

ومما يمكن الإشارة إليه هو أن منهج "أبي راس الناصر" في ترويض التّصوّف وإخضاعه للمسلك الشّرعي؛ قد ترسّم خُطى الأشعري في ترويضه لعلم الكلام لذلك المسلك، بل إنّ مشروع الغزالي قد بني في الحقيقة على أساس المنظومة الأشعرية[3].

ومن خلال هذا الكتاب يتضح لنا أن اللمسة الصوفيّة "لأبي راس الناصر" كانت على بصيرة فجمع بين التّصوّف والشّريعة، واحتكم في تصوّفه إلى القرآن والسنّة، وأعطى التّصوّف صبغة فقهية فتحت الطّريق للوفاق بين الفقهاء والصّوفيّة، وبذلك يكون قد قام بدور التّحكيم والمصالحة بين الفقه والتّصوّف في عصره على أساس نظرية استواء السّر والعلن وملاءة الباطن للظّاهر، وتكامل الشّريعة والحقيقة.

---

[1]) الونشريسي، المعيار المعرب، المصدر السابق، ص:4.

[2]) أبوراس الناصر، الحاوي لنبذ من التوحيد والتصوف والأولياء والفتاوي، ورقات:85-86.

[3]) بلبشير عمر، المرجع السابق، ص: 4.

ولأبي راس الناصر المعسكري كتابا آخر في التصوف هو شرح غوثية الشيخ عيسى بن موسى التجيني[1] وهي قصيدة في التصوف[2]، حيث يتناول هذا الكتاب الحديث عن مقامات الأولياء والصلحاء. فصاحب النظم هو الشيخ جمال الدين سيدي عيسى بن موسى بن أبي بكر مسعود بن أبي بكر بن موسى التيجاني نسبة لبني توجين وهم بطن من بطون زناتة كما تقدم في المخطوط.

وعند معرض حديثه عن أهمية تأليفه، يقول:" فقد ضربت من بينها بسهم مصيب، وأخذت من كل تحفة نصيب، وحزته بالفرص والتعصيب، ونثرته بردة المحامد، على الأكرام الأماجد، اللذين خصهم الله بتهذيب الفطرة"[3].

يشير أبو راس إلى مسألة مهمة من مسائل التصوف والمتعلقة أساسا بالعلم والعمل، وهذا بسبب مزج المتصوفة بينهما، وجعلهما متكاملين، ويرى أن العلم نور وبرهان، والعمل تضرع وإنقاذ، حيث ينقسم العلم عنده إلى علم الظاهر وهو ما يستفاد بالدراسة والتعليم، وعلم الباطن وهو ما يستفاد بالهداية والتخصيص، وأصله التطهير والتنوير، كما يستفاد أيضا بالإفهام والإسماع، وأفضل العلوم ما كان مقرونا بالخشية. ويرى أبو راس الناصر أنّ الخوض في بعض مسائل

---

[1]) قد أثبتنا هذا الرسم باعتمادنا على النسخة الثانية المخطوطة، والمعروف أن بعض النساخ يقعون في الكثير من الأخطاء إمّا سهوا أو عمدا، ممّا يعيق قراءة الباحث وقد يشوه المعنى المراد.

[2]) تقع المخطوطة التي اطلعنا عليها في37 ورقة توجد بالمكتبة البلدية معسكر مصدرها خزانة المرحوم الشيخ "البشير" بمدينة البرج ولاية معسكر، كما توجد نسخة أخرى بخزانة السيد "مختار بوعناني" ويقع على 64 صفحة، مكتوبة بخط مغربي واضح وهو من الحجم الكبير. تتوفر المكتبة الوطنية الجزائرية على نسخة منه تحت رقم:3326 ، ضمن مجموع4. ومما يلفت للانتباه أن "أبا راس" لم يذكره في كتابه "فتح الإله" عند تعداده لجملة مؤلفاته.

[3]) أبو راس الناصر، الدر المهدي لغوثية أبي مهدي، مخطوط خزانة الشيخ البشير محمودي، البرج، معسكر، و:2ظ.

التصوف " من الأمور الداعية للتأليف بأسرها تستحضر في سبعة؛ فلا يؤلف عالم عاقل إلا لجلها، إمّا لشيء لم يسبق إليه ليعترضه، أو ناقص يتحملها، ومغلق يوفى أركانها..."[1].

وعند تعداد أبي راس لمؤلفاته جعل التوحيد أحد أقسامها، وهو ما يشير إلى مدى حرصه على أمور الدين وخصوصا ما تعلق منها بأمور العقيدة؛ إذ هي أحد ركائز الدين. كيف لا وقد كان ولوعا بمناقشة مسائل التوحيد مع علماء عصره بالمشرق والمغرب، وقد ذكر بعضها في كتابه فتح الإله ومنته وفي عجائب الأسفار ولطائف الأخبار.

ومن أهم تلك المسائل المتعلقة بالتوحيد وهي مسألة " الإستواء " حيث يورد أبو راس رأيه في المسألة، ويرى أنّ تفسير عبارة " استوى على عرشه المجيد بذاته"، وقول الغزالي:" ليس في الإمكان" هو قول جمهور العلماء أمثال الشيخ عبد الرحمن المجذوبي التونسي، شيخ ابن غازي والشيخ زروق، حيث يرون أنّ الحديث عن مسائل التوحيد المرتبطة أساسا بعلم الكلام من القضايا التي يصعب الخوض فيها، خصوصا "كلام الله تعالى، والقدرة الاكتسابية، والرؤية"[2]. وهي قضايا عبّر عنها أبو راس بقوله :" ينبغي اعتقاد الحق فيها، وترك ما سواه"[3].

---

[1]) قال الناسخ:" تم شرح الشيخ سيدي محمد أبي راس بن ناصر عن غوثية أبي مهدي السيد عيسى بن موسى التجاني رحمه الله على يد هذا الكاتب محمد الأكحل بن مصطفى بن يمينة بن القاسم على يد محمودي البشير بن قدور بن البشير يوم رجب الفرد سنة 1415هـ/ الموافق لـ12 ديسمبر1964. أبو راس الناصر، الدر المهدي لغوثية أبي مهدي، المصدر السابق، و:2ظ.

[2]) شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، الذخيرة، تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1994، ج13، ص:243.

[3]) أبو راس الناصر المعسكري، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ومنته، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1990، ص ص:134- 135.

وأبو راس في هذا الطرح العقائدي ذو اللون الصوفي إنما يصدر عن الرصيد التراثي الذي اطّلع عليه من جهة، كما أنه يصدر عن استبصار ذاتي بالقضايا التوحيدية التي يعالجها المقترنة باللمسة الصوفية من جهة أخرى. ولم لا يكون الرجل يستفتح ويستلهم من الفتوحات المكية والحكم العطائية" وغيرها من تراث القوم، والحالة أن تلك الإشارات العقدية التوحيدية الممزوجة بالنسك الصوفي، لا تنطلق من ظاهرة الإبداع الإنشائي، بل إنها تعبير عن اختمار ثقافي في موضوعي عقدي صوفي.

وفي مجال التصوف دائما كتاب الدرة الشريقة في أصول الطريقة[1] لصاحبه ابن دح[2] محمد الطاهر المشرفي[3]، ويعد هذا الكتاب من الكتب التي ألفت خلال ذلك العهد، وهو كتاب وضعه في شرح منظومة والده عبد القادر بن عبد الله المشرفي على منظومة الدرة الشريقة[4] في أصول الطريقة لأحمد زروق[1].

---

[1]) ممّا جاء في بدايتها قوله:"...يقول...محمد الطاهر بن الشيخ عبد القادر المشرفي...الحمد لله العظيم الأمجد...وبعد فإن العلم من أجل ما يقتنى ويدخر...غير أن شيخ هذه الطريقة ورئيس دائرة أهل الحقيقة أبا العباس مولانا أحمد زروق ذا الإفادات الأنيقة والعبارات الرقيقة قد كشف حناديسه..في تأليف صغير الحجم...سماه الدرة الشريقة في أصول الطريقة بيد أن نثر الكلام قد يصعب ضبط مسائله على ذوي الأذهان القاصرة...وكان والدي...فنظم في ذلك أبياتا... ". ابن دح محمد الطاهر المشرفي، الدرة الشريقة في أصول الطريقة، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، و:1و.

[2]) تكتب كلمة " دَحُ " دون واو في الأخير نظرا لشيوعها كتابة ببلاد المغرب العربي لاسيما بايلك الغرب وبالمغرب الأقصى، وقد دأب متصوفة وعلماء بايلك الغرب رسم الكلمة هكذا ضمن مؤلفاتهم.

[3]) الطاهر المشرفي: الطاهر بن عبد القادر بن عبد الله بن محمد المدعو ابن دح المشرفي المعسكري العلامة الجليل قاضي وهران ودفينها على عهد الترك، وشارح " النصيحة الزروقية " أخذ العلم بفاس، وأجازه من شيوخه عبد القادر ابن شقرون وتلميذه الشيخ الطيب ابن كيران. عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982، ج1، ص:466.

[4]) ابن دَحُ المشرفي، محمد الطاهر بن عبد القادر بن عبد الله، شرح ابن دح المشرفي على نظم الدرة الشريقة في أصول الطريقة، ككتب بخط مغربي واضح ومقروء، يقع في 78 ورقة، بمعدل20 سطرا في كل ورقة.

إذا كان هذا هو غرض محمد الطاهر المشرفي في كتابه الدرة الشريقة، فإنّ الخلفية العامة التي تقف من وراء المواقف المطروحة في حلبة الحقيقة والشريعة والتي أراد الطاهر المشرفي أن يجليها لدى جمهور المتصوفة عموما ومتصوفة القرن الحادي عشر على الخصوص؛ إنما هي في الحقيقة حدودا مرسومة لا يمكن الحياد عنها. ثم إن أخذ الطريق السلوكي الصحيح من أصحابه، من شأنه أن يهتدى به إلى الحقيقة الصوفية التي قامت عليها بعض الزوايا بيالك الغرب، وهي حقيقة لها من التصوف السني الظاهر والباطن.

ففي كتابه الدرة الشريقة حاول محمد الطاهر المشرفي أن يعطينا صورة تقريبية توضيحية من خلال شرحه للنصيحة الزروقية من وجه نظر صوفية. ويتضح ذلك من خلال أسلوبه في التعبير عن جزئية أو قضية، تشابكت مصطلحاتها الصوفية في كثافة متراصة، وهذا من خلال السياق وحشر عدد من الألفاظ الفنية في معجم الصوفية كالرجاء، والأنس والقبض والبسط، قوت القلوب وأحوالها، لفظ الجلالة، الباطن، الظاهر،...الخ.

وفي ختام كتابه يذكر محمد الطاهر المشرفي عدد أبيات المنظومة المشروحة[2] مع تاريخ تأليفها، فيقول:" فكان عدة أبياتها ثلاثة وستين ومائة وعامها

خالي من اسم الناسخ، تاريخ النسخ (1228هـ–1813م). مخطوط مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، و:1و.

[1]) يصطلح عليها بالنصيحة الزروقية.

[2]) مما يمكن الإشارة إليه هو أن كتاب الدرة الشريقة في أصول الطريقة، عليه تقريظان: تقريظ محمد أحمد بن مالك، أواسط شهر شوال سنة 1227هـ. وتقريظ ثاني لأبي راس الناصر المعسكري من نفس السنة. مما جاء في هذا التقريظ: " ودل هذا التأليف بحسب ما تضمنه من الأسرار، وما أشار إليه من المشارب الجليلة المقدار، على أن مؤلفه رضي الله عنه ونفعنا بأنواره جمع له بين الإمامتين، وخلع عليه خلعة الولايتين، وأنعم الله عليه بتحقيق المذهبين وورد المشربين، فالله جل وعلا يبقيه، ممتعا بهذه الفضائل، طالعا بدره في الجلالة غير متضائل، ولعمري إن هذا التأليف جدير بقول القائل:

تمام خمسين بعد المائة والألف والحمد لله رب العالمين...بتاريخ ذي الحجة الحرام عام 1227هـ بعد تقدم التأليف بنحو ثلاثة أعوام على يد كاتبه المتقدم اسمه أول الكتاب"[1].

ويذكر محمد بن علي السنوسي الخطابي المجاهري في كتابه" المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق"[2]، أهم العلماء الذين التقى بهم وأخذ عنهم، والطرق الصوفية التي تعرف عليها، حيث يعتبر أول ثبت مختصر تحدث فيه السنوسي عن عدد من شيوخه"[3]. كما لاحظنا مدى أهمية هذا التأليف بالنسبة لمتصوفة بايلك الغرب؛ إذ اعتمد عليه علماء ومتصوفة البايلك وعلماء الأمصار المجاورة كالمغرب الأقصى والأدنى وليبيا ضمن مجالات دراساتهم وفي مصنفاتهم العلمية.

كتاب لو تأمله ضرير أعاد كريمته بلا ارتياب
ولو مرّت مسائله بقبر لعاد الميت حيا في التراب

تقريظ محمد ابن مالك، لكتاب شرح الدرة الشريقة في أصول الطريقة، محمد الطاهر المشرفي، و:2و. يراجع هذين البيتين:أبو العباس الحموي الحنفي، غمز عيون البصائر شرح كتاب الأشباه والنظائر(لزين العابدين ابن نجيم المصري)، تح: أحمد بن محمد الحنفي الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1985، ج1، ص:6.

[1]) محمد الطاهر بن عبد القادر بن عبد الله، شرح ابن دح المشرفي على نظم الدرة الشريقة في أصول الطريقة، مخطوط مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، و:78و.

[2]) توجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم:1243. وقد أشار الأستاذ عبد المنعم القاسمي إلى أن هناك نسخة بدار الكتب المصرية، تحت رقم:3033خ تصوف. طبع بالقاهرة سنة 1954م في 107 صفحة، كما طبع ثانية ببيروت ضمن مجموع سنة 1968.

[3]) عبد المنعم القاسمي الحسني، المؤلفات الصوفية في الجزائر، منذ ظهورها إلى غاية الحرب العالمية الأولى دراسة إحصائية تحليلية، دار الخليل للنشر والتوزيع، بوسعادة، الجزائر، ط1، 2005، ص:154.

وما يمكن التنبيه عليه هو أن متصوفة القرن الحادي عشر ببايلك الغرب، اتخذوا من المذهب المالكي الفيصل في المسائل الدينية والعقدية والفقهية، بل وحتى في القضايا السياسية والفكرية.

ومن هذه المُسلَّمة يمكن لنا أن نفهم الخطوط العريضة التي رسمت الطريق للفكر الصوفي ببايلك الغرب، وهو لا يعدو أن يخرج عن دائرة التصوف السني، وقد رسم معالم محاوره ابن عاشر في أبياته الشهيرة[1]. وهذا الالتزام بالحدود السنية التي تناولها السنوسي بفكره الصوفي لا يستوجب إسقاط الحالات الصوفية مثلا خصوصا تلك التي يغلب فيها السالك والواصل والسائر.

ونظرا لما يطبع اللغة الصوفية من منحى خاص واتجاه نحو الإشارة، وهو الشيء الذي يجعلها مطبوعة بطابع السر، فإننا نرى ذلك جليا من خلال ما كتبه ابن عزوز بن عيسى الشلفي عن الخلوة[2] وآدابها ضمن رسالة مخطوطة سمّاها "هدية الأحباب فيما للخلوة من الشروط والآداب"[3]، حيث يبين الباعث على تأليفه لها بقوله:" قد ورد علي كتب من بعض الإخوان القاطنين في البيت المقدس، منزل كل كيّس وأكيس، يسأل فيه عن بيان شروط الخلوة وآدابها، رجاء أن يكون من جملة أحزابها، فأجبتها في هذه الرسالة؛ بما يبلغ به إن شاء الله تعالى أماله،

---

[1]) في عقد الأشعري وفقه مالك *** وفي طريقة الجنيد السالك

[2]) عن موضوع الخلوة، يراجع: عمر آفا، " الخلوة في تاريخ الفكر: تساؤل في المفهوم، الطريقة الدرقاوية بسوس نموذجا"، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، مطبعة الدار البيضاء، المغرب، ط2011، ع31، ص ص:165- 182.

[3]) كتب بخط مغربي مقروء وواضح، يقع المخطوط في حدود 20 ورقة ضمن مجموع، مقاس 18/12بمعـدل 29 سطرا في كل ورقة، مخطوط خزانة مسجد الكرط، معسكر.

وسميتها " هدية الأحباب فيما للخلوة من الشروط والآداب"[1]. ومن خلال عنوان الرسالة يتضح لنا أن موضوعها تصوفي محض.

وابن عزوز بن عيسى الشلفي في رسالته يتحدث عن تعريف الخلوة، كما يتطرق إلى معرفة ما يُذكر فيها من ذكر، وآدابها. فهو بذلك يعطينا صورة واضحة عن مدى بلوغ متصوفة بايلك الغرب تلك الهمة العلمية العالية؛ بدليل تلك الرسائل التي ترد إليهم من البقاع المقدسة وحتى من أمصار مختلفة، وهو دليل واضح على مدى تضلع متصوفة بايلك الغرب في العلم الباطني.

إنّ ما قام به ابن عزوز بن عيسى الشلفي يثير كثير من الجدل والنقاش حول ما يقدمه من قضايا ومسائل تتعلق ببعض الجوانب المهمة لموضوع التصوف. فهو بذلك ينهض بهذا العمل فيوضح ما أُشكل وأُبهم فهمه على العلماء.

وهناك تقييد لا يقل أهمية عن ما سبقه؛ حيث يبرز المساهمة العلمية لمتصوفة بايلك الغرب، والمستوى العلمي الذي كان عليه هؤلاء المتصوفة، وهو في ذات الوقت مصدر من المصادر الأساسية في تاريخ طريق سلوك القوم الصوفي.

كما يعد من الشروح المفيدة في هذا الباب أيضا مخطوط " المضينة من الدرة الرصينة"[2] لمحمد بن محمد المدني الشلفي؛ والذي رتبه صاحبه على سبعة أبواب، الباب الأول في معرفة رتبة المشيخة ومن يوصل إليها، الباب الثاني في آداب المريد مع الشيخ، الباب الثالث في ذكر السند بلبس الخرقة وتلقين الذكر، الباب الرابع في آداب الذكر وما يراد منه، الباب الخامس في ذكر الدليل على

---

[1]) ابن عزوز بن عيسى الشلفي، هدية الأحباب فيما للخلوة من الشروط والآداب، مخطوط خزانة مسجد الكرط، معسكر. و:1و.

[2]) يقع التقييد ضمن مجموع، في 23ورقة، مكتمل البداية والنهاية، مكتوب بخط مغربي واضح ومقروء، ذو مقاس14/18.5، بمعدل 22سطرا في كل ورقة، مخطوط بخزانة مسجد الكرط معسكر.

الخلوة ومعرفة شروطها المعتبرة عند الصوفية، الباب السادس في كيفية السير والترقي ومعرفة الخواطر، الباب السابع في معرفة ألفاظ اصطلحوا عليها.

وعن غرض تأليفه لهذا التقييد يقول الشيخ محمد بن محمد المدني الشلفي:" فلما كان كتابي الموسوم بالدرة المضينة في معرفة سلوك طريق الصوفية، مشتملا على مقاصد السلوك ومبادئه ومتمماته مطنبا في أبوابه وعباراته، سألني بعض الإخوان الراغبين في السلوك أن ألخصّ المقاصد منها، واقتصد في أبوابه واختصر منها، وأجمع ما يناسب الجمع، وأفرد ما يلائمه الفرد، وأقدم ما يليق به التقديم، تقريبا على السالك في التعليم، وسمّيته..."[1].

إنّ مجرد تمعننا في هذا التقييد يعطينا صورة واضحة لما كانت عليه المدونة الصوفية خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجري. فالمؤلف في مقدمة تقييده لمحنا لنا أن عمله هذا؛ إنما هو في الحقيقة شرح مختصر لعمله السابق المسمّى" الدرة المضينة في معرفة سلوك طريق الصوفية". ومن هنا يتبين مدى إظهار صدق المؤلف وحرصه للأمانة العلمية.

لقد فجر الشعور الديني الملتهب لاسيما شعور التوحيد طاقات المتصوفة وفتق مواهبهم، فانعكس ذلك جليا على مدوناتهم، فراحوا يؤلفون وينظمون شعرا ونثرا؛ وبمهارة ما يتناسب وقريحتهم العقدية التوحيدية؛ بعمق ودقة متناهية باستعمالهم لعبارات تتناسب ومقام توظيفها.

والواقع أنّ المؤلف لو كان ممن يُرَكِّبُ الاستطراد كوسيلة لإظهار ما عنده من معارف، ليتعرض بإسهاب وإطناب للحديث عن سلوك طريق القوم وما أوسعه. لكنه لم يفعل ذلك لأنه يرى ذلك من باب الإطناب في الكلام عن مقاصد

[1]) محمد بن محمد المدني الشلفي، المرضية من الدرة المضينة، مخطوط بخزانة مسجد الكرط معسكر، و:1و.

طريق السلوك، واستدراج القارئ لمواقع لا ينبغي له أن يحط فيها. ولذلك اعتذر مسبقا عن الخوض فيما لا يليق بالموضوع وحاول الاختصار والاقتصاد قائلا" ألخصّ المقاصد منها، واقتصد في أبوابه واختصر منها"[1].

ومن الشروح المفيدة في هذا الباب أيضا كتاب " الاستمدادات الربانية فيما منا الله علينا من بحر الوحدانية"[2] لمولاي العربي بن عطية الشلفي، وهو عبارة عن مذكرات شخصية، ذكر فيها المؤلف جوانب مهمة من حياته مع أستاذه مولاي العربي الدرقاوي[3] وزملائه وتلميذه عدة بن غلام الله.

أمّا عن غرضه في تأليفه هذا قوله:" وبعد فاعلم أيها الأخ الكريم أني أريد أن أقيّد بعض ما ورد علينا من زمان البدايات إلى زمان النهايات، وذلك من باب التحدث بالنّعم، ولئلا يغشم أهل المحبّة فينا وفي طريقنا الطالبين لسلوكها بالذوق والوجدان، المدّعون من أهل طريقنا ومن غيرهم،...وكان السبب في هذا التقييد أني كاتبت بعض من يدّعي المشيخة من أهل طريقنا..."[4].

---

[1]) محمد بن محمد المدني الشلفي، المرضية من الدرة المضينة، المصدر السابق، و:2ظ.

[2]) نسخة مصورة على نسخة موجودة بالخزانة العداوية بتيارت، ونسخة بخزانة الشيخ أبي عبد الله شراك، مسجد الشريفية وهران. تقع في حوالي 216 ورقة. من الحجم الكبير. كاملة البداية والنهاية.

[3])العربي الدرقاوي(1159-1239ه/1747-1823م) تتلمذ على يد شيخه المربي مولاي علي الجمل(ت1194ه/1780م)، واعتبر مولاي العربي وريث بركته ومكملا لعلمه، وأسس زاوية ببوبريح بقبيلة بني زروال سنة1201ه/1786م، وهي الزاوية الأم الدرقاوية. المعسكري أبو زيان محمد، كنز الأسرار في مناقب مولانا العربي الدرقاوي وبعض أصحابه الأخيار، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، تحت رقم:2339، و:80و.

[4]) مولاي العربي بن عطية، الاستمدادت الربانية فيما منّ الله علينا من بحر الوحدانية، خزانة أبي عبد الله شراك، مسجد الشريفية وهران، و:1و.

وأهم ما في هذا التأليف هو أنه شاهد عيان لثورة ابن الشريف الدرقاوي[1]، فقد كان متصلا به، ومرافقا لأستاذه مولاي العربي الدرقاوي، عندما أرسله الملك مولاي سليمان العلوي بطلب من من باشا الجزائر لإصلاح ذات البين، كما حضر وشاهد ثورة سي موسى بالمدية على عهد الأمير عبد القادر، وكان المترجم ساخطا على زملائه المتمردين على السلطات ويتهمهم بحبّ الرياسة وهي تتنافى ومهمتهم الروحية[2].

وعن ثورة ابن الشريف على الأتراك سنة(1220هـ/1805م)، يقول المترجم:" وبعد ذلك- أي بعد اتصاله بشيخه مولاي العربي الدرقاوي – عرفه ابن الشريف وابن الأحرش وبمعرفتهم له أشعلوا مصابيحهم، لاسيما سيدي عبد القار ابن الشريف، فقد شاهدنا كل من لقيه من اللصوص[3] الذين كانوا يقطعون الطريق يجذب من حينه، فشاع خبره من ناحية تلمسان إلى ناحية تونس، وعرفه كثير من الناس، وعمّروا زوايا كثيرة وكان يذهب إلى زيارة الشيخ في نحو مائة مرة أو أكثر، فكره الشيخ منه ذلك"[4].

كما يذكر مترجمنا واقعة مصطفى ابن براهيم مع الأمير عبد القادر والتحاور معه قبل الواقعة، بقوله:" وقد تكلمت أيضا فيما مضى مع السيد محمد ابن براهيم حين صدر منه ما صدر، وقلت له ما بالكم قد حصل منكم القلق،

---

[1]) La Croix, n, Les Derkaoua d'hier et d'aujourd'hui, Alger, 1902, PP:5-9.

[2]) أبو عبد الله شراك، تقييد حول حياة العربي بن عطية الشلفي البوعبدلي بمولاي العربي بن عطية، مخطوط خزانة أبي عبد الله شراك، مسجد الشريفية وهران. و:2ظ.

[3]) هذه عبارة في اصطلاحات بعض أصحاب الطرق الصوفية، خصوصا الشاذلية يصفون بها المتمردين والمنحرفين من المنتسبين للطريق.

[4]) تقييد حول حياة العربي بن عطية الشلفي البوعبدلي بمولاي العربي بن عطية، المصدر السابق، و:28و.

والعجلة على السلطنة، ونحن قد أراحنا الله في هذه الساعة من المخزن وأهله، ثم يحمل هؤلاء المفتونين الذين كان طموحهم لا حد له، ويغرون باتباعهم ويدخلونهم في مأزق، فيذكر زملاء آخرين ثاروا على الأمير عبد القادر بعد توليته وهم من طائفة درقاوة، ويتجلى ذلك من خلال قوله:" وحين وقع الخوض بين الحاج عبد القادر وأبناء عمّه بعثوا لي أنّ الحاج عبد القادر أراد إذايتنا وقتلنا، وها هي العسة(الحرس) علينا صباحا ومساء، فدبر علينا فتغافلت عنهم، فلمّا اشتد بهم الأمر، قلت لهم السيد عبد القادر بوطالب قد سمعت أنّ عليه دينا كثيرا، فليذهب إلى ناحية الأحرار ليسعى في خلاص دينه، وتنطفئ نار الفتن بينه وبين ابن عمّه"[1].

من هذا كله يتبين لنا أنّ المنتسبين للطريقة الدرقاوية إذ ذاك، سواء في عهد الأتراك أو في عهد الأمير، كانوا كثيرا ما يخضعون للمغرضين ويغترون بالتفاف العوام حولهم.

كما يورد صاحب التأليف بعض الإشارات التاريخية المهمة ويفصّل فيها أحيانا، منها أنّ الشيخ مولاي العربي الدرقاوي لم يوافق تلميذه ابن الشريف على ثورته " وما قاله المؤرخ أبو القاسم الزياني وكذلك ما كتبه مولاي سليمان العلوي ملك المغرب إلى باشا الجزائر صحيح"[2]، فقد كان مرافقا لشيخه المذكور عندما زار تلميذه بوهران أيام ثورته على الأتراك، فبعد أن يذكر أن شيخه لما سجن بالمغرب وزاره هو في سجنه وبقى معه خمسة أيام، وجد أتباعه يدّعون أنه هو المهدي المنتظر، وسيتولى الملك، إلا أنه بقي حتى مات ولم يتول الملك. قال المترجم:" وكذلك كان أصحاب سيدي عبد القادر ابن الشريف يظنون أنه هو الامام المهدي، ولا وارث للشيخ في الولاية والتربية سواء، حتى كانوا لا يعبأون بالشيخ

---

[1]) المصدر نفسه، و:31ظ.

[2]) تقييد حول حياة العربي بن عطية الشلفي البوعبدلي بمولاي العربي بن عطية ، و:33و.

مولاي العربي، وقد سمعت منهم ذلك ورأيته بالعيان، ولك حين قدم إليه الشيخ بوهران ونحن معه، فلمّا وصلنا إلى سيدي عبد القادر وجدناه على هيئة الملوك، ووجدنا أصحابه الذين كانوا على الخراب لابسين الملف على هيئة المخزن لايعبأون بالشيخ فضلا عنا، فرأيته الشيخ رحمه الله يمشي ويجيئ بوسط محلتهم ويقول بلسان فصيح من الكفر فروا فوقعوا فيه" يكررها المرة بعد المرة، وقد حصل القبض لأصحاب الشيخ حتى خفنا أن يقع بهم الأمر ونحن معهم، فلمّا ذهبنا ما وصلنا تلمسان حتى وقع بهم ما وقع نسأل الله السلامة"[1].

ما يمكن الاشارة إليه هو أنّ هذا التأليف يشتمل على حقائق تاريخية مفيدة خلال الفترة المدروسة، خصوصا وأنّ المؤلف لم يأت بهذه الوقائع التاريخية إلا عرضا؛ إذ موضوع تأليفه كما ذكرنا في البداية تبلور حول ضرب من العلوم الدينية البحثة في معرفة الباطن، والسلوك والتواصل مع الله، وتحديد المقامات والأحوال، ومراتب الولاية، وعلاقة الشيخ بالمريد، وتبعا لذلك نجد الشيخ مولاي العربي بن عطية يطرح على بساط البحث مسألة العلم والعمل، لأن المتصوفة مزجوا بينهما، وجعلوهما متكاملين، فيشير إلى ذلك بقوله:" فكنت آخذ العلم والعمل من عين العلم والعمل، وآخذ الحق والتحقيق من عين الحق والتحقيق، وآخذ الصدق[2] والتصديق من عين الصدق والتصديق...ولكن من ادعى شهود الحقيقة الالهية من غير الاكتفاء بها والغناء عمّا سواها فهو كذّاب"[3].

[1]) المصدر نفسه، و:35.

[2]) الصدق عند أهل السلوك هو استواء السر والعلانية، وذلك بالاستقامة مع الله تعالى ظاهرا وباطنا سرا وعلانية، وتلك الاستقامة بأن لا يخطر بباله إلا الله. فمن اتصف بهذا الوصف أي استوى عنده الجهر والسر وترك ملاحظة الخَلْق بدوام مشاهدة الحقّ يسمّى صديقا، كذا في مجمع السلوك. محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996، ج2، ص:1073.

[3]) مولاي العربي بن عطية، الاستمدادت الربانية فيما منّ الله علينا من بحر الوحدانية، المصدر السابق، و:72.

وبمثل هذا النقاش يعمّق المعرفة في مفاهيم صوفية أخرى لها دلالتها وفحواها، معتمدا على التفريع والانشطار، والتحديد الموجز في مجال الترعيف، كما هو الأمر في تعامله مع المجاهدة، والمراقبة، والمشاهدة، وعلم اليقين، وعين اليقين، ومخالفة الهوى.

ومن الإشارات المهمة أيضا والتي تطرق إليها مولاي العربي بن عطية هو اتصاله بالشيخ عدة بن غلام الله[1]، الذي أخذ عنه الطريق، وتوليه منصب القضاء على عهد الأمير عبد القادر، وكان شيخه مولاي العربي بن عطية قد عرض عليه الهجرة، فوافقه التلميذ، إلا أنّه بعد التروي وإلتفاف التلاميذ حوله رأى أن المقام بالبلاد، والقيام بالتوجيه والوعظ والارشاد أفضل.

ومن بين التآليف التي تناولت باب التصوف " كتاب الرسائل لأهل الفضائل، وكتاب رسالة الكراس في زوال الشك والالتباس، لمن يطلب تزكية الأنفاس من أهل العلم الخاص " لعدة بن غلام الله[2]. ولعل الغاية التي وضع من أجلها هذا الكتاب هي غاية تربوية ممتازة، وهو تقليد جرى عليه السلف الثالح بعد استخارة في تبيان وتوضيح مسائل سئل عنها من طرف مهتمين بأمور دينه، كما هو الشأن في مختصر خليل، غير أن الشيخ عدة بن غلام الله يستغني عن هذا النوع من

---

[1]) كانت هناك رسائل متبادلة بين الشيخين، بحيث يحترم ويحبذ كل منهما وجهة نظر أخيه، كما أصرّ الشيخ مولاي العربي بن عطية على الهجرة، فهاجر إلى تونس واختار الاقامة بها بنواحي ماطر إلى أن توفي هناك.

[2]) عدة بن محمد الموسوم بن غلام الله بن عبد الرحمن بن أبي القاسم بن محمد الخياطي (دفين بوقادير) ابن أبي عبد الله محمد المغوفل (دفين بطحاء شلف) ينتهي نسبه إلى فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولد الشيخ سيدي عدة بقرية تدعى" مشتى الفقراء" وهي الآن تسمى الزاوية، تقع ما بين اجديوية، ووادي ارهيو سنة 1208هــ/1783م. نشأ في أسرة اشتهرت بالعلم والصلاح والجاه. فتولاه والده الذي كان عالما ومدرسا بالقرية المذكورة آنفا، بالعناية حيث أخذ مبادئ العلوم الأولى في زاوية والده أين حفظ بها القرآن الكريم. عبد الله شراك، مخطوط نبذة حول حياة الشيخ سيدي عدة بن غلام الله، مخطوط خزانة الشيخ أبو عبد الله شراك. ورقة:08. وعن نسبه يراجع: أبو عبد الله شراك، وثية تاريخية تثبت نسب سيدي عدة بن غلام الله، مسجد الشريفية، وهران، و:1و.

المقدمات، فهو يراسل مريدا في مستواه المعرفي والعلمي تقريبا، ومن خلال هذه المراسلة يدلي بعلومه لكل من هم في مستوى مراسله، ولذلك كان الهدف من الرسالة هو وضع منهج تربوي من المستوى العالي أو لمقام عالي في التصوف، وفي هذا يوّجه عمله إلى أهل الفضائل، وهم أصحاب العلم الخاص، حيث نجده يقول:

هذا كتاب الرسائل لأهـــــل الفضـــائـــل
وكتاب رسالة الكراس في زوال الشك والالتباس
لمن يطلب تزكية الأنفاس من أهل العلم الخاص

فهو يراسل ولي من أولياء الله الصالحين، ومن هنا فإنّ البرنامج التربوي الذي وضعه، لا يليق إلا بمن يليق في مقامه. ويستهدف فيه الانتقال من مقام عالي إلى أعلى منه، ثم يحدد شروطا للانتقال من هذا المقام الحاصل إلى المقام الموالي، كما حصل له ذلك في المقام السابق، والمطلوب منه الآن التسليم ثانية، حتى يخرج من مقامه الأول بسهولة وتدبير من غير فرج ومرج ومن غير اختيار وتدبير منه. فالتدبير الأول الذي يجب عليه التسليم به هو تدبير الله والتدبير الثاني الذي يجب التخلي عنه هو تدبير المريد[1].

واستخدام الشيخ عدة بن غلام الله لأي نوع من المصطلحات التي يزخر بها مؤلفه يدل على تقليد سلبي، كما لا يدل على جفاف الإبداع التي نسبها مؤرخو التصوف إلى هذه المرحلة؛ بل تدل على تمكنه مما يدعيه، وهذا يجعل الرسالة ورسالة الكراس، يتميزان بالجدة والتجديد في الطرح والمنهجية، وبيان ذلك نلمسه في نواحي كثيرة:

---

[1]) جلطي بشير، خصائص المصطلح الصوفي في كتاب الرسالة ورسالة الكراس للشيخ عدة بن غلام الله، أعمال الملتقى الوطني الثاني حول تاريخ وأعلام منطقة تيارت2004، من تنظيم مخبر المخطوطات بشمال إفريقيا، جامعة وهران، منشورات دار الأديب، وهران، ص:120.

منها أن مؤلف الرسالة ورسالة الكراس يعجّان بتجارب صوفية جاء الحديث عنها عند كبار المتصوفة كمحي الدين ابن عربي والحلاج بن منصور وغيرهم من كبار المتصوفة. فالشيخ تقلب بين كل الأحوال ومرّ على عدة مقامات وتدرج فيها، ولعلّ أهم مقام استوقفنا، ووجدنا له شبها في كتاب الفتوحات المكية دون المصادر الأخرى هو مقام " البهاليل " وهم على حسب تعبير ابن عربي عقلاء المجانيين، ذلك أن جنونهم لم يكن بسبب فساد ميزاج عن أمر كوني أو جوع أو غير ذلك، وإنما كان عن تجلي إلهي لقلوبهم وفجأة من فجآت الحق فاجأتهم، فذهب بعقولهم، يعرفون في الظاهر بالمجانين أي المستورين عن تدبير عقولهم، وهذا يعد من المقامات[1].

يتضّح لنا من الرسالة أنها موجهة لمستوى معين من التصوف وإلى مقام عالي، وصاحبها أدرى بمن تليق، لأنه يعرف مريده، كما يعرف تقديره للشروط التي سلزمه الأهل والأحوال لا بغرض التبرك، وإنما بغرض الابحار في العلم اللدني في بحر لا ساحل له للوصول إلى الحضرة الالهية، وفي هذا الشأن يقول: " واعلم أنك إن اتخذتني شيخا من شيوخ الطريقة وأردت من الدواء القاطع الذي يخرق هذه النفوس ويدنيها، فاقترب منا قرب اتصال من غير انفصال ومن غير التفاف منك لغيرنا، لأن الالتفاف للغير...فلا يطمع في شمّ رائحة هذه الأسرار والتي هي الفناء في الله والفناء في رسول الله ρ. وهذا إن كان مرادك سلوك طريق الباطن والتبحر في علومه، وأما إذا اقتنعت بالترك دون فعل العزائم من شرائع طريق الخصوصية فلا تكلف نفسك إلا وسعها ويكفيك العلم الظاهر والصلاح الظاهر والله يداوم الحال ويصلح ما فسد ويجعل العاقبة خير"[2].

---

[1]) ابن عربي، الفتوحات المكية، دار صادر بيروت، م2، 1979، ص:250.

[2]) عدة بن غلام الله، رسالة الكراس في زوال الشك والالتباس، مخطوط خزانة أبي عبد الله شراك، مسجد الشريفية، وهران، ورقات:9-10.

ومما يدل على علو همة التأليف ومستواه العالي في تداول المصطلحات والمفاهيم هوأنها جاءت متسلسلة السند، فهي تستند على رسول الله ρ. وإبراز معالمها من طرف الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي هو أول مظهر هذه الطريقة ثم احتفت إلى أن أظهرها الشيخ الشاذلي، ثم تولاها مشايخ شتى حتى بلغت الشيخ مولاي عبد السلام بن مشيش.

كما يكتسي هذا التأليف أهدافا تربوية عالية تتمثل في زوال الشك والوصول بالمريد إلى اليقين الكبير والحصول على العلم الوهبي، ثم الوصول بالولي إلى مرتبة الصديقية[1]. ويرسم الشيخ البرنامج التربوي الذي يهدف منه الوصول بمريده إلى مرتبة الصديقية، ويحصر ذلك في أربعة أدوار، وهي: دائرة أهل الذات الذين يناسبهم ذكر اسم الجلالة " الله"، دائرة أهل الصفات الذين يناسبهم ذكر القادر والمقتدر السميع البصير،...ودائرة أهل الفعال الذين يناسبهم ذكر اسم القابض، الباسط، الوهاب، الرزاق،...ودائرة أهل الآثار الذين يناسبهم ذكر اسماء الجمال والجلال[2].

وفي هذا كلام يبلغ لمعناه، ومن معاني البلوغ الشرب والري، وفي هذا الشأن يقول:" فأعلى المقامات وغايتها التي لا غاية تطلب بعدها المعرفة بذات اللهلأنها مقام الرسل والأنبياء والأولياء الكاملين، وهذا التوجيه يلزم الشيخ مريده بأن يلتزم بدائرة أهل الذات لا يخلط معها دوائر أخرى. وفي هذا الشأن يقول: "وأما قولك تارة تشتاق نفسي إلى اسم الذات فتذكره، وتارة إلى اسم الصفات إلى آخره، فاعلم أن المقصود الكلي للمريد الإدارة، وهو الذكر لاسم الذات العالية دون

---

[1]) الصديقية: هي درجة أعلى من درجات الولاية وأدنى من درجات النبوة، لا واسطة بينها وبين النبوة، فمن جاوزها وقع في النبوة؛ هكذا في كليات أبي البقاء. محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996، ج2، ص:1075.

[2]) جلطي بشير، خصائص المصطلح الصوفي، المرجع السابق، ص:122.

غيره من الأسماء؛ إذ هو موجب الفناء في الذات دون غيره، اللهم إلا إذا قويت نورانية الذاكر وخاف على نفسه من المحق يجب التلوين في الذكر"[1].

لم يخرج المؤلف في وضع مصطلحاته عن الشرع؛ وهي خاصية أساسية تؤكد التزامه بالشرع، حيث نجد الرسائل مشبعة بالقرآن الكريم والحديث والفقه. والمعرفة فيها شرعية، ملتزمة وغير غريبة عن العقل والشرع. حيث نجده يختم فقراته بالذكر والدعاء لمشايخه ولمريده وسائر المؤمنين، بلغة أهل زمانه رغم الظروف القاسية التي مرّ بها.

ولعلّ من الفصول الممتعة المفيدة والمهمة، باب الشيخ، إذ يعتبره المؤلف شرط واجب في كل علم أو عمل أخروي أو دنيوي، فمن أراد حكمة الدنيا فعليه بالشيخ، ومن أراد علم اليقين فعليه بالشيخ " ومن طلب شيئا بلا شيخ أفسد ما كان يصلحه ورمي أدى به إلى العطب". ومن هنا فإن هذا التأليف قد جاء بأسلوب صوفي هادف جامع لكل علوم التصوف، بالرغم من أنه ليزال مخطوطا يحتاج إلى دراسة وتحقيق.

وهناك تأليف آخر للشيخ عدة بن غلام الله، يندرج ضمن فلسفة التصوف سمّاه " خاتمة كتاب الرسائل لأهل الوسائل". حيث سلك فيه صاحبه مسلك جمهرة المتصوفة، المعتمد على ثنائية النسب الروحي والنسب الطيني.

فالشيخ عدة بن غلام الله في كتابه يدافع عن نمط صوفي مُعيَّن وهو "الصوفية العالمة" أو" الولاية العالمة" التي تستنير وتستضيء بهدى المنقول

---

[1]) عدة بن غلام الله، رسالة الكراس، المصدر السابق، و:14ظ.

المتواتر..وهو بذلك يعطي أهمية كبرى للشيخ والمريد ولمسالة التربية ومحبة الشيخ، وغيرها من القضايا الهامة التي تشكل الوعاء العام للتصوف[1].

إنّ تأليف" خاتمة كتاب الرسائل لأهل الوسائل"، يعد وثيقة علمية نادرة، كفيلة بإثراء الوعي الفلسفي الصوفي، والتفكير الديني والانشغال الأدبي في ذلك الوقت.أي أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، وهذا ما يعطي الكتاب قيمته التأليفية المرتبطة أساساً بمكانة مؤلفه العلمية والدينية.

والشيخ سيدي عدة مثله مثل باقي أهل السلسلة العرفانية، يعرض في هذا المؤلف مسألة النسب من منظور باطني، فهو بهذه المعادلة يلتقي مع المعادلة الربانية في وصف النسب الطيني لدى ابن سيدنا نوح عليه السلام بأنه "عمل غير صالح:"..وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ"[2].

وضمن هذا التأليف يبرز الشيخ عدة بن غلام الله أن النسب الحقيقي هو النسب الروحي.."نسب القلب" الذي ينتج عن زواج أثيري روحي متعال بين قلب المريد وقلب الشيخ فقلوب المشايخ في سلسلة الصفوة. وعليه، فمسألة احترام المريد للشيخ وتقديره والذوبان في محبته والإخلاص له من المسائل المحسومة في الفكر التصوفي بشكل عام وعلاقة الشيخ بالمريد تنطلق من القول في الأوساط

[1]) خالد بلقاسم، الكتابة الصوفية عند ابن عربي، دار بورتقال للنشر، الدار البضاء، المغرب، ط1، 2000، ص:96.

[2]) سورة هود، الآية:45.

الشعبية والنخب الصوفية، يرسمان العلاقة بينهما" من لا شيخ له فشيخه الشيطان"[1].

ومن المسائل الجوهرية التي يتعرض لها الشيخ عدة بن غلام الله، العلاقة بين الشيخ والمريد، تلك العلاقة التي تكرّس الأولوية ضمن المبادئ الصوفية؛ وذلك بطلب الطاعة والاقتداء، مستغلة مبدأ الإحاطة القائل أن الفرد لا يحيط بما يعلوه بل بما دونه، وأن الشيخ يبقى الأعلم والمشرف"[2]. كما " يلتقي المريد بالشيخ قصد أخذ التصوف عن طريق التعليم التلقين" وقد عبرت كتب التصوف عن هذه التبعية المنطلقة بعدة تعابير بإحكام زمام نفس المريد بيد شيخه، وتقنين العلاقة بين الشيخ والمريد بهذه الكيفية ليس خاصا بالتصوف الإسلامي؛ إذ نجده أيضا لدى الديانات الأخرى.

ويضاف إلى هذا التسليم المطلق ضروب من التقنيات في باب معاملة التلميذ لشيخه، وأول التقنيات أن يكون تفكير المريد على الدوام في شيخه ومصلحته، وقد حدد الصوفية في آداب المريد بالشيخ خمسة وعشرين نوعا، وكل هذه الأخلاق حملت للشيخ على المريد السلطة التامة ويظهر تطبيقها في الإذن والخدمة والملازمة. وقد حدد الصوفية للشيخ، عدة مراتب:

شيخ التربية: هو اصطلاح شائع ويسمى كذلك شيخ السلوك وشيخ التلقين.

شيخ الخرقة: فقد صار للخرقة مكانة في الجهاز الصوفي حتى أصبح لبس الخرقة من مراسيم الطريق.

---

[1]) عمار يزلي، "جوهرة المسائل في خاتمة الرسائل لأهل الوسائل للشيخ عدة بن غلام الله، قراءة في مفهوم أبناء القلب وأفضليتهم على أبناء الصلب لدى الشيخ عدة بن غلام الله"، أعمال الملتقى الوطني الأول حول الشيخ سيدي عدة بن غلام الله وأثاره في الفكر والتصوف، جمعية الفكر والثقافة، تيارت، 1999، ص:120.

[2]) علي زيعور، الكرامة الصوفية، الأسطورة والحلم، دار الأندلس بيروت، 1985م، ص:240.

شيخ القدوة: يمثل القدوة التي تبناها المريدون.

ومن خلال تأليف الشيخ عدة بن غلام، تظهر العلاقة بين الشيخ والمريد على أنها تعاقدية، فالشيخ هو الوسيلة للوصول إلى الله، بينما يقوم الطرف الثاني وهو المريد بتبعيته وخدمته. ونسوق هذا الكلام الذي يؤكد هذه العلاقة " لابد له من دليل يسير أمامه وهو هنا الأستاذ المربي فإن من سلك طريقا بغير دليل تاه وظل وهلك مع الهالكين، ولابد له من رفقة يستأنس بهم ويساعدونه على تمزيق الطريق والمراد هنا الإخوان"[1]. فهي تؤدي وظيفة تعليمية في علاقة الشيخ بالمريد بطلب الطاعة والاقتداء، ولاشك أن هذا النظام الصوفي يظهر مسافة اجتماعية بين الشيخ الذي يملك هذه المقومات وبين المريد.

فكثيرا ما نجد الشيخ عدة بن غلام الله يؤسس لهذا الجانب الأساسي في نسج الرابطة القلبية بين أتباع الطريقة الواحدة أو ما بين الطرق المختلفة التي كلها تمثل الطريق إلى الله. كما نجده يركز على النسب القلبي باعتباره أساس استمرار المحبة الروحية والتفاني فيها، ذلك أنه يرى أن المحبة المطلقة بين الشيخ والمريد هي ولادة ثانية، بل الولادة الحقيقة والأولى، لأنها ناتجة عن فتح القلب وليس عن عمل الصلب[2]. فابن القلب يربطه رابط القلب بأبيه، حيث نجد الشيخ عدة بن غلام الله يستعمل هذه المعادلة التقريبية لإفهام العامة فهم الخاصة. فحديثه عن العلاقة بين القلب والروح، يحيلنا إلى إبراز ما أبرزه علماء المادة أنفسهم عندما ربطوا القلب بالدماغ، وبالإشعاعات التي يصدرها كل من القلب والدماغ[3].

---

[1]) السمنودي محمد منير، تحفة السالكين ودلالة السائرين لمنهج المقربين في بيان الطريق للعالم، طبعة مصر، 1916، ص:82.

[2]) عمار يزلي، "جوهرة المسائل، المرجع السابق، ص:71.

[3]) فلقد أثبت العلماء أن منطقة القلب المسماة "Heart chakra "، أي "الهالة القلبية"تولد 12 إشعاعا بلون أصفر ذهبي متألق،حيث تأتي قوة التألق الهالية النورانية هذه مباشرة بعد هالة المركز الإكليلي أو التاجي

فحديث الشيخ سيدي عدة عن أبناء القلب، مرتبط بحديثه عن ارتحال الشهوات الحسية والمعنوية عن النفس، فهو يربط فتح القلب ببنوة القلب، ومدى أفضليتها عن بنوة الصلب، ونحن نراها عنصرا محوريا في فكر الشيخ عدة بن غلام الله الفكرية والتصوفية، بل وعنصرا مؤسسا لكل العناصر التابعة أو الفلكية الأخرى.

في هذا السياق، يعترف الشيخ سيدي عدة بن غلام الله بأن المادية الفزيولوجية غالبة على الطبع البشري والقاعدة هي التوفيق بين الروحانية والمادية وليس تغليب إحداهما على الأخرى. وفي هذا الصدد يقول:"...اعلم أن البشرية غالبة على أي حال وأن الوقت وقتها والبلاد وبلادها (يربط الوقت بالبلاد أي الزمن بالمكان ويقصد به زمن الاحتلال الفرنسي للجزائر باعتباره كان قاضيا ومشرفا على جمع الزكاة لدى الأمير عبد القادر)، وصاحب الوقت غائب وصاحب البلاد مسموع له وإن كان في غاية البغض. قلّ من يسمع له وإن كان في غاية الحب كما هو مشهود مرئي إلا من كانت القدرة حاكمة له بملك أهل البلاد وسبقت سعادته فيسري كالماء بين الأغصان شيئا فشيئا وهو يزيد قوة وغيره يزيد ضعفا حتى يفنى حبه منهم وينطبع حبه في غيرهم يجدهم طوع يده. فهذا معنى البشرية مع الروحانية"[1].

وهنا يشير الباحث عمار يزلي إلى أن أبناء القلب" هم أتباع الطريقة التي تربطهم صلة المودة وصلة الروح، أو ما نعبر عنها بالتعبير الأنثروبولوجي

"Crown chakra" الموجودة في قمة الرأس، حيث تتألق بشدة ، إذ يبلغ عدد إشعاعاتها 960 إشعاعا يغلب عليها اللون البنفسجي، وفي مركزه 12 إشعاعا تتألق بلون ذهبي خاطف، وقد رسمه الأقدمون على شكل هالة ذهبية مشرقة تحيط برؤوس القديسين. هذا المركز وثيق الصلة بالغدة الصنوبرية وهي نقطة الاتصال بين الروح والجسد. رؤوف عبيد، الإنسان روح لا جسد، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1966، ج1، ص:455.

[1]) عمار يزلي، جوهر المسائل، المرجع السابق، ص:148.

"سلطة المقدس"، ذلك أن "سلطة" الشيخ على أتباعه ومريديه(ونستعمل هنا عبارة "سلطة" بصياغة مجازية ذات دلالة تختلف عن مفهوم "السلطة" الوضعي)، هي "سلطة" أساسها الإخلاص في المحبة والتفاني في المحبوب:محبة بذاتها لذاتها في ذاتها، محبة خالصة لا رجاء فيها ولا خوف، عكسها في "محبة" السلطان، التي أساسها الخوف والرجاء والخضوع والانصياع وأحيانا التزلف والتملق والموارات. وعليه، فإن بنوة القلب هي صادق النسب وحقيقة الحسب وهي الأصل وهي الصلة الفصل، بينما لا تمثل بنوة الصلب سوى مجرد بنوة بقوة الفعل أي تحصيل حاصل شكلي لصلة شكلية.. وهذا ما حاول الشيخ سيدي عدة التركيز عليه، بل والتأسيس عليه لفكرة المحبة المطلقة والنسب الشريف..فالشريف بصالح الأعمال لا بالنسب الطيني أو الانتساب إليه دمويا ومناصبته العداء قولا وعملا"[1].

أما تناول الشيخ عدة بن غلام لمسألة النسب الروحي، فهي مسألة ليست بالجديدة لدى أهل التصوف والعرفانيين بشكل عام، غير أن الصيغة التي اعتمدها الشيخ عدة بن غلام الله والمعادلة التفضيلية المؤسسة لها، تعتبر حجر الزاوية في أية طريقة إلى الله، ومن مكونات الفكر الصوفي بشكل عام.

هكذا أراد الشيخ عدة بن غلام الله لنا ولمريديه وأتباع الطريقة البوعبدلية، نسبة إلى هذا "العبيد"[2]، أن يوضح لنا معنى الرابطة الروحية وعلاقة القرابة الحقيقة التي تسمو على كل أشكال القرابات الفزيولوجية التي قسمت الناس إلى أسر وبيوتات وعشائر وقبائل وسلالات متصارعة متحاربة أحيانا باسم الرابطة الدموية وباسم النسب، التي بنى عليها بان خلدون كل نظريته في الحراك

---

[1]) المرجع نفسه، ص:148.

[2]) هو لقب كان يلقب به نفسه تأدبا مع الله وتحقيرا للنفس وتواضعا أمام الله وأمام المشايخ أهل الوسيلة.

الاجتماعي. باختصار عصبية النسب الطيني، عصبية أبناء الصلب[1].

لقد كانت مساهمة متصوفة بايلك الغرب في مجال التصوف مساهمة ملحوظة، حيث رأينا عددا من هؤلاء المتصوفة والذين ينتمون إلى طرق صوفية معينة، أنّ نشاطهم في ميدان الكتابة والتأليف تضمن بعض الأفكار الصوفية، خصوصا تلك المتعلقة بأفكار الغزالي في التصوف.

وعليه فإننا نجد أن بعض متصوفة بايلك الغرب ممن كانوا يستجيزون شيوخ العلم لا في كتب الفقه والحديث والقراءات والأصول وغيرها فحسب؛ بل حتى في كتب التصوف التي تأتي في طليعتها كتب الغزالي.

الفصل الثاني: الإنتاج العلمي في علوم القرآن والحديث:

لقد عرف بايلك الغرب خلال العهد العثماني خصوصا مع بداية القرن الحادي عشر اهتمام بعض المتصوفة بعلوم القرآن والحديث باعتبارهما المصدرين الأساسين في التشريع الاسلامي. ونظرا لأنّ متصوفة تلك الفترة امتازوا بالتأليف في بعض الفنون إلى حد ما؛ والتعليق على بعض الشروحات، مما أكسب تلك الحقبة التاريخية نوعا من التحجر والركود الفكري كما يصفها بعض الباحثين.

---

[1]) عمار يزلي، جوهر المسائل، المرجع السابق، ص:76.

1-1 اهتمام المتصوفة بعلوم القرآن والحديث:

كان اهتمام المتصوفة بعلوم القرآن والحديث واضحا، ولعل مرد ذلك إلى جملة من الأساب، أبرزها تشجيع بعض بايات بايلك الغرب أمثال:الباي مصطفى بوشلاغم، والباي محمد بن عثمان الكبير، للعلماء والمتصوفة الذين ألفوا في فنون علوم القرآن والحديث. حيث أجزل هؤلاء البايات في عطايا العلماء والمتصوفة وقربوهم من بلاطهم.

ثم إنّ طبيعة التكوين العلمي الديني الذي كان لدى متصوفة بايلك الغرب، كان له الأثر البالغ في تكوين شخصيتهم، من هنا كانت عنايتهم بكل ما يتعلق بالقرآن الكريم وبالحديث الشريف من أولويات اهتماماتهم العلمية. فكان الانتاج العلمي في مجال علوم القرآن والحديث الشريف محدودا نوعا ما؛ إذا ما قورن بالكتابات التاريخية.

1- 2 جهود المتصوفة في علوم القرآن:

لقد كان من بين العادات المتداولة ببايلك الغرب تنظيم دروس تفسيرية وحديثية تعقد مجالسها في حضرة الباي، وفي مواسم وشهور معينة كشهر شعبان أو رمضان، حيث كان يحضر هذه المجالس العلماء والأعيان، فتسرد هذه الدروس، يتبعها مناقشة ومناظرة بين العلماء والعامة.

لقد كانت حلقات تفسير القرآن الكريم في العهد العثماني ببايلك الغرب مشهورة جدا، إذ كان توافد الطلبة والعامة على تلك الحلقات العلمية، من دواعي اهتماماتهم واستئناسهم بكتاب الله تعالى. وقد كانت هذه الحلقات العلمية التفسيرية تقام إما في المساجد أو في المعاهد العلمية أو في حضرة الباي أحيانا. وهو ما يعطي تفسيرا واضحا لمدى اهتمام بعض بايات بايلك الغرب بالحياة العلمية خلال تلك الفترة. مثل حلقة الشيخ بن حوا، والشيخ أبي راس الناصر، والشيخ أبي حامد العربي المشرفي وغيرهم كثير. وهي حلقات علمية تخرج منها عدد لا يحصى من

كبار العلماء آنذاك أمثال: الشيخ بن عمار القدومي، الشيخ الهاشمي بوناب الولهاصي، الشيخ عبد الجليل بن علي بن يحي، الشيخ حمري أحمد، الشيخ عبد الرزاق الزموري، وإبراهيم الهطالي[1].

وللتفسير وجود أساسي في علوم القرآن بخصوص الثقافة الدينية، والغاية منه تكمن في شرح الآيات القرآنية وتقريبها إلى الإدراك، وإزالة ما يلفها من غموض. فهذا كتاب الشيخ بن حوا المسمّى تفسير القرآن، وهو عبارة عن نسخ لتفسير بعض الصحابة المتقدمين نسخا حرفيا، وقد قسمه إلى أجزاء.

ثم إنّ الباعث على تأليفه لهذا الكتاب هو تلقيه التفسير:"...من تفاسير متعددة رواية ودراسة عن أئمة ظهرت وبهرت مفاخرهم واشتهرت وانتشرت مآثرهم، جمعني الله وإياهم والمسلمين في مستقر رحمته بمحمد وآله وصحابته، وها أنا الآن وبحسن توفيقه أقول وهو الموفق لكل خير ومعطى كل سول"[2].

فنجده يشرح الآية القرآنية:" واتبع سبيل من أناب إلي" شرحا صوفيا مركزا على العنصر الدلالي القائم على التأويل، فيقول:" فأمر الله تعالى في هذه الآية الولد بمتابعة والد الأرواح دون متابعة والد الأشباح، لأنّ والد الروح يربي المعنى، ووالد الجسم يربي لك الحس، وشتّان بين من همته الحس ومن همته المعنى"[3].

ويشرح الشيخ بن حوا الآية القرآنية الشريفة:" يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات" بقوله:" أي ويرفع الله العلماء منهم درجات بما جمعوا من العلم والعمل، قال ابن عباس للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة،

---

[1]) ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، المرجع السابق، ص:123.

[2]) الشيخ بن حوا، تفسير القرآن العظيم، مخطوط بخزانة الشيخ جيلالي جلول، معسكر، و:2.

[3]) الشيخ بن حوا، تفسير القرآن العظيم، المصدر السابق، و:12ظ.

بين الدرجتين خمسمائة عام، وقال تعالى" نرفع درجات من نشاء".[1] وتتمثل إسهامات متصوفة بايلك الغرب عموما في مجال التفسير في وضع استدراكات ومختصرات وتعاليق على تفاسير مشهورة، وهنا يجب التنبيه إلى نقطة مهمة وهي أن هناك من المتصوفة من يقومون بوضع تفاسير تامة وأخرى غير تامة، أي الاقتصار على تفسير أجزاء من القرآن الكريم. وتفسير الشيخ بن حوا واحد من تلك التفاسير.

إنّ تفسير الشيخ بن حوا[2] من التفاسير المهمة لدى متصوفة بايلك الغرب خصوصا، ولدى طلبة العلم عموما، فهو يزخر بشروحات وافية مدعمة بأقوال فطاحلة العلماء والمفسرين ممن تقدموه. فهو ضمن تفسيره يقلد من سبقه من العلماء الذين خاضوا في هذا الفن تأليفا وتدريسا[3].

ممّا لاشك فيه أن تراث هؤلاء المتصوفة في ميدان علم التفسير لم يكن على مستوى من الإتيان بالشيء الجديد، إنما هو تقليد لما سبق من ذكر أقوال تفاسير بعض المتقدمين، ووضعه في حلة تتناسب وبضاعة العصر آنذاك، وهي طريقة اعتاد عليها متصوفة بايلك الغرب خصوصا، ومتصوفة العهد العثماني بالجزائر عموما.

وهناك تقييد في التفسير مثلا للشيخ الطيب بن المختار، حول تفسيره للآية الكريمة:" يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ

[1]) المصدر نفسه، و67و.

[2]) ونظرا لمكانة هذا العالم العلمية، جعلت بعض المؤرخين المعاصرين يكتبون عن هذه الشخصية، ويجعلونها ضمن اهتماماتهم البحثية أمثال الشيخ المهدي البوعبدلي الذي كتب عنه قائلا:" الأسباب التي دفعتني عن التركيز في البحث عن هذه الشخصية، هو أنني فوجئت بعدما تصفحت بعض النسخ من تراثه، وخاصة تاريخ الصحابة، لقد تبين لي أن البحث والتنقيب عن مثل هذه الشخصيات، وبالأخص التي لا زال تراثها مغمورا يستغاث له".

[3]) المهدي البوعبدلي، وثيقة مخطوطة، و:2.

الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ"[1]، والتي جعلها في جل مقدمات تآليفه. فالطيب بن المختار" من أقرباء الأمير عبد القادر الذين عاشوا في نفس الفترة الزمنية...وهو أديب له ديوان شعر وله باع كبير في التفسير والتوحيد...رافق الأمير عبد القادر إلى منفاه"[2] ثم عاد إلى أرض الوطن أين تولى القضاء والإفتاء.

إن اهتمام هؤلاء المتصوفة بالتفسير ينبع من عقيدتهم المسلمة، وبمدى تأثرهم واهتمامهم بالقرآن الكريم حفظا و دراسة وتطبيقا لما جاء فيه من تعاليم ربانية، تنظم سلوكاتهم ببعضهم البعض وبخالقهم عزّ وجل.

ويعد كتاب الإبريز والإكسير في علم التفسير لأبي راس الناصر، من المصنفات العلمية التي عني بها طلبة العلم ببايلك الغرب، ونظرا لأن اهتمامات أبي راس جلها في التاريخ، إلا أن هذا لم يمنعه من إبراز مساهماته في فنون أخرى كالتفسير رغم بضاعته المزجاة في هذا الفن، بدليل قوله:" كون بضاعتي في التفسير مزجاة، لأن كلا ينفق مما عنده، على حسب الإقتار والجدة، مع كثرة العوائق ورقباء الطوارق، وجهلي بمسالك الصناعة أحدى، فتراني أقدم رجلا وأؤخر أخرى، لكوني بمعزل عن حلول هذا المنزل وعن استصباح سراجه، واستصحاح منهاجه، إلى أن صمم الذهن الفاتر، والرأي العاثر، على الانتظام في سلكهم العتيد والإيواء إلى ركنهم الشديد، لأقتبس من تفاسيرهم السائدة في الأنام مسير الشمس، ولا ينكرها إلا الذي يتخبطه الشيطان من المس"[3].

---

[1]) سورة ص، الآية:26.

[2]) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ج2، ص:123.

[3]) أبو راس الناصر، الإبريز والإكسير في علم التفسير، مخطوط خزانة الشيخ بلقرد، معسكر، و:3و.

وعن الباعث من هذا التأليف يذكر أبو راس هو" نفع نفسي لا غير، وأقدم لها ما هو من الأعمال خير،...وسميته الإبريز والإكسير في علم التفسير"[1]. تلك هي غاية أبي راس في تأليفه لكتابه الابريز، الذي هو عبارة عن تأليف ضمنه شروحات تفسيرية[2] لمن تقدمه من العلماء، فهو ناقل شارح لمن سبقه، حيث اقتصر شرحه الذي بين أيدينا على الأجزاء الأولى من سورة البقرة، وهناك أجزاء أخرى تعتبر في حكم المفقود[3].

وممّا نعرفه عن أبي راس"نستطيع أن نحكم بأنّ تفسيره سيكون محشوا بالاستطراد كالأخبار والإعراب والحكايات ونحوها"[4]. ونكاد نجزم أن عباراته سهلة وألفاظه قريبة من العامية. أما التفسير في حد ذاته مقتصر فيه على المعاني الظاهرة التي لا تحتاج إلى كثرة الاستدلال والاستنباط والتفرع. ومهما يكن فإنّ تفسير أبي راس يذكّر المرء بتفسير الثعالبي، لأنّ كليهما كان يجمع بين الزهد والعلم، وكليهما جاء في وقت اضطربت فيه الأحوال السياسية في البلاد، كما أن حجم التفسيرين متقارب"[5].

---

[1]) المصدر نفسه، و:6ظ.

[2]) كما وضع أبو راس الناصر تفسيرا آخر للقرآن الكريم في ثلاثة أسفار، في كل سفر عشرون حزبا وسمّاه "مجمع البحرين ومطلع البدرين، بفتح الجليل للعبد الذليل، في التيسير إلى علم التفسير". محمد بن عبد الكريم الجزائري، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1990، ص:179. توجد نسخة من هذا التفسير اطلعنا عليها بخزانة الشيخ مصطفى بن محي الدين، معسكر.

[3]) ومما جاء فيه قوله:" ما أبركها قربى في كل سفر عشرون حزبا، طالما تكلمت فيه نقلا من كتاب شيخ أو فيه مع الزمخشري والبيضاوي، وابن عطية وغيرهم، فيا لها من عطية". المصدر نفسه، ص:179.

[4]) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1998، ج2، ص:19.

[5]) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص:19.

وهناك تقاييد أخرى لأبي راس الناصر المعسكري في مجال التفسير لا تقل أهمية عن سابقاتها غير أنها تعتبر في حكم المفقود مثل "تقييد على الخراز[1]، والدرر اللوامع[2] والطراز[3] "، تكلم فيها مع محمد بن محمد الشريشي المعروف بالخرّاز[4] وابن بري[5] وعبد الله التنسي[6]. وكلها توحي بأن أبا راس رغم اهتماماته التاريخية والأدبية إلا أنه حاول تجريب حظّه من التأليف في مجال الدراسات القرآنية.

وهناك تقييد آخر لمتصوف مجهول[7] ببايلك الغرب حول البسملة تحت عنوان "درر في تفسير البسملة"[1] ضمنّه صاحبه تفسيرات وإشارات عن البسملة،

---

[1]) المقصود بها منظومة الخراز، المسمّاة بـ" مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن" من باب تسمية الشيء باسم صانعه.

[2]) المقصود به كتاب الدرر اللوامع في قراءة نافع، وهي منظومة لمؤلفها أبي الحسن علي بن محمد بن علي الرباطي الآتي ذكره.

[3]) المقصود به كتاب الطراز في شرح ضبط الخراز لأبي عبد الله التنسي الآتي ذكره.

[4]) الخراز:(..-718ه=..-1318م) محمد بن محمد بن إبراهيم، أبو عبد الله الأموي الشريشي، الشهير بالخراز: عالم بالقراءات، من أهل فاس، أصله من شريش. من مؤلفاته: أرجوزة مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج7، ص:33.

[5]) ابن بري(نحو 660-730ه=نحو1261-1330م) علي بن محمد بن الحسين الرباطي، أبو الحسن، المعروف بابن بري: عالم بالقراءات، من أهل تازة. ولي رياسة ديوان الإنشاء فيها. من كتبه " الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع " أرجوزة في القراءات، لقيت من الذيوع في شمالي إفريقية مثل ما لقي كتاب " الآجرومية ". المرجع نفسه، ج5، ص:5.

[6]) التنسي:(..-899ه=..-1494م) محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي، أبو عبد الله: مؤرخ، من فقهاء تلمسان وأدبائها. نسبته إلى (تنس) من أعمالها. له (نظم الدر والعقيان في دولة آل زيان) و(راح الأرواح فيما قاله أبو حمو وقيل فيه من الامداح) و(فهرسة) بأسماء مشايخه، و(فتاوى) و(الطراز في شرح ضبط الخراز). خير الدين الزركلي، الأعلام، ج6، ص:238.

[7]) من خلال هذا المؤلف يتبين أنه كتب خلال القرن 11ه/17م

ويتضح لنا ذلك جليا من خلال تقسيمه لتأليفه إلى درر مختلفة:"...الدرة الأولى في تفسير مفرداتها، الثانية في إعرابها، الثالثة في معناها التركيبي، الرابعة في سبب الابتداء بها، الخامسة في حكمها، السادسة في فضلها، السابعة في رسمها، الثامنة في شأن قراءتها في أول السورة إثباتا أو نفيا وبالله تعالى أستعين...الدرة الأولى في تفسير مفرداتها أما الباء فحرف يرد لمعان أشار لها بعضهم بقوله:(بحر البسيط)

تُعَدُ لُصُوقًا وَاسْتَعِنْ بِتَسَبُبِ وأبـــــدل صحـــــابا[2]

إنّ الدّارس لمصنفات متصوفة بايلك الغرب في مجال علوم القرآن كالتفسير والقراءات والرسم القرآني،...يلحظ أنّ هناك توضيحات يضفيها المتصوف على تأليفه حتى يعطي لتأليفه طابعا خاصا به، رغم ما ينقله من أقوال المتقدمين حول تفسير آية ما. وهذا بطبيعة الحال ميزة امتاز بها متصوفة وعلماء ذلك العصر.

إلى جانب تأليف آخر في اسم الجلالة[3] لمحمد بن أحمد الموسوم، وهي عبارة عن رسالة صغيرة الحجم، ضمنّها صاحبها شرحا ميسرا حول اسم الجلالة "الله" بالاعتماد على أقوال من سبقوه من العلماء. وهي عادة متصوفة وعلماء تلك الفترة من العهد العثماني. فقد ضمنه صاحبه بعض الإشارات اللطيفة والشروحات الموجزة الميسرة لطالب العلم أخذها.

---

[1]) يقع هذا المخطوط في عشر ورقات من الحجم الصغير، ذو مقاس 18/24سم، بمعدل 26 سطرا في كل ورقة، كتب بخط مغربي جميل واضح ومقروء. مخطوط مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية، الرباط، المغرب الأقصى، تحت رقم:419.

[2]) ويقول صاحبه في نهايته:" الدرة الثامنة في كونها من القرآن في أوائل السور سوى براءة، وقع بين أئمة السلف من الفقهاء والقراء فيها خلاف كثير...قال الشيخ زكرياء في حاشية البيضاوي...هذا آخر ما تيسر تقييده على البسملة... ". محمد بن علي السنوسي، درر في البسملة، مخطوط خزانة الشيخ عبد الباقي الشعاعي، و:10ظ.

[3]) محمد بن أحمد الموسوم، رسالة في اسم الجلالة، خزانة أبي عبد الله شراك، مسجد الشريفية، وهران.

ومن خلال مقدمة المؤَلَف يتبين لنا أن هذا التقييد ينمّ عن بلاغة صاحبه وموسوعيته وشموليته وإلمامه بتفسير كتاب الله تعالى، والمُلاحِظ لهذا التقييد يجده غنيا ومحشوا ببعض أقوال العلماء المتقدمين حول هذه المسألة، وإن كان الأمر واضحا حول مدى أهمية البسملة وحكمها وغنى آراء العلماء حولها. وهي مسألة لطالما تعرض لها العلماء بالدرس والتحليل.

وفي وصفه لكلمة الرّحيم قوله أنها:" صفة مبالغة كما قال سيبويه وارتضاه أبو السعود في تفسيره، واستشكال المبالغة في صفات الله مدفوع بأنها فيها مجاز وبأنها لغوية بمعنى الكثرة في متعلق الصفة الفعلية عند الأشعرية، وفي متعلقها عند الماتريدية[1]. فهي مؤلفات تعكس الخلفية الذهنية التي كان عليها متصوفة ذلك العصر، ومحاولة إبراز وجهات نظرهم اتجاه تلك المسائل التي لطالما خاض فيها علماء أجلاء، وأغنوها بؤلفاتهم. وهناك تقييد آخر حول نفس المسألة لمتصوف مجهول يعتقد أنه من أهل القرن الحادي عشر الميلادي سماه[2]" تقييد حول البسملة"[3].

وهناك تقييد لمحمد بن علي بن توزينت العبادي التلمساني، الذي يعد من القراء المشاهير، ومن فطاحلة علماء عصره علما وجهادا. فهو تلميذ تلاميذة محمد

---

[1]) الماتردية: فرقة كلامية(بدعية)، تُنسب إلى أبي منصور الماتريدي، قامت على استخدام البراهين والدلائل العقلية والكلامية في محاججة خصومها، من المعتزلة والجهمية وغيرهم، لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية. الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ج29، ص:1.

[2]) مخطوط يقع في ثلاث ورقات من الحجم المتوسط، بمقاس 23/18 بمعدل 22 سطرا في كل ورقة. كتب بخط مغربي واضح ومقروء. مما جاء به في مقدمته قوله:" الحمد لله إن أحسن ما تتجلى به الطروس، وتلذ به الأعين وتشتهي النفوس الثناء على الله تعالى الخالق البارئ الملك القدوس الذي افتتح كل كتاب ببسم الله الرحمن الرحيم وإنما المخصوص العربي اللفظ".

[3]) مؤلف مجهول، تقييد حول البسملة، مخطوط مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية، الرباط، المغرب الأقصى، و:1و.

السنوسي[1]، توفي مجاهدا ضد الإسبان سنة(1118هـ/1708م)، أثناء الفتح الأول لوهران. فقد تضلع مترجمنا في علوم جمة منها علم القراءات التي ألّف فيها تقييدا[2]، والذي يعد نسخة نفيسة وفريدة، حذى حذوها من جاء بعده من تلامذته.

أما أحمد بن ثابت التلمساني[3] صاحب" الرسالة الغراء في ترتيب أوجه القراء"[4] من أهل تلمسان عالم كبير، من سلالة سلاطين تلمسان، ومن تلاميذ ابن توزينت، ثار ضد الإسبان في وهران، وعرف عنه صلابة مواقفه ودفاعه عن الحق دون خوفه لومة لائم. وكانت في منتصف القرن الثاني عشر الهجري.

ومهما يكن من أمر فإنّ رسالة أحمد بن ثابت تعد من أفخر ما ألف حول علم القراءات، وهذا راجع إلى اعتماده على جملة من المؤلفين السابقين في هذا العلم أمثال الشاطبي وابن الجزري. فنجده في بعض المقاطع يقول أنه قرأ برواية كذا، ليبين الباعث على تأليفه لهذه الرسالة بقوله:" وبعد، فهذه الرسالة الغراء...سألنيها بعض الثقات، ليعرف المقدم في وجوه الرواة،...، فاسبنت القوي من الضعيف، وباينت المشروف من الشريف...". ومن أهم المباحث التي تعرض إليها ذكره اختلاف القراء في التعوذ والبسملة، وبيان الراجح من ذلك، واختلاف سورة آل عمران ثم سورة النساء[5].

---

[1]) لقد استبعد أبو القاسم سعد الله أن يكون محمد بن علي بن توزينت تلميذ السنوسي نظرا لفارق المدة الزمنية الطويلة التي تفصل بينهما، واعتبره تلميذ تلامذة السنوسي. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص:23.

[2]) اطلعنا على هذه النسخة بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم:2243. وهي جزء التقييد السالف الذكر.

[3]) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص:14.

[4]) أحمد بن ثابت، الرسالة الغراء في ترتيب أوجه القراء، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، ضمن مجموع، تحت رقم:2254، من ورقة 171 إلى 182. كتبت بخط مغربي واضح ومقروء.

[5]) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص:14.

لقد أبدى ابن ثابت تفوقا في مجال القراءات من خلال هذه الرسالة التي تدل على تمكن كبير من الفن، واظلاع واسع على مصادره، واستيعاب كامل للقضايا الخلافية المتعلقة به، واهتمام زائد فتح به المجال لمن جاؤوا بعده من المتصوفة.

لقد كان منهج متصوفة القرن الحادي عشر والثاني عشر يعتمد على المعاني الظاهرية المصبوغة باللمسة الصوفية، كما كانوا يعتمدون طريقة القدماء في الاستدلال والاستنتاج.

كما لا يفوتنا التنويه بموضوع آخر يدخل ضمن علم التفسير والقراءات وهو موضوع الأنصاص القرآنية[1] التي كانت محل عناية من لدن بعض متصوفة بلاد المغرب العربي عموما، ومتصوفة بايلك الغرب خصوصا، والتي راحوا يجودون بما عندهم من أجل إبراز هذا النوع من الدراسات النادرة آنذاك.

ومخطوط " أنصاص في القراءات لجماعة من العلماء القراء المغاربة"[2] من الكتب التي اهتم بها متصوفة تلك الفترة المدروسة وحتى قبلها. فهذه الأنصاص هي نصوص تساعد على حفظ القرآن وإتقان رسمه وضبطه، فهي بذلك أداة مساعدة على حفظ كتاب الله تعالى واستنباط أحكامه رسما وضبطا. وممّا جاء فيه:(بحر الطويل)

---

[1]) الأنصاص القرآنية: جمع نص وهو جمع قلة على وزن أفعال، وفي الاصطلاح: مصطلح متداول بين أرباب القراءة في المغرب للتعبير عن مجموعة من القواعد التي تؤطر الكلمات الخارجة عن القياس في رسمها أو ضبطها أو في كيفية أدائها. يراجع: عبدالعزيز العيادي العروسي، الأنصاص القرآنية رواية ورش، مطبعة سبارطيل، طنجة، المغرب، ط3، 1999. ص:10.

[2]) مؤلف مجهول، أنصاص في القراءات لجماعة من العلماء القراء المغاربة، مخطوط الخزانة الحسنية، الرباط، المغرب الأقصى، تحت رقم:12300. وهو مخطوط لأحد متصوفة بايلك الغرب، يقع في حوالي 14 ورقة من الحجم المتوسط، ذو مقاس:23/19، بمعدل 20 سطرا في كل ورقة. وكتب بخط مغربي واضح ومقروء.

وبسملة في السور الأربع الغر لا أقسم معا مع الولين مجملا
لم تكن رواية عن ورش لذا انتبه وإنما هي استحسان بعض من حلا[1]

وممّا جاء في نهايته قوله: (بحر الطويل)

جمال وصال سال بل جاء هديه خليلي بفضلك بحيث من البلا
رواية وصلك القيامة تجتلا محرمي يا رب سلمني من البلا
جليلي أخذ هدى بدا طالبا فخذ رواية بذنك القيامة تجتلا[2]

وهناك كتاب للمستغانمي حول إعراب القرآن الكريم سمّاه" إعراب القرآن الكريم"[3] وهو عبارة عن إعراب نحوي كامل من سورة الأنفال إلى سورة المنافقون. ومما جاء في بدايته:"...أي والله الذي أخرجك من بيتك يجادلونك، ونقل ابن الشجري عن قائل هذا القول(...)القسم...واقع على أول السورة أي الأنفال لله والرسول والذي أخرجك، ورد بأن الكاف ليست من حروف القسم وبأن المضارع المثبت وقع جوابا للقسم بغير لام ولا نون توكيد"[4].

وهذا دليل واضح على مدى تمكن متصوفة بايلك الغرب عموما من مادة التفسير، التي لطالما كانت عبارة عن حشو لما سبق. وقد ختم المؤلف كتابه بالقول عن جواز التثنية بين الغنى والفقر عند العرب بقوله:" على جوازهما عن العرب

---

1) مؤلف مجهول، أنصاص في القراءات لجماعة من العلماء القراء المغاربة، مخطوط الخزانة الحسنية، الرباط، المغرب الأقصى، تحت رقم:12300.و:2.

2) أنصاص في القراءات لجماعة من العلماء القراء المغاربة، مخطوط الخزانة الحسنية، تحت رقم:12332 و:14.

3) يقع هذا المخطوط في حوالي 151 ورقة، بمقاس:32/22 بمعدل 30 سطرا في كل ورقة. وقد كتب بخط مغربي مقروء وواضح بمداد أسود وأحمر.

4) المستغانمي، إعراب القرآن الكريم، من سورة الأنفال إلى سورة المنافقون، مخطوط خزانة عبد الباقي الشعاعي، وادي الجمعة، غليزان، و:15.

وقرئ إليهما بالتثنية وتقدم توجيه مثل هذا في قوله تعالى "إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما" إعراب سورة المنافقين أيمانهم الجمهور بفتح الهمزة جمع يمين والحسن بكسرها مصدرا فطبع الجمهور مبنيا للمفعول"[1].

وقد أنجب القرن الحادي عشر(17م) ثلة من العلماء المشار إليهم آنفا من أمثال أحمد المقري[2]، وأبو راس الناصر، وأبو حامد المشرفي، عبد القادر السنوسي الخطابي، المنور التلمساني، ومع ذلك فإنّ بعضهم لم يترك تأليفا في علم التفسير بالرغم من ضلوعهم في جوانب العلم المختلفة[3].

2/ علم الحديث:

استأثر علم الحديث باهتمام متصوفة بايلك الغرب، لأن الحديث الشريف يجسد المرتبة الثانية بعدد القرآن الكريم، والمصدر الأساسي لاستنباط الأحكام الشرعية، وباعتبار خدمة كلام رسول الله ρ يعد من الضروريات العلمية في ثقافتنا الدينية، حيث نال اهتماما بالغا من طرف العلماء والبايات والمتصوفة.

وترتبط فكرة اعتناء متصوفة بايلك الغرب بتراث علم الحديث ببداياتهم في التأليف، ولعل هذه الفكرة نتاج عملية تعلمية ومحاولة معرفة أكثر عن تلك الجوانب المختلفة للنبي ρ، والعض على سنته بالنواجذ. من هنا كان اهتمام هؤلاء

[1]) المستغانمي، إعراب القرآن الكريم، المصدر السابق: و:151.

[2]) عن ترجمة المقري ينظر: خلاصة الأثر، ج1:320، وصفوة من أنتشر، ص:72، واليواقيت الثمينة، ج1، ص:29، ونشر المثاني، ج1، ص:157، وتعريف الخلف، ج1، ص:44، والبستان :155 ومقدمة روضة الآس، وكتاب الزاوية الدلائية:108، ومقدمة نفح الطيب، ج1، ص:5، الأعلام، ج1، ص:226. ومعجم المؤلفين، ج78، ص:2، ومعجم أعلام الجزائر، ص:42.

[3]) يذكر أبو القاسم سعد الله، قول محمد بن عبد الكريم: أن للمقري تأليفا عنوانه " إعراب القرآن" وأن نسخة منه موجودة بالمكتبة الوطنية الفرنسية بباريس. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص:17.

المتصوفة بعلم الحديث من زوايا مختلفة، فراح كل واحد يدلو بدلوه، مستعينا بعلمي الظاهر والباطن، اللذان يعطيانه حسب اعتقادهم استعدادا لائقا لتلقي المعرفة والبحث عن مصادرها لاسيما في مجال علم الحديث. ولذا نلحظ بشكل كبير مدى تفرد شخصية هؤلاء المتصوفة العلمية التي جعلتهم ينكبون على العناية بتراث علم الحديث ببايلك الغرب، وهذا كان عاملا مهما في تعلقهم بهذا التراث[1].

ويمكن أن نعدّ مؤلفات هؤلاء المتصوفة أنماطا أولية جعلتهم يعتنون بهذا التراث، وكذا وجود حواضر علمية ببلاد المغرب عموما، واعتناقهم للفكر العقدي السني، وطبيعة مروياتهم، وكذا انفتاحهم على الأصداء الثقافية والعلمية للمشرق العربي والعالم الإسلامي عموما.

ولعل من دواعي اهتمام متصوفة بايلك الغرب بعلم الحديث، يتبين من خلال ولوعهم بسنة النبي ρ، وبالكتب التي اعتنت بأحاديثه ومروياته صلى الله عليه وسلم. إلى جانب اعتبار الحديث الشريف ثاني مصدر بعد القرآن الكريم؛ لذا وجب الحفاظ عليه من أي زيادة أو نقصان أو تحريف، كما أن هناك عاملا مهما ساعد متصوفة بايلك الغرب على الاهتمام بعلم الحديث وهو تشجيع بعض بايات بايلك الغرب بعلم الحديث لاسيما بصحيح البخاري[2].

2- 1 العناية بعلم الحديث ببايلك الغرب:

كما كان الاهتمام بنشر المعارف وعقد المجالس بالغا أقصاه وكفى ما خلفه الباي مصطفى بوشلاغم من مدارس ومكتبات علمية، ومعاهد دينية ونوادي أدبية وهما من أفذاذ الأدباء وفطاحل العلماء وكان يدعى للمجالس التي تقام بالقصر في هذا العهد علماء المغرب، وإفريقية، والأندلس.

---

[1]) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص:17.

[2]) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص:18.

وقد ازدهرت الحركة العلمية بشكل واضح، حيث أصبحت دراسة الحديث خلال ببايلك الغرب خلال العهد العثماني تأخذ صيغتها الرسمية. فقد كانت تعقد المجالس لهذا الغرض خلال شهر رمضان المبارك ويستدعي لها العلماء من فاس ومراكش ويشاركهم بحديثه[1].

وفي ظل الدولة العثمانية أغصنت شجرة المعارف وأينعت ثمارها، وتفتحت أكمامها إذ كان لباياتها شغف كبير بالعلم، ومحبة خاصة في أهله، وعناية كبرى بدراسة الكتاب العزيز والسنة النبوية فلقد أنشأ الباي محمد بن عثمان على الرغم مما كان يعترضه من مشاكل سياسية في الداخل والخارج ــ مدارس العلم، وخزائن الكتب، وحضر مجالس العلماء بنفسه، وناقشهم في أدق المسائل، واهتم اهتماما خالصا بمجلس العلماء.

وفضل المتصوفة الجزائريين في مجال علوم الحديث لا ينكر، فقد كانوا من أوائل المصنفين لدواوين وكتب الحديث والآثار، ولذلك كان متصوفة بايلك الغرب بما في ذلك العدوة المغربية أحد الروافد الغنية لمصنفات المشارقة[2].

2- 2 ختمات صحيح البخاري ومناسبتها:

إنّ الختمات أو الختم من العادات المحمودة، والسنن الكريمة المعهودة التي سجلها تاريخ الفكر الإسلامي، وعرفتها مراكز الثقافة بمناسبة انتهاء العالم أو الشيخ من تدريس فن من الفنون، حيث يعقد مجلس حافل يسمى "بيوم الختمة" يكلل به مجالس الشيخ في الفن الذي يدرسه، من نحو أو فقه أو تفسير أو حديث، ويختم فيه الكتاب الذي درسه لطلبته وتلاميذه، بعد أن يستعد لختمته ويجتهد في اختيار موضوعه، مركزا على علومه ومعارفه، مفرغا كامل جهده وطاقته، ليكون مبرزا

[1]) ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ص:240.

[2]) ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ص:241.

فيه بسبب حضور علماء البلد وشيوخها معه في ختمته، مما يدفعه لإظهار عبقريته ومقدرته العلمية، وخاصة في موضوع الختم أو الفن المختوم[1].

ومن ذلك نجد أن الشيح الحافظ أبا راس الناصر، عندما ينتهي من دروسه في تفسير الإمام الرازي مثلا، يعقد مجلسا حافلا للختم، وتوجه رقاع الدعوة إلى عدد من طلبة وعلماء تلك الجهة. وعندما ينتهي الشيخ من ختمه يقوم الشعراء بإلقاء قصائدهم، تمجيدا للشيخ والثناء على عمله وذكر صفاته وتبريزه في الفن المختوم، كما يحمل عند نهاية المجلس على الأعناق والكواهل من طرف طلبته ومحببه على بيته، في مهرجان وإكبار، حيث يحتفل به رجال المدينة والعلماء ويقدم الحليب والثمر، وتقام المآدب الإكرام، وقد تقدم إلى الشيخ بعض الهدايا والصلاة ممن طرف الملوك والأمراء[2].

أما مناسبة الختم فتتعدد حسب الظروف، فإذا كان الغالب أنها تكون بمناسبة إنهاء العالم دراسة فن من الفنون أو كتاب من الكتب، كما هو الشائع عند الانتهاء من دراسة الموطأ أو الكتب الستة أو الأجرومية أو الألفية وغيرها كما سنرى فيما بعد، فإن الختم أيضا يكون في مناسبات أخرى عندما يتهيأ الجيش للخروج للجهاد وهو ختام القراءة، كما حصل عندما كان يستعد جيش الباي محمد بن عثمان الكبير للخروج إلى جهاد الإسبان وقتالهم في معركة "فتح وهران" عام 1206هـ/1792م، إذ ختمت سلك القرآن مائة ختمة، وكذا ختم صحيح الإمام البخاري كما نص على ذلك المؤرخان أبو راس الناصري وصاحب الرحلة

---

[1]) محمد ابن ميمون، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم و تحقيق الدكتور محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، ط1972، ص:53.

2) ينظر:عبد الهادي التازي، جامع القرويين، ج2، ص:431. ويوسف الكتاني، مدرسة الإمام البخاري في المغرب، ج2، ص ص:601-602.

القمرية وغيرهما[1]. كما كان الختم يقع بمناسبة تشييد عدد من المساجد أو المدارس.

إن ختمات صحيح البخاري لم تكن مشهورة لدى المشارقة، ولم تكن سنة مألوفة كما هو الشأن عندنا ببلاد المغرب العربي عموما وببايلك الغرب على وجه الخصوص، وخاصة بالنسبة للجامع الصحيح حيث جرت العادة الحميدة أن يعقد الشيوخ والمحدثون مجالس ختمية، عند الانتهاء من سرد الصحيح أو تدرسيه وإقرائه وشرحه، يكون موضوع المجلس شرح آخر حديث من أحاديث الصحيح، يقدم لموضوعه بمدخل يذكر فيه أهمية العلوم الشرعية وفي مقدمتها الكتاب والسنة، وقد يؤرخ لتدوينها، ثم يتحدث عن صاحب ترجمته وحياته، ويعرف بالجامع الصحيح وكيفية تأليفه، ويتحدث عن مناسبة الحديث من الجامع، وعن سنده ومتنه شرحا مستفيضا، ثم يتخلص إلى ذكر مروياته وسنده الفريد أو المتعدد للجامع الصحيح، وقد يختم المجلس بنوادر وأدعية وأشعار[2].

غير أن المشارقة لم يكونوا يتقيدون في مجالس الإملاء بكتاب خاص، كما هو شأن المتصوفة المغاربة في ختمات البخاري، إذ يعقد المحدث مجلسا يملي فيه بعض مروياته من حفظه، ثم يختم المجلس بحكايات وأشعار ونوادر ونكت تناسب المقام.

فعندما عقد الباي الباي محمد بن عثمان الكبير، وقبله الباي مصطفى بوشلاغم الراية للجيش في طريقه إلى فتح وهران سواء بجامع معسكر الكبير أو بمكان رباط الطلبة والعلماء بوهران، ختم عليها أهل الله حملة القرآن مائة ختمة،

1) ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح: المهدي البوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، دط، ط1973، ص:114.

2) محمد ابن ميمون، التحفة المرضية في الدولة البكداشية، المصدر السابق، ص:56.

وصحيح البخاري، وصحبوا ذلك بالتهليل والتكبير، والصلاة والسلام على البشير النذير، والدعاء بالنصر والتمكين[1].

وقد دأب عادة على هذه الختمات الملوك والسلاطين العثمانيين منذ أن عرف بايلك الغرب الجامع الصحيح وخاصة على عهد الدولة العثمانية في أيام الباي محمد بن عثمان الكبير، الذي كانت سيرته في شهر رمضان المواظبة على سماع الصحيح وحضور مجالس إقرائه بين يديه، وعقد مجلس حافل لختمه، وقد تحدث عن هذا المجلس صاحب "الثغر الجماني" بقوله:"وهكذا كانت سيرته في شهر رمضان عند ختم صحيح البخاري، وذلك لأنه كان إذا دخل رمضان سرد القاضي وأعيان الفقهاء كل يوم سفرا من نسخة البخاري، وهي عندهم مجزأة على خمسة وثلاثين سفرا في كل يوم سفر إلا يوم العيد وتاليه، فإذا كان يوم سابع العيد ختم فيه صحيح البخاري وتهيأ له السلطان أحسن تهيء، وكانت العادة الجارية عندهم في ذلك، أن القاضي يتولى السرد بنفسه فيسرد نحو الورقتين من أول السفر ويتفاوض بعض الحاضرين في النساء، ويلقي من ظهر له بحث أو توجيه ما ظهر له، ولا يزالون في المذاكرة، فإذا تعالى النهر ختم المجلس وذهب القاضي بالسفر فيكمله سردا في بيته، ومن الغد يبتدئ سفرا آخرا، هكذا والسلطان في جميع ذلك جالس قريب من حاشية الحلقة قد عين لجلوسه موضع"[2].

هذا وقد اكتسى حفل ختم صحيح البخاري بزاويا بايلك الغرب، طابع الموسم، حيت تشد إليه الرحال من كل مكان، ويطعم فيه الطعام، ويلقي الشيخ محمد أبو جلال المعسكري درسا في نصف يوم كامل يشهده علماء من نواحي الجهة الغربية وغيرها، ويتلوه إنشاد القصائد في مدح البخاري وكتابه، والإشادة

---

1) اليفرني، نزهة الحادي في أخبار الحادي، ص: 65.

2) ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، المصدر السابق، ص:115.

بشيخ العلم وسعة علمه، وكانت هذه الميزة في الرباطات الجهادية وفي شهر رمضان يتم خلالها قراءة صحيح البخاري وختمه.

ونذكر من المدن التي حافظت على سنة إسماع البخاري وقراءته بلاد الراشدية، تلمسان، تيارت، شلف، وهران، مستغانم، حيث تفتتح قراءة البخاري في عدة أماكن في شهر رمضان، سواء بالمسجد الأعظم الذي تبتدئ قراءته في مستهل رمضان، ويختم في مشهد كبير بعد زوال السادس والعشرين من رمضان، كما يقرأ في نفس الشهر وبنفس الاهتمام بعض الزوايا.

إن تعاطي العلم ونشره بالتدريس والتأليف في مختلف الفنون وعلى الأخص علم القراءات والحديث اقتداء بابيه وسلفه الصالح حتى تنافس الناس في عهده في اقتناء العلوم واكتساب المعارف، وكانت المجالس الحديثية على أيام الباي محمد بن عثمان الكبير من أبهى المجالس وأبعدها أثرا؛ إذ كان رحمه الله قد انتقى لها طائفة من فحول العلماء والمحدثين، وكان الملك يشارك فيها بغزارة علمه وحسن ملكته، وممن حضر هذه المجالس الشيخ محمد أبو راس الناصر المعسكري وأشاد بمجلس الشيخ بن كيران[1].

ولقد كانت هناك علاقات علمية وروابط ثقافية بين بايلك الغرب والمغرب الأقصى، فمما اشتهر به الباي محمد بن عثمان الكبير إجلاله للحديث الشريف واهتمامه بكتبه ودواوينه وبطلبته من ذلك أنه استعار من خزانة القرويين نسخة البخاري المعروفة بالشيخة التي كتبها أبو عمران موسى بن سعادة وقرأها ستين مرة على شيخه الصدفي ولما كانت هذه النسخة الجليلة ينقصها الجزء الأول أمر رحمه الله بنسخ الجزء الأول من الصحيح وكلف واحدا من أبرع الخطاطين بذلك وأصدر ظهيرا في الموضوع نسخ في الورقة الأولى من الجزء الأول بتاريخ

---

[1]) اليفرني، نزهة الحادي في أخبار الحادي، المصدر السابق، ص:65.

1288هـ مع نص الوثيقة العدلية التي تشهد بذلك، وظلت هذه النسخة محل إجلال وإكبار في عهد هذا السلطان وفي عهد ولده الحسن من بعده فكانا يصاحبانها في أسفارهما وإقامتهما واتخذا لها صندوقا ثمينا مزخرفا ومغشى لحمله دابة خاصة تكون أمام محفة السلطان في جميع أسفاره.

كما كان حضور بعض متصوفة بايلك الغرب لمجالس حديثية بالحواضر العلمية المجاورة ونقصد بذلك المغرب الأقصى، " ففي عهد المولى عبد الرحمن بن هشام شارك في المجالس الحديثية عبد القادر بن عبد الله المشرفي المعسكري"[1].

3-2 نماذج من تراث المتصوفة في الحديث:

وعند نظرنا في ذخائر تراث المشارقة في الحديث والرجال والنقد والتخريج...هالنا الأمر بالنسبة للمتصوفة المغاربة، وتساءلنا عن تراثهم؟. ولنرجع في تعاملنا مع هذه المواد إلى الاستناد بنماذج فذة نبغ فيها متصوفة بايلك الغرب عموما مثل: محمد بن علي القوجيلي، وأبو راس الناصر المعسكري، والعربي المشرفي، ومحمد بن علي السنوسي الخطابي، وابن زرفة الدحاوي، وابن سحنون، ومسلم بن عبد القادر،...

[1]) ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، المصدر السابق، ج1، ص:122.

ومن أبرز الكتب التي أنجزت خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين(18/17م) كتاب عقد الجمان اللامع المنتقى من قعر بحر الجامع[1]، لمحمد بن علي القوجيلي، وهو مثال آخر في التدوين الحديثي ببايلك الغرب؛ وهو يعد من أهم المصادر الأساسية في علم الحديث الشريف ورواة الجامع الصحيح، خصوصا وأنه يعكس شخصية المحدث والشاعر؛ الجامع بين علم الحديث والشعر من جهة وبين الأدب وفق رؤية تراتبية من جهة ثانية. وهو في أصله نظم وضعه محمد بن علي القوجيلي عن مخرّجي أحاديث الجامع الصحيح للبخاري وعدد الأحاديث التي لكل منهم ومن هو المكثر ومن هو المقل.

ويوضّح المؤلف في مقدمة الكتاب أن الباعث على تأليفه كان رغبته في الكتابة في مثل هذا النوع من العلم، وأنه من جملة اهتماماته بقوله:(البحر الطويل)

وبعد فالقصد بذا من خرجا　　لهُ حديث المصطفى بَدْرُ الرَّجَا
من صحبه بجامع البخاري　　إذ عمّ نفعا راويا والقاري
وما لكلّ من أحاديث تعد　　من مُكْثِرٍ ومن مقل في السنن
حسبما حرز ذاك الأثري　　الحافظ العلامة ابن حجر
وردته التعريف بالوفاة　　مكملا تراجم الرواة
دونكهم على حروف المعجم　　قد رُتبوا للحفظ والتّفهم[2]

يقدّم لنا صاحبه عرضا موجزا عن رواة الجامع الصحيح، والتنويه بجهود العلماء المحدثين الذين كان لهم الباع الكبير في حفظ رواية الحديث ببايلك الغرب؛ مشيرا في سياق الكلام إلى تسمية كتابه، ليدخل في النظم مباشرة.

---

[1]) تقع هذه النسخة في ست وستين ورقة من الحجم المتوسط، بمقياس15×20، حيث تضم كل صفحة 13 سطرا وأحيانا أقل من ذلك، بمعدل عشر كلمات أو أكثر في السطر الواحد.

[2]) محمد بن علي القوجيلي، عقد الجمان اللامع المنتقى من قعر بحر الجامع، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم:، و:1و.

وقد أورد القوجيلي معلومات هامة عن رواية الأحاديث الصحيحة ورواتها؛ نظرا لاعتماده على أمهات المصادر المختلفة التي تخدم موضوعه، وبالتالي حفظ لنا مادة لا يستهان بها في هذا النوع من المواضيع، التي قلما تتعرض لموضوع حفظ رواية الحديث وذكر رواتها الكثر وما دون ذلك. وتزداد أهمية هذا الكتاب أكثر إذا علمنا بأنّ المؤلف أحد العلماء الكبار؛ والمهتمين بهذا الفن قديما وحديثا.

ومن المتصوفة الذين اقتحموا ميدان التأليف وأنتجوا وأبدعوا، محمد بن علي السنوسي[1]، وقد شجعته كفاءته العلمية إلى التمكن من دراسة العلوم الشرعية واللغوية الرائجة خلال القرن الحادي عشر والثاني عشر ببايلك الغرب خاصة، وببلاد المغارب عامة. وقد كان إنتاجه العلمي على استحياء غير أنه أنتج فأبدع.

واهتمامه بعلم الحديث؛ يتجلى في تأليفه لكتاب إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن، والذي قسّمه إلى مقدمة ومقصد وخاتمة. حيث قسّم المقصد إلى ثلاثة أبواب في كل باب ثلاثة فصول. وتكمن قيمة الكتاب العلمية في أنه يعبر فعلا عن فكر الشيخ السنوسي، الذي يحارب التقليد الأعمى والتعصب المذهبي.

إن كتاب إيقاظ الوسنان يدل دلالة واضحة على مدى تأثر متصوفة بايلك الغرب بمنهج السلف الصالح، وبالخصوص أفكار ابن تيمية، ومن هنا يمكن اعتبار الطرح الفكري الذي طرحه محمد بن علي السنوسي جريء إلى حد كبير في عصر هيمنت فيه روح العصبية، فحجرت على الأفكار والعقول. ثم إن جرأته هذه

---

[1]) أنظر ترجمته في: المنهل العذب 1: 374 وعبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس 1: 68 وابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ص:399.

كانت مؤسسة على حجج وبراهين قوية، وهو في جميع مناقشاته ظل يتحلى بالأدب الرفيع[1].

أما كتاب البدور السافرة في عوالي الأسانيد الفاخرة للسنوسي كذلك، فهو لا يقل شأنا عما سبقه؛ وهو لا يزال مخطوطا، ينتظر نفض الغبار عنه، فهو بذلك يعد إضافة إلى إبداعاته الحديثية. والكتاب ملخص لكتابه السابق (الشموس الشارقة). وقد ذكر الكتاني أن كتاب البدور اشتمل على ذكر من لقيهم السنوسي من الشيوخ وأجازوه. وقد رتب الكتاب على مقدمة وثلاثة أبواب، فالمقدمة تضمنت حياته من النشأة إلى البلوغ، وشمل الباب الأول ذكر بعض الشيوخ ، وفيه سبعة فصول، أما الباب الثاني فقد تحدث فيه عن العلوم الشرعية التي تحصل عليها، وأما الباب الثالث فقد ضمنه ما وصل إليه من طريق الإجازة العامة، وفيه فصلان وتكملة، وانتهى الكتاب بخاتمة. وقد حصل الكتاني على نحو الكراستين من البدور السافرة[2].

ومن الذين تركوا بصماتهم في هذا العلم محمد أبو راس الناصر المعسكري، فهو يعد من أكثر العلماء إنتاجا في عصره، وكانت إسهاماته العلمية متنوعة تنوع ثقافته، "ومن الصعب دراسته في باب معين"[3].

الفصل الثالث: الفقه والنوازل

---

[1]) يوسي الهواري، الشيخ محمد بن علي السنوسي، وكتابه إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن، "المجلة الجزائرية للمخطوطات، مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا بوهران، ع3/2، 2004، ص:61.

[2]) عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمسلسلات، تح: إحسان عباس،دار الغرب الإسلامي، بيروت، دت، ط1982، ج1، ص ص:246–247.

[3])أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص:37.

حقق متصوفة بايلك الغرب تراكما واضحا في مجال الكتابة الفقهية، وكسبوا رهان الريادة فيها، وأصبحت مؤلفاتهم عمدة المذهب المالكي ببيالك الغرب خصوصا وبالغرب الاسلامي عموما. لاسيما الأعمال النفيسة التي وقعها علماء ومتصوفة بايلك الغرب خلال القرن الحادي عشر والثاني عشر الهجري. أبدى متصوفة بايلك الغرب عناية خاصة بموضوع الفقه ونوازله والفتاوى الفقهية، فخصصوا له حيزا هاما في مصنفاتهم، تجردوا فيه لاستعراض آراء العلماء والمتصوفة حول أهمية الفقه وما يرتبط به من نوازل وفتاوى، وتعزى هذه العناية إلى كون الفقه يعد علما ضروريا لفهم الدين، ومن ثم معرفة الأمور التشريعية المستنبطة من أدلتها التفصيلية.

ولعلّ قبل معالجة تلك المصنفات الفقهية والنوازلية والفتاوى، لابد من معرفة الاطار العام الذي برزت فيه تلك المصنفات الفقهية، والتي كانت مدعاة لظهور مدارس وحواضر علمية ساعدت هؤلاء المتصوفة على الاهتمام بهذا النوع من الحقول المعرفية التي كانت منتشرة آنذاك ببيالك الغرب.

1- المدارس الفقهية ببايلك الغرب:

1-1 مدرسة مازونة الفقهية: يعود تأسيسها إلى محمد بن الشارف المازوني عام (1029هـ/1619م)[1]. ولقد اشتهرت مدرسة مازونة بالحديث وعلم الكلام، لكنها برعت في علم الفقه على وجه التحديد، حتّى قيل مازونة بلد الفقه بالقطر الجزائري"[2]. وتعد مدرسة مازونة من اقدم المدارس التي أسست في العهد

[1]) لقد أسس محمد بن الشارف المازوني تلك المدرسة الفقهية من ماله الخاص.

[2]) لزغم فوزية، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1518- 1830م، رسالة ماجستير مخطوطة، إشراف أ. د بن معمر محمد، قسم الحضارة الاسلامية، جامعة وهران 2005/2004م. ص:79.

العثماني[1]، كما تشير إلى ذلك بعض الوثائق المخطوطة[2] التي تؤرخ إلى سلسلة الشيوخ العلماء والأسر العلمية التي توارثت العلم والثقافة بحاضرة مازونة. الذين فازدهرت بذلك حلقات العلماء والمتصوفة العلمية، تلك المدرسة التي كانت تضاهي مدرسة فاس ومراكش وتازة بالمغرب الأقصى، بل كانت تنافس مدراسة الراشدية وتلمسان بالبايلك. وهذا ما تعكسه تلك النخبة العلمية التي تخرجت من مدرسة مازونة أمثال أبو راس الذي لمّا "ذكرت له مازونة وكثرة مجالسها ونجابة طلبتها وقريحة أشياخها سافر إليها طالبا العلم من أفواه شيوخها وعلمائها الذين تخصص جلهم في الفقه المالكي، وبالأخص إقرائهم كتاب مختصر الشيخ خليل[3]. ومنها تخرج مصطفى الرماصي[4] محقق الفقه المالكي الذي ملأ صيته الآفاق شرقا وغربا.

لقد كانت مدرسة مازونة الفقهية على درجة كبيرة من الأهمية ببايلك الغرب بالإيالة الجزائرية، نظرا لاكتسابها لنظام راسخ وتقاليد متينة استمدتها من صلتها بالتعليم في تلمسان والأندلس والمغرب الأقصى[5]، فاستمرت مركزا ذا إشعاع علمي ومعرفي حتّى بعد انتقال عاصمة البايلك الغربي من مازونة إلى معسكر ثم

---

[1]) صالح بوبشيش، " المدارس الفقهية خلال العهد العثماني" مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، تصدر عن مخبر بحث الشريعة، جامعة الجزائر، ع1، 2004م، ص ص:142-143.

[2]) هذه الوثيقة عبارة عن رسالة عدد فيها مؤلفها اساتذة وشيوخ، وعلماء مدرسة مازونة الفقهية منذ نشأتها إلى تاريخ تحرير الوثيقة وهو سنة 1910م، مبتدئا بمؤسسها ابن الشارف المازوني، فابنه السيد عبد الرحمن، لتؤول مهمة التدريس فيما بعد إلى ابنه السيد علي والد الشيخ ابي طالب.

[3]) *Moulay Belhamissi, Histoire de Mazouna, Des Origines à nos jours, Alger, S.N.E.D, p:50.*

[4]) محمد الأمين بلغيث، " مدرسة مازونة الفقهية وآثارها خلال القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي"، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، تصدر عن مخبر بحث الشريعة، جامعة الجزائر، ع1، 2004م، ص:127.

[5]) *Géniaux charles, Mazouna, In, Revue des deux mondes, 1921, p:452.*

إلى وهران، فكانت قبلة طلبة العلم لاسيما من النواحي الغربية كالراشدية ومستغانم ووهران وتلمسان وندرومة[1].

ولعلّ المادة الأساسية التي في برنامج التدريس هي الفقه المالكي، وهذا ما يشير إليه أبو راس الناصر بقوله:"...ثم انصرفت من مازونة وقدمت إلى أم عسكر ما معي شيء من المال ولا غيره، سوى معرفة الفقه وحده"[2]. ثم إنّ أبرز المصادر الفقهية التي اعتمدت في التدريس لسنين طويلة بمدرسة مازونة، مصنف أو مختصر خليل في الفقه المالكي، الذي يعد عمدة الطلبة والمدرسيين آنذاك. ونظرا لاهتمامهم به لُقِبَ مشايخ المدرسة وطلبتها بالخليليين[3]، فمصنف خليل الذي غطى مختلف التصانيف بالمشرق والمغرب، كرسالة أبي زيد القيرواني وكتاب لباب الأباب وتحفة ابن عاصم وغطى حتى موطأ الامام مالك ومدونة سحنون" وهذا نظرا لما يحويه من عظيم الفائدة بإجماع أهل المذهب[4].

وقد اقتصر علماء ومتصوفة بايلك الغرب وطلبة مدرسة مازونة الفقهية على الجزء الأول من المصنف وشروحه المختلفة[5]، حيث بقي أكثر المتون الفقهية تداولا بالجزائر العثمانية وببايلك الغرب على وجه التحديد. ويعالج الجزء الأول

---

[1]) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص:285.

[2]) أبو راس الناصر، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تح: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، ط1990، ص:21.

[3]) بوكفة يوسف، مدرسة مازونة الفقهية، المرجع السابق، ص:32.

[4]) مولاي بلحميسي، مازونة مقصد الدراسين وقلعة الخليليين، منشورات المجلس العلمي، الجزائر، 2005، ص:32.

[5]) من أهم هذه الشروحات التي اعتمدها متصوفة بايلك الغرب في التدريس " منح الجليل على مختصر الشيخ خليل"، حيث ينقسم إلى 61 بابا تناولت العبادات كالنكاح والطلاق والمواريث، والمعاملات والتبرعات والأعياد. مولاي بلحميسي، مازونة مقصد الدراسين وقلعة الخليليين، المرجع السابق، ص:32.

المسائل الفقهية الكبرى كالصلاة والزكاة والبيوع والايجار، أي جمع بين باب العبادات والمعاملات.

1-2 مدرسة القيطنة (بالراشدية): لقد كانت هذه المدرسة تضاهي مدرسة مازونة الفقهية من حيث القيمة العلمية التي تؤديها؛ غير أنها لم تكن متخصصة في الفقه المالكي، على غرار مدرسة مازونة التي اشتهرت بإقرائها للفقه المالكي وتخصصت فيه. غير أنها تعتبر من أقدم المؤسسات التعليمية بالجزائر العثمانية، وبإقليم بايلك الغرب خصوصا. إذ تأسست بمنطقة القيطنة[1] بالقرب من بوحنيفية في حدود سنة(1200هـ/1787م)، غير أننا نجد تاريخا آخر وهو(1206هـ/1792م). ووفقا لمذكرات الأمير عبد القادر أن المدرسة تأسّست في أواخر القرن الثاني عشر الهجري(18م).

ولمكانتها العلمية وشهرتها توافد عليها الطلبة والعلماء مشرقا ومغربا، نظرا لوجود عدد من العلماء الذين أثبتوا جدارتهم العلمية وتفوقهم الفكري في فنون العلم المختلفة، أمثال مصطفى بن المختار الغريسي، وأبو راس الناصر المعسكري وعبد القار المشرفي من جهة، وتوافد الطلبة الذين كان يصل عددهم ما بين 700 إلى 1800 طالب علم[2].

---

[1]) القيطنة: قرية صغيرة تبعد عن مدينة معسكر بحوالي 28 كلم، مقر أسرة الأمير عبد القادر، اختطها جدّه مصكفى بن المختار سنة(1200ه/1787م). أنظر دراستنا: أبو راس الناصر المعسكري وكتاباته التاريخية، رسالة ماجستير مخطوطة، إشراف أ.د بن نعمية عبد المجيد، قسم الحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2003م. ص:67.

[2]) مجموعة أساتذة، الحياة الروحية في الإسلام معسكر رجال وتاريخ، أعمال ملتقى الفكر الاسلامي الواحد والعشرون، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 26 أوت/01سبتمبر1987م، ص ص:13-15.

أمّا عن أهم العلوم التي كانت ترس بمدرسة القيطنة ففي غالبيتها علوم شرعية وعقائدية وهي بضاعة ذلك العصر. إذ تخصصت في تدريس علم التوحيد بالدرجة الأولى ثم الفقه المالكي بالدرجة الثانية، إلى جانب الحديث وعلوم اللغة العربية من نحو وبيان. وهناك ميزة أساسية امتازت بها بمدرسة القيطنة عن باقي المدارس الأخرى؛ وهي اهتمامها بتدريس المذاهب الصوفي، كون مؤسسها من المتصوفة، وأن المواد المُدَرَسَة قد انحصرت في رواية الحواشي والشروح والمختصرات التي وضعت على المصادر، كمختصر خليل في الفقه المالكي وألفية ابن مالك في النحو، وصحيح البخاري في الحديث والعقيدة الصغرى في أصول الدين، ومجموعة من كتب التوحيد للسنوسي وكتب الحكم العطائية، ولعلّ هذا ما يوضح طغيان الطابع العقائدي على العلوم الدينية الأخرى بهاته المدرسة[1].

أمّا عن مناهج التدريس وطرقه بمدرسة القيطنة كان متميزا، لما عرفت بد المدرسة من إشعاع ثقافي وفكري كان عاملا مساعدا في بعث الحركة العلمية ببايلك الغرب، وتخرج العديد من الطلبة إلى جانب وجود ثلة من الشيوخ والمدرسون المتصوفة؛ الأمر الذي كان له إنعكاس كبير على نمط التعليم بتلك المدرسة، الذي غلب عليه تدريس العلوم العقائدية إلى جانب مجموعة من العلوم الدينية كالتفسير والحديث والقراءات واللغة بنسب متفاوتة. حيث كان التعليم بها يعتمد على إلقاء الدرس على الطلبة في فن من فنون العلم، ثم يعيده معيد يكرره على الطلبة ويراجعه لهم مع شرح ما أشكل عليهم[2].

2- المؤلفات الفقهية:

---

[1]) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص:239.

[2]) العيد مسعود، حركة التعليم في الجزائر، المرجع السابق، ص:67.

تعد تلك المؤلفات العلمية والتي كانت تهتم بالفقه المالكي عمدة متصوفة بايلك الغرب وطلبتهم. وقد كان كتاب مصطفى الرماصي القلعي[1] الذي وضع حاشية على شرح التتائي لمختصر خليل[2]، والذي أوضح من خلالها غايته من تأليفها، بعد الديباجة بقوله:" لما كان علم الفقه من أفضل العلوم بعد كتاب الله تعالى وسنة رسول الله؛ إذ به تعرف الأحكام ويتميز الحلال من الحرام. وقد صنف فيه الأئمة الأعلام دواوين لا تحصى، وأحسن ما صنف في ذلك مختصر خليل؛ إذ أقبلت عليه الطلبة غربا وشرقا، وله شرح كثيرة، وأحسنها شرح العلامة شمس الدين التتائي،[3]...وطلب مني بعض الإخوان أن أضع عليه حاشية، تبين مشكله وتحلّ مقفله، فأجبته لذلك بعد الاستخارة"[4]. ثمّ أن جل العلماء والمتصوفة عند قدومهم على تأليف كتبهم، فإنهم يستخيرون الله سبحانه وتعالى، طلبا للتوفيق والاستفادة، وهو ما دأب عليه متصوفة بايلك الغرب.

---

[1]) نسبة إلى قلعة بني راشد ببايلك الغرب. أنظر: مؤلف مجهول، جوانب من قلعة بني راشد، مخطوط خزانة البشير محمودي، البرج، معسكر، وتوجد نسخة منه بخزانة الشيخ عبد القادر بن يسعد بقلعة بني راشد بقرية الدبة. كما توجد نسخة منه مصورة بحوزة الأستاذ مختار بوعناني بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة وهران.

[2]) اطلعنا على نسخ منها في كل من: خزانة الشيخ البشير محمودي، خزانة القرويين بفاس، الخزانة العلمية الصبيحية، الخزانة الحسنية الملكية(القصر الملكي) بالرباط تحت رقم:2357، 3469، 3587، 4368، 5569، 7814، 8244، 8245، 8517، 8668، 8690، 8690، 8957، 10471، 11573، 12987، 13874. ونسخ أخرى بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية الرباط، تحت رقم:12456، ونسخ بمكتبة علال الفاسي بالرباط، تحت رقم: 245، ونسخ أخرى بالخزانة العلمية بالمسجد الأعظم بتازة، تحت رقم:247، 248، 695.

[3]) مصطفى الرماصي، حاشية الرماصي على شرح التتائي لمختصر خليل، مخطوط خزانة الشيخ البصير محمودي، البرج، معسكر، و:1و.

[4]) المصدر نفسه، و:1و.

وبعد أن أوضح المؤلف في البداية الباعث على تأليفه لهذه الحاشية الطويلة على شرح التتائي لمختصر خليل، قسم هذا الشرح إلى أبواب على شاكلة مختصر خليل مثل: باب الصلاة، باب الطهارة،...الخ[1].

وهناك كتاب واسطة عقد الحواشي على جيِّد شرح الشيخ الخرشي[2] لأبي راس الناصر المعسكري[3]، وهو التأليف الذي يبرز فيه أبو راس ملكته الفقهية..[4]. قسمه إلى محورين أساسيين وهما باب العبادات وباب المعاملات، وكل منهما قسمه إلى عدة مسائل بحثية، صال وجال فيها وفق أقوال العلماء والفقهاء وآراء أئمة المذاهب الأربعة المعروفون. وهذا التأليف كسابقيه من المصنفات التي تناولت شروحات الخرشي، فهي لا تكاد تخرج عن نطاقها الفقهي الشارح للمتن؛ عدا وجود بعض التعليقات والهوامش على أوراق المصنف.

ونشير كذلك إلى كتاب" الكوكب الدري في الكلام على الجدري" لأبي راس الناصر المعسكري، وهو عبارة عن رسالة صغيرة تناول فيها مسالة الجدري، هل هو عيب يرد به الرقيق؟ وإن كانت هذه الرسالة غير ذات جدوى بحكم عدم وجود

---

[1]) المصدر نفسه، و:9و.

[2]) نسخة مصورة عن زاوية الهامل، وهي مكتوبة بخط مغربي تصعب قراءة بعض فقراتــه لصــغر حجــم الخط، هذه النسخة، وفيه بعض التعقيبات على حواشيه. والمخطوط يتألف من ستة أجزاء كبار حيــث يحــوي الجزء الأول 397 لوحة على وجهين.

[3]) بدأ أبو راس كتابه بعبارة:" الحمد لله الذي جنب الأكنة قلوب أحبائه ليفقهوا، وحظ على نفورهم للطلب ليتفقهوا ليكونوا من خيار أهل الإسلام إذا فقهوا، ثم مدح قوما بالحكمة وقال في آخرين إن شر الدواب عند الله الصم البكم". أبو راس الناصر المعسكري، واسطة عقد الحواشي على جيِّد شرح الشيخ الخرشي، نسخة مصورة عن زاوية الهامل،: و1و.

[4]) وينتهي الكتاب بعبارة: "انتهى الجزء الأول من واسطة عقد الحواشي على جيد شرح الشيخ الخرشي، اللهــم ألبسها جلباب القبول بجاه النبي الرسول". المصدر نفسه، و:397و.

الرقيق في زماننا، غير أن قيمة هذه الرسالة تكمن في الكشف عن قدرات أبي راس الناصر الفقهية وكيفية اجتهاده.

خصوصا إذا علمنا أن الباعث على تأليفه لها هو عدم تطرق من سبقوه إليه مع كثرة وقوعه، ويتجلى لنا ذلك من خلال قوله:" إنّ هناك مسألة يمهد لها وطاء، ولم يكشف عنها غطاء، ولم يسفر عنها النقاب، ولم يزل عنها الحجاب، حتى صارت من مشكلات النوازل، ومن معضلات المسائل، لعدم نص يبرد غليلها ويشفي عليلها، حتى تظهر ظهور المخدرة من الهدف، والدرة المكنونة من الصدف، وهي مسألة الجدري"[1].

تعد هذه الرسالة أهم ما كتبه أبو راس الناصر في ميدان الفقه خصوصا في مسألة الكلام عن الجدري، وقد شملت رسالته هذه تنوعا في تلك الاجتهادات التي صرح بها ومركزا على أهم النصوص الفقهية لعلماء جهابذة أمثال الزرقاني والخراشي والونشريسي وابن عاشر الأنصاري، ممن كانت لهم قدما راسخة في المجال نفسه.

ولأبي راس الناصر رسالة أخرى عبارة عن نظم عجيب في الفقه، سمّاها" نظم عجيب "، من ذلك قوله:(البحر البسيط)

سَأَلَنِي بَعْضُ أُولُوا الفُروع عَنْ أَشْيَاءَ كَثِيرَةَ الوُقُوع
عَنِي مَا نَصُّهَا غَالِبًا مَا نَصّهَا قَلِيلُ أَجَبْتُهُ وَحَسْبِيَ اللهُ الوَكِيلُ
مُوَضِّحَةُ الرَّأسِ خَمْسُونَ عَسْجَدًا وَلَيْسَ فِيمَا قَبْلَهَا تُبْدِ مَاجِدًا
مِنْ كُلِّ السُّنَةِ عِوَضٌ مَشْهُورٌ لِمَالِكٍ وَصَحْبِهِ البُرُورِ

---

[1]) أبو راس الناصر المعسكري، الكوكب الدري في الكلام على الجدري، مخطوط خزانة الشيخ بلقرد، معسكر، و:2.

والظاهر أنّه أملي أو كتب هذه الرسالة من حفظه دون الرجوع إلى مصادره،" يدلك على هذا الاختلاف بين عباراته المنقولة وعبارة المصدر المنقول منه"[1]. وقد تعرض فيه أبو راس الناصر إلى تفسير كلام ابن عرفة، وتعليقه على ما ورد في المتيطية، وتعليقه قول ابن الحاجب وعل بعض شراح خليل، وعلى قول ابن يونس، وتعليقه حتى على كلام الأئمة المالكية، ومن ثم ينتقل أبو راس إلى تفسير حديث " لا عدوى"[2]. ويعلق على المدونة وكلامه عن القضاء بالعرف، ورأيه في تقديم القول الضعيف على المشهور في المذهب، تلكم هي أهم المسائل التي عالجها أبو راس الناصر ضمن رسالته الكوكب الدري في الكلام عن الجدري.

كما نشير إلى كتاب حاشية البيدري التلمساني المسماة " ياقوتة الحواشي على شرح الإمام الخراشي"[3]، وعن دافع تأليفه لهذه الحاشية الطويلة، نجده يذكر أن العصر قد ألهى كثير من العلماء عن البحث وطلب الصعب من المسائل حتى عجزوا أن إدراك خفايا مختصر خليل وشرحه، وأن الهمم العالية التي كانت يوما شامخة" قد ضعفت..في هذا الزمان، وكثرت فيه الهموم والأحزان، وقل فيه الساعون من الإخوان، خصوصا بلدنا تلمسان".

أما عن منهجه في هذا الكتاب فقد حاول عدم الاطالة فيه ودون الاخلال به، حيث اتبع طريقة:" الإيجاز غير المخل...الإطالة بنقل الفروع..، معرضا عن

---

[1]) أبو راس الناصر المعسكري، الكوكب الدري في الكلام على الجدري، المصدر السابق، و:2ظ.

[2]) تمام الحديث:" عَدْوَى وَلا طِيَرَةَ وَلا هَامَةَ وَلا صَفَرَ، وفُـرّ من المجذوم كما تَفرّ من الأسد". أخرجه البخاري بسنده في كتابه [الصحيح] في كتاب الطب (باب الجذام)، ج1، ص:657.

[3]) والتي تقع في أربع مجلدات كبار، اطلعنا على نسخة منها بالخزانة العلمية الصبيحية بالرباط، تحت رقم:563. وهي مقروءة ومكتوبة بخط مغربي واضح. و:1و.

التعرض لما ليس من مسائل الكتاب"[1]. ومما يمكن الإشارة إليه هو أن اليبدري لم يقسم كتابه إلى فصول أو أبواب بل انتهج فيه طريقة الخراشي نفسه في المباحث التي وضعها، "فهناك مبحث في الحج، وآخر في الزكاة، وآخر في النكاح، إلى غير ذلك من المباحث الفقهية المعروفة[2]. ولعل هذا العمل من حيث الحجم والمنهج يعد آخر تأليف لليبدري.

كما أسهم في هذا الباب محمد الطالب التلمساني، الذي وضع شرحا كبيرا على مختصر خليل سمّاه " فتح الجليل في شرح مختصر خليل"، حيث نوّه في ديباجته بعلم الفقه والأحكام وهي طريقة الفقهاء ممن سبقه، كما ذكر أنّ مختصر خليل من أشهر التآليف التي دونت في هذا العلم. وقد ذكر غرضه من وضعه لهذا الشرح كون بعض من تناولوا مختصر خليل، أسهبوا وأطنبوا فيه، وبعضهم اختصروه اختصارا شديدا مثل الخراشي في شرحه الصغير. من هنا جاء شرح محمد الطالب بين المنزلتين(الإطناب والإيجاز). وقد اعتمد محمد الطالب التلمساني على مصادر معينة كما ذكرها مثل حاشية البناني[3] وحاشية " شيخ شيوخنا محمد المصطفى (الرماصي)"[4].

---

[1]) محمد بن الحاج اليبدري التلمساني، ياقوتة الحواشي على شرح الإمام الخراشي، مخطوط المكتبة الملكية بالرباط، تحت رقم:1811. و:2ظ.

[2]) ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1981، ج2، ص:74.

[3]) البناني:(000-بعد1088ه =000-بعد1677م) إبراهيم بن علي (أبي الحجاج) الأندلسي: السرقسطي البناني. له (الهبة والعطاء اختصر فيه شرح محمد ابن يوسف السنوسي لعقيدته الوسطى، وأضاف إليه زوائد، ورسالة في (حديث ستفترق أمتي). خير الدين الزركلي، الأعلام، ج1، ص:53.

[4]) توجد نسخة من هذا الشرح بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم:2048، وهي مبتورة الآخر، حيث تقع في 655 ورقة، وينتهي بمسائل الحج، خطها مغربي غير واضح صعب القراءة. كما توجد نسخة منها بالخزانة العامة بالرباط وبالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية، تحت رقم:459/1.

2- أهمية النوازل الفقهية لدى متصوفة بايلك الغرب:

تعتبر كتب النوازل الفقهية من أهم المصادر في دراسة الاجتهادات الفقهية، ومعرفة مستوى الاجتهاد لدى الفقهاء، وأحد مكملات دراسة مصنفات الفقه، كما أن هذا النوع من المصنفات يزودنا بالكثير من المعلومات عن المستوى العلمي لمختلف العصور، ويمدنا بمعلومات عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية وغيرها.

وفقه النوازل يضع بين يدي المؤرخ مادة أولية حافلة بقضايا اصطدم بها المجتمع المغربي العتيق، فهاهو ينقل أقوال الفقهاء في (التشوق) فيذكر أن بعض علماء بايلك الغرب أثناء حديثهم عن بعض المسائل الفقهية لاسيما ما تعلق الأمر ببعض الأعشاب عل سبيل المثال، أورد ابو راس عن الشيخ الرهوني حينما سئل عن إمام رتوب يستعمل عشبة (طابة) هل تصح الصلاة خلفه أم لا؟، فقال: "الراجح والمعمول به حرمة استعمال العشبة المذكورة، قال أبو زيد الفاسي في عملياته:(البحر الكامل)

وَحَرَّمُوا طَابَ لِلاسْتِعمَالِ وَلِلتِجَارَةِ عَلَى المِنْوَالِ

ولا ينبغي تقديم صاحبها للإمامة، ولاسيما راتبا في المسجد، فإن وقع فالصلاة خلفه صحيحة على الراجح مع الكراهة"[1]، وكان لصدى هذه الفتاوى التأثير الواضح على استعمال الدخان بالمغرب حيث "انتشر بسرعة وأقبل عليه مختلف الطبقات، غير أن الحظ الأوفر كان للرعاع والسفلة الذين أخذوا يتعاطونه في مجالس اللهو والقيان، فزاد ذلك من تنفير أهل الورع من العلماء وشيوخ

1) النوازل الجديدة الكبرى، مقدمة المحقق، مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1996م. ج1، ص:114.

التصوف، وغدوا يرون فيه بدعة سيئة تتعين محاربتها، ومنكرا يجب تغييره".[1] وعندما شاع ببعض جهات المغرب "تلقيح الصبيان وحجامتهم لدفع ضرر الداء المعروف بالجذري" كان على الفقهاء أن يبينوا حكم التلقيح: هل هو جائز شرعا؟.

ومكتبة بايلك الغرب تزخر بعدد وافر من كتب النوازل، تدل كثرتها على مدى عناية المغاربة بفقه إمام دار الهجرة مالك بن أنس، "وقد نهض الأندلسيون والمغاربة بالفقه المالكي منذ أن اختاروه مذهبا رسميا لهم، حتى إن جل ما ألف في فقه هذا المذهب هم من وضعهم من مدونة سحنون إلى ما تلاها حتى يوما هذا، كانت هذه المدونة على كبرها وكثرة مسائلها من محفوظات فقهواء الأندلس والمغرب"[2].

وتعتبر" نوازل المارزقة" عموما و" نوازل الونشريسي" ونوازل المازوني" و"نوازل أبو راس الناصر المعسكري" و" نوازل المشرفي" و"نوازل الرماصي"، و"نوازل" القاضي عبد الله ابن دبوس، ومسائل ابن زكون أقدم ما ألفه المغاربة، أو ما وصل إلينا مما ألفوه في موضوع النوازل. ثم توالى بعد هؤلاء الاهتمام بالتأليف في النوازل، ولا أظن أن عصرا خلا من ظهور مصنف في الموضوع، فالأحداث والوقائع تتجدد وتختلف من عصر لآخر، والناس بحاجة دوما لمعرفة حكم الشرع فيما يجد من نوازل، والفقه الذي هو "معرفة الأحكام الشرعية التي طريقها الاجتهاد"[3] قادر على مواكبة المستجدات وضبط أمور الناس ووضعها في إطارها الإسلامي.

---

1) محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج1، ص:246.

2) محمد بن شريفة، مقدمة تحقيقه لكتاب "مذاهب الحكام في نوازل الأحكام" طبع دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص:122.

3) تعريف إمام الحرمين للفقه، الورقات، بهامش "إرشاد الفحول"، ص:12.

2- 1 استفادة متصوفة بايلك الغرب من كتب النوازل:

يبرز اهتمام متصوفة بايلك الغرب بالنوازل الفقهية في كيفية الاستفادة من نوازل الفقهاء السابقين، ونقصد بذلك فقهاء المدرسة الفقهية آنذاك؛ إنها نوازل المازوني. وذلك من خلال اعتماد طريقتن وهما:

-**الطريقة الأولى:** وهو بحث العلماء عن القواعد والضوابط التي أقام عليها المفتون أحكامهم وفتاويهم في مختلف العصور.

-**الطريقة الثانية:** وهو البحث عن بعض النوازل التي تشبه قضايا عصر العلماء (العهد العثماني).

تعتمد طريقة استفادة متصوفة بايلك الغرب على معرفة المسلك الذي سار عليه المؤلف من حيث احتهاده المطلق أو اجتهاده في التخريج على مذهب معين. علما أنّ كتب النوازل كانت نتاج مدراس مالكية مختلفة ومتغيرة، والمعتمدة أساسا على استنباط الأحاكم الشرعية بألتها التفصيلية انطلاقا من النصوص الشرعية؛ وأقوال الصحابة والتاربعين دون التقيد بمذهب معين، وهذا ما اعتمده المازوني في كتابه الدرر المكنونة في نوازل مازونة[1].

وقد كانت تلك الضوابط والأسس كقواعد مساعدة لدى متصوفة بايلك الغرب في تطبيق النصوص على الوقائع المستجدة خلال العهد العثماني. كما أنّ النظر في كتب النوازل قد أعطى دافعية قوية للفقيه العالم مزيدا من الدربة والارتياض في الفتوى باعتبار أنّ البحث عن النوازل التي حدثت من قبل ومشابهتها لنوازل عصر متصوفة بايلك الغرب، قد أدى إلى إلحاق النازلة

[1]) بوجلال قدور، العلم والعلماء في بايلك الغرب (1711-1930م) معسكر ومازونة نموذجا، رسالة ماجستير مخطوطة، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة معسكر، 2008/2009م. ص:212.

المعاصرة بالسابقة فأخذت حكمها الذي سبق أن اجتهد فيه جماعة من العلماء السابقين[1].

ولعلّ من أبرز الأمثلة على استفادة متصوفة بايلك الغرب من قواعد وضوابط المازوني، ما أورده في بعض فتاوى الصلاة ومسألة النسب الشريف[2] والبدع المحرمة والمستحبة وغيرها من الآراء العقدية في نوازله؛ التي لطالما شغلت بال المتصوفة. وهذا لايعني بالضرورة التطابق التام في حيثيات وشكل النازلة، وإنما قد توجد بشكل أو بآخر، بحيث يكون إصدار الحكم الشرعي على المسألة المستجدة أمرا ميسورا على الناظر فيها[3].

ولعلّ أهم ما يبرز مدى اهتمام متصوفة بايلك الغرب بنوزال المازوني[4]، هو ما واجهته مدرسة مازونة الفقهية على وجه الخصوص من مسائل شائكة مثل مسألة النسب الشريف؛ لما كان لهذه المسألة من مدعين ومنتمين للقب الشرف[5]

---

[1]) محمد الأمين بلغيث، مدرسة مازونة الفقهية وآثارها، المرجع السابق، ص:125.

[2]) يراجع حول هذه المسألة: بوبة مجاني، " تحفة الوارد في اختصاص الشرف من الوالد لأبي العباس أحمد بن علي بن حسن بن الخطيب المعروف بابن قنفد القسنطيني المتوفى810هـ/1407م"، مجلة سيرتا، قسنطينة، ع11،1998، ص ص:152.

[3]) بوداود عبيد، " مصنفات النوازل الفقهية وكتابة تاريخ المغرب الوسيط"، مجلة المواقف، مجلة الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، منشورات المركز الجامعي مصطفى اسطنبولي، معسكر، ع1، جانفي/ ديسمبر2007، ص ص:127- 131.

[4]) يراجع: أبو زكريا يحيا ابن موسى المغيلي المازوني(ت1478ه)، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تح: مختار حساني، مراجعة مالك كرشوش الزواوي، دار الكتاب العربي، الجزائر، دط، ط2009،

[5]) تعرض لهذه المسألة أبو راس الناصر ضمن تأليفه" مروج الذهب في نبذمة من إلى الشرف انتمى وذهب" حينما أثبت اسر شريفة النسب دون غيرها، وهي مسألة حساسة كانت طفح كيلها ببايلك الغرب، وقد أدى ذلك إلى تأليب خصومه عليه فلم يسلم حيا ولا ميتا. وهناك ردود تمثلت في شكل تقييدات مخطوطة لبعض من معاصريه أو حتى ممن جاؤوا بعد أبي راس؛ يردون فيها مزاعم أبي راس الناصر ومفندين آراءه وأقواله.

طمعا في الوصول إلى مكانة اجتماعية، أو الحظوة بمقام كريم عند بلاطات البايات والدايات خلال العهد العثماني.

وبمقارنة واقع متصوفة بايلك الغرب بنوزال المازوني، نجد أنه قد وردت العديد من النوازل والفتاوى الفقهية ضمن كتاب الدرر المكنونة، استفاد منها متصوفة مدرسة مازونة على وجه الخصوص، ولعلّ ذلك يبرز مدى تفوقهم ضمن حقل الدراسات الفقهية التي برعوا فيها وأبدعوا فيها أيضا[1]. وهذا ما سنلاحظه

عند معرض حديثنا عن نماذج من مساهمة متصوفة بايلك الغرب في هذا المجال. وعلى العموم فإنّ أهمية كتب النوازل تكمن في كونها تضم بين دفتيها دررا إخبارية وفتاوى فقهية، يعتمد عليها في حل بعض المسائل المستعصى حلها، فهي بذلك صالحة لكل زمان ومكان[2]. كما كان متصوفة تلك المدارس العلمية يمنحون إجازات علمية متعددة في فنون العلم المختلفة.

2 -2 نظام الإجازة لدى متصوفة بايلك الغرب:

لقد اعتُبر متصوفة بايلك الغرب من أبرز مدرسي التعليم بإيالة الجزائر عموما، وببايلك الغرب خصوصا. حيث اشتهروا باطلاعهم الواسع ومعرفتهم للعلوم اللغوية والأدبية والفقهية. وقد أهلتهم ثقافتهم الواسعة واتصالاتهم بعلماء ومتصوفة المشرق والمغرب على حفظ العلوم، وكا حافظتهم القوية من استقطاب الفنون والعلوم فتنوعت بذلك إجازاتهم العلمية للطلبة بمدارس بايلك الغرب المختلفة من إجازات رواية إلى إجازات تزكية.

يراجع: أبو حامد العربي المشرفي، الرد على أبي راس الناصر، مخطوط بمكتبة الشيخ بلقرد بوكعبر، معسكر.

[1]) بوجلال قدور، العلم والعلماء في بايلك الغرب، المرجع السابق، ص:213.

[2]) مولاي بلحميسي، مازونة مقصد الدراسين، المرجع السابق، ص:10.

وإذا كانت الإجازة[1] في مفهومها العام عبارة عن وسيلة من وسائل الأخذ والتحمل، أو بمعنى آخر شهادة كفاءة أو تأهيل، يمنحها الأستاذ للمجاز في عدد من العلوم[2]. والاجازة في بايلك الغرب تعتبر على أنها اكتساب لنصيب من العلم بالنسبة للمستجيز، وعلامة على تبحره وتخصصه في العلم بالنسبة لمانحها. ولقد عرف متصوفة بايلك الغرب نوعان من الإجازات، إجازات علمية، وإجازات سلوكية. سنحاول الإشارة إلى بعضها في هذه الدراسة.

2-2-1 الإجازات العلمية:

لقد كان هذا النوع من الإجازة ببايلك الغرب لا يعطى إلاّ بعد القراءة على الشيخ المجيز وملازمته مدة أطول قد تصل في بعض الأحيان إلى سنين وأعوام، ولابد من النهل من بحره، وحضور مجالسه ودروسه ومناظراته، والحصول على تلك الإجازات لا يتم إلاّ عن طريق المباشرة والتلقين، وذلك على حد اعتبار حصول الملكات العلمية وغيرها عن طريق المباشرة والتلقين يكون أشد استحكاما، فعلى قدر كثرة المشايخ تكون الملكات راسخة، ويكون الطالب قد قرأ شيئا من مؤلفات شيخه[3].

ومن أهم تلك الإجازات العلمية إجازات أبي طالب المازوني الذي يعد أشهر المدرسي والمجيزين للطلبة ولعلماء بايلك الغرب عموما. ونظرا للدور الفعّال الذي قام أثناء جهاده ضد الإسبان برابط وهران، قامت السلطات العثمانية بتوسعة

---

[1]) الإجازة لغة مصدر فعل (أجاز)، ويتضمن عدة معان لغوية نصت عليها المعاجم العربية المعتمدة. يقال: (أجاز الشيء) أي: جعله جائزاً. و(الإجازة): الإباحة والتسويغ، و(أجاز الرأي والأمر) أنفذهما. وفي الاصطلاح: في الاصطلاح، الإذن والترخيص، وعند المحدثين، بالضبط، الإذن في السماع والرواية لفظاً أو كتابة. محمد بن علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تح: لطفي عبد البديع، نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر القاهرة 1963م.ص:87.

[2]) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص ص:41-53.

[3]) يوسف بوكفة، مدرسة مازونة الفقهية، المرجع السابق، ص:44.

مدرسته (مدرسة مازونة الفقهية) وبناء بيوت وجامع بها. والتي كان يقرأ بها عدد كبير من الطلبة، ويذكر بعض المؤرخين أنّ أبا طالب المازوني(ت1233هـ) أخذ معه حوالي مائتي طالب أثناء جهاده ضد الإسبان[1]. ومن الذين أجازهم أبو طالب المازوني تلميذه محمد بن علي السنوسي، حيث قرأ عليه هذا الأخير النصف الأول من مختصر خليل مرات عديدة، والنصف الثاني من المختصر على أحمد بن هني مرارا؛ كما سمع محمد بن علي السنوسي ضمن مجالس شيخه صحيح البخاري وصحيح مسلم وموطأ الإمام مالك[2]، كما أخذ عنه التوحيد وناوله شرحه الكبير على ضغرى السنوسي، كما ناوله صحيح البخاري ومسلم وحاشيته على الخرشي، كما أمره شيخه بإقراء ما قرأه عليه؛ وبمراجعة عليه ما قرأه على حفيده من شرح الخرشي[3].

ونظرا لشهرة متصوفة بايلك الغرب بالحواضر العلمية المجاورة(فاس، مراكش،...) فقد كان علماء هاته الأخيرة الأكثر تواصلا وترابطا مع هؤلاء المتصوفة، حيث أجاز ابن أبي طالب المازوني المعروف بالشارف المازوني للشيخ أبي العباس أحمد التادي الحمودي العلمي(ت1236هـ). وهذا لم يمنع من وجود مراسلات كتابية من حواضر المغرب القصى يطلب فيها أصحابها الإجازة من متصوفة بايلك الغرب، حيث تلقى أبو عبد الله محمد المهدي بن محمد المدعو بالكتروسي استدعاء كتابيا من فاس سنة(1240هـ/1827م) من طرف الشيخ

---

[1]) ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، المصدر السابق، ص:234.

[2]) عبد القادر السنوسي الخطابي، الكوكب الثاقب في أسانيد الشيخ أبي طالب محمد بن علي المازوني، مخطوط خزانة الشيخ أبي عبد الله شراك، وهران، و:75ظ.

[3]) ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص ص:196-197.

محمد التوهامي بن رحمون[1]، وممّا جاء فيها:" وليكن في كريم علمك أنني أطلب من سيادتك إجازة تامة شاملة مطلقة عامّة في جميع ما لديك من العلوم والأسرار والفهوم، والطرق الصوفية والأحاديث والمسلسلات إلى خير البرية تبركا بسندك العالي..."[2].

كما تحدث بن رحمون عن مشروعية طلب الإجازة مراسلة والأسباب الداعية إلى ذلك، خاتما استدعاءه بستة أبيات نذكر منها:(البحر الوافر)

عَبْدُكَ المُلْتَجِئُ لِفَضلِكَ يَرْجُو   مِنْ عَلاَ مَجْدِكُم عُمُومُ إجَازَةٍ
يُدْرِكُ الفَوْزَ بِالفَضَائِلِ عَنْهَا   وَتَكُونُ إلَى السُّعُودِ مُجَازَةٍ
ثُمّ برُبْعِ السُّعُودِ قَامُوسُ عِلْمٍ   كُلُّ نَاجِحٍ يَنَالَ مِنْكَ مَفَازَةٍ[3]

ومن خلال ما سبق يتبين أنه لم تتوفر أدلة توحي بإجازة محمد المهدي له، إلاّ ما تعارف عليه بين المتصوفة، من عدم رفضهم للإجازة بالرواية مهما بعدت المسافات؛ غير أنّ هذا الاستدعاء يثبت على أنّ هناك تواصل علمي وفكري بين متصوفة بايلك الغرب ومتصوفة المغرب الأقصى؛ وبين حواضرهما العلمية.

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ بعض الإجازات العلمية يقرن فيها المجيز منح إجازاته العلمية بالإجازة السلوكية، وهذا ما يعكس المستوى العلمي والتحصيلي لهؤلاء المتصوفة. وهذا ما سنراه يتكرر في بعض الإجازات السلوكية. مثل

---

[1]) التوهامي بن رحمون:هو محمد التوهامي بن محمد المكي بن عبد السلام بن رحمون العلمي الحسني الإدريسي(ت1263هــ/1847م)، كان عالما مسندا أخذ عن جماعة وافرة من أهل المشرق والمغرب...، وله ثبت في مروياته. لزغم فوزية، الإجازات العلمية، المرجع السابق، ص:150.

[2]) المرجع نفسه، ص:150.

[3]) المرجع نفسه، ص:150.

إجازات أبي طالب المازوني، وحفيده أبي العباس أحمد بن هني لمحمد بن علي السنوسي في علوم الشريعة واللغة والمذاهب الإسلامية[1].

من خلال ما سبق يتضح أنّ عدم اهتمام العثمانيين بالحركة العلمية والتعليمية بإيالة الجزائر عموما، ما عدا الدور العلمي الذي لعبه كل من صالح باي ببايلك الشرق، ومحمد بن عثمان الكبير ببايلك الغرب، انعكس سلبا على الوضع العام للحركة الثقافية والفكرية ببايلك الغرب، وهذا ما دفع جلّهم إلى الاكتفاء بالتعليم الأولي لينشغل لطلب الرزق عن طلب العلم. ورغم قلة الإجازات العلمية إلاّ أنها تعبر عن المستوى العلمي لمتصوفة بايلك الغرب، بحكم أنّ الإجازة لا تمنح إلاّ من طرف أكابر العلماء[2].

2-2-2 الإجازات السلوكية:

يقصد بها الإجازة في سلوك طريق التصوف، أو يسمّيها البعض بالتزكية السلوكية، وهي تتم بوسائل بسيطة، مثل تشبيك الأيدي، والمصافحة، وأخذ السبحة، والضيافة ولبس الخرقة، ووضع اليد على الكتف ونحو ذلك. وعموما فإن الإجازة السلوكية تتوقف على مدى تقدير الشيخ الملقن للمريد، ونفاذ بصيرته ومكاشفاته نحو حالة المريد. كما أن كثرة الطرق الصوفية ببايلك الغرب وسعي كل منها لاستقطاب أكبر عدد ممكن من الأتباع والمريدين ساهم في منحها.

ومن أهم تلك الإجازات إجازة مصطفى الرماصي الذي رغم غلبة علم الظاهر عليه، إلاّ أنه كان من المتصوفة. ومما ورد في هذه الإجازة قوله:" وبعد فيقول ... مصطفى الرماصي، قد طلب مني ولدي سدي محمد بن علي الدخول

---

[1]) يوسي الهواري، الشيخ محمد بن علي السنوسي وكتابه إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن، المجلة الجزائرية للمخطوطات، جامعة وهران، ع3/2، سنة 2005/2004، ص:52.

[2]) لزغم فوزية، الإجازات العلمية، المرجع السابق، ص:89.

في سلسلتنا في العبادة وأخذ الخرقة فأسعفته في ذلك..."[1]. إلى أن قال:" وقد أخذت الطريقة عن الشيخ القطب الرباني سيدي محمد الصحرواي نزيل قلعة مأمون ببلاد منداس"[2]، ثمّ بيّن ما على المُجاز له من صلاة وصيام وأذكار وفقا للطريقة التي أجازه بها"[3].

إنّ هذه الإجازة تعد دلالة صريحة على أنّ غالبية متصوفة بايلك الغرب رغم مستواهم العلمي العالي إلاّ أنّ لم ينمعهم من الانتماء إلى طريقة صوفية معينة، ممّا زاد في أهليتهم العلمية التي يتم بموجبها منح إجازات لتلاميذ يشهد لهم بالتفوق والتحصيل الدرسي والعلمي.

ومن بين الإجازات التي اشتهرت ببايلك الغرب إجازات محمد بن علي السنوسي التي أخذها عن شسوخ عصره أبو طالب المازوني، وحفيده أبو العباس أحمد بن هني في العلوم الشرعية والطرائق الصوفية المعروفة آنذاك. مثل حصول إلى جانب إجازات محمد الشعاب لعبد القادر بن مصطفى بن عبد القادر المشرفي في العلوم الشرعية والأدبية وفي أوراد وأحزاب الطرق الصوفية، وهذا بدليل قوله:" قد أجزت سيدنا المشار إليه أعلاه،...بجميع ما يصّح لي وعني روايته من علم التفسير والحديث،...وغير ذلك من أوراد وأحزاب وصلوات بشرطه المعروف عند أهل الأثر، بحقّ أخذي لذلك عن اساتذة عظام وشيوخ فخام..."[4].

ومن بين الإجازات السلوكية تلك الممنوحة من طرف علي بن محمد الميلي للطاهر بن عبد القادر المشرفي، وممّا جاء فيها:" ولست بأهل لأجيز الإجازة،

---

[1]) أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، المصدر السابق، ص:541.

[2]) المصدر نفسه، ج2، ص:452.

[3]) لزغم فوزية، الإجازات العلمية، المرجع السابق، ص:76.

[4]) إجازة محمد الشعاب المدني لعبد القادر بن مصطفى بن عبد القادر المشرفي، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، المغرب، و:1و.

ولكنه أمر وطاعة مأمور،...وأن يكسوّه من شعار الأشعرية، الهمزة بهية، ومن سندس السنوسي حلا فاخرة، وأن يجمع له من الطريقة الشاذلية الزروقية اسباب الخير في الدنيا والآخرة،..."[1]. ولقد كان سيدي عدة بن غلام الله من مريدي المنهج الصوفي؛ إذ يرجع سنده الصّوفي إلى أخذه الذكر والمذاكرة على يد شيخه مولاي العربي العماري البوعبدلي، حيث كان الشيخ عبد الله بن حوا الواسطة في إعطاء الإذن، جاء في رسالة الكراس" أذن لي سيدي مولاي العربي في رسالة بعثها لي، وقال لي: يا ولدي إن الحجامة لا تقه إلاّ على الجسد من غير حائل، كالثوب؛ فكان كذلك حتى لقيته وذلك في عام (1249هـ/1833م)"[2]، وقد أخذ عليه الطريقة الشاذلية بالمشابكة.

إنّ انتشار هذه الإجازات السلوكية بين أوساط متصوفة بايلك الغرب، من شأنه أن يعزز العلاقة الروحية بين الشيخ وتلميذه من جهة، وبين المريد وشيخه من جهة ثانية. وقد اشتهر هذا النوع من الإجازات ببايلك الغرب ليتعداه إلى حواضر المغرب الأقصى.

2- 3 نماذج من نوازل متصوفة بايلك الغرب:

ومن أهم ما حفظته لنا الوثائق المخطوطة في مجال النوازل الفقهية، نوازل مصطفى الرماصي التي تعد عمدة الفقهاء المغاربة والمشارقة، فهو محقق الفقه بلا

---

[1]) إجازة علي بن محمد الميلي لعبد القادر بن مصطفى بن عبد القادر المشرفي، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، المغرب، و:22ظ.

[2]) أهدى لنا هذه النسخة معالي الوزير الدكتور بوعبد الله غلام الله، وزير الشؤون الدينة والأوقاف، عن طريق الشيخ أبي عبد الله شراك.عدة بن غلام الله، رسالة الكراس في زوال الشك والالتباس، مخطوط الخزانة العداوية بتيارت، و:5ظ.

منازع كما وصفه بعضهم، ففي أجوبته[1] على معاصره آنذاك الشيخ علي بركة[2]، يبرز مصطفى الرماصي ذاتيته ويبسط رأيه في المسألة الفقهية أيا كانت. كيف لا وهو الذي لقبه معاصروه بمحقق الفقه المالكي بلا منازع.

وتتناول حاشيته في غالبيتها أسئلة حول قضايا فقهية من مختصر خليل مثل: مسألة النجاسة وعلاقتها بالصلاة، مسألة السكر، الصيد،...ورغم سعة اطلاعه وعلمه غير أننا نلحظ التواضع الذي يتسم به هذا العالم وهي عادة أهل العلم في ذلك، فنراه في آخر أجوبته يقول:" وتشتت البال وقصور الباع ونذور الإطلاع وما توارى على الخاطر من الأحزان بموت الإخوان الذين حازوا نصب السبق في هذا الميدان وبرزوا فيه على الأقران. أسكنني الله فسيح الجنان وإليه المرجع والمئاب"[3].

ونشير في الأخير إلى المجهود العظيم الذي كان قد بذل في فترة منذ أواخر القرن الماضي وفاتحة هذا القرن، جواب على سؤال الأمير عبد القادر الجزائري

---

[1]) مصطفى الرماصي، أجوبة أبي الخيرات مصطفى الرماصي على الشيخ علي بردلة، مخطوط مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء المملكة المغربية، و:1و.تقع في 44 ورقة، بمعدل 27 سطرا في كل ورقة، كتبت بخط مغربي أسود. توجد نسخة أخرى بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1641 د، ومنها أخذ العنوان. توجد ثقوب عديدة أغلبها يعيق قراءة بعض كلمات النص. كما توجد خروم أسفل الورق.

[2]) علي بركة:(000-1120ه/000-1709م) علي بن محمد بن محمد بركة، الأندلسي التطواني، أبو الحسن: شيخ تطوان وأديبها في عصره. توفي بها. له كتب، منها " الدرر في الكلام على الإسلام والإيمان والإحسان، و" حاشية على المكودي "، طرر كتبها على مواضع من شرح المكودي لألفية ابن مالك، جمعها أحد تلاميذه في رسالة، و" شرح " في مجلد. وله نظم. ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج1، ص:14.

[3]) مصطفى الرماصي، أجوبة أبي الخيرات مصطفى الرماصي على الشيخ علي بردلة، المصدر السابق، و:2ظ. والشيخ علي بردلة هو شيخ الجماعة بفاس وقاضيها، وواحد من علمائها المحققين، أخذ عن الشيخين عبد القادر الفاسي وأبي عبد الله بن سودة وأضرابها وتوفي سنة 1133هـ، وضبط اسمه بضم الهاء وسكون الراء وضم الدال بعدها لام مشددة مفتوحة. هكذا " بُرْدُلَّة".أبو الحسن بن علي الحسني العلمي، كتاب النوازل، تح: المجلس العلمي بفاس، منشورات وزارة الأوقاف المغربية، الرباط، المغرب، ط1989، ج3، ص:150.

يتعلق بجهاد الفرنسيس المحتلين للجزائر...لأبي الحسن علي بن عبد السلام التسولي وكتبه بأمر من السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام...وطبع ضمن أجوبة التسولي على الحجر بفاس كما طبع بوجدة ضمن مختصر لكتاب تحفة الزائر.

وبدخول العثمانيين إلى الجزائر، أصبح المذهب الحنفي هو المذهب الرسمي وكان مدعاة للاهتمام به لاسيما وأن العثمانيين في حاجة إلى فقهاء وقضاة أحناف، فانتقل بعض الناس إليه حباً فيه أو طمعاً في متاع الدنيا، لكن تأثير هذا المذهب كان محدوداً جداً، وما زالت بعض المساجد في العاصمة والبليدة وغيرها تعرف بأنها مساجد الأحناف وقد جاء في ترجمة محمد بن المسبح القسنطيني(ت1242هـ) أنه كان مالكي المذهب، فحوله عثمان باي إلى المذهب الحنفي وولاه الخطابة بجامع سوق الغرب، وبه كان يصلي الأمير، وولي قضاء قسنطينة مراراً "[1].

وقد حمل ذلك بعض أهل العلم على توسيع دائرة بحثهم وثقافتهم إلى غيرالمذهب المالكي، كما فعل أبو راس الناصر الذي درس فقه الأحناف، وغيرهم خلال رحلاته، وأسّس مكتبة المذاهب الأربعة، وألّف عدّة كتب في اختلاف الأئمّة، وفقه غير المالكية.

وقد نشط تدريس فقه المصنفات وغيره من العلوم الشرعية في هذا العهد الذي برزت فيه مدارس، لكنها لم ترق من حيث التنظيم إلى مرتبة فاس والقيروان والأزهر، ومنها مدرسة مازونة، ومدرسة القيطنة، والمدرسة المحمدية بمعسكر ومدارس تلمسان، وغيرها، وإن كان بعض علمائها لا يقلون مكانة عن أضرابهم في تلك المعاهد، وقد نشأ تنافس حاد بين حاضرة الراشدية (معسكر وما حولها)

---

1) أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، المصدر السابق، ص: 104.

وحاضرة تلمسان، ومن أبرز المعتنين بالفقه في هذه المرحلة الشيخ مصطفى الرمّاصي (ت1137هــ) من منطقة الراشدية، وهو صاحب الحاشية المعروفة على شرح التّتائي على مختصر خليل، وإنما ذكرته لأن حاشيته هي التي اعتمد عليها الدّردير في شرحه المعروف، كما اعتمد عليها الشيخ البناني الفاسي.

وقد كان أول من أدخل كتاب الدردير إلى الجزائر محمّد بلقندوز المستغانمي تلميذ الدردير، الذي حكى عن شيخه أنّه كان يعتبر الرماصي من المحققين، ويقول:" إن حاشيته تغنيني..."[1]. وما يزال هذا الكتاب هو عمدة المدرسين لمختصر خليل في بلادنا إلى اليوم، ولا يُستبعد أن يكون اعتماده ناتجاً عن كون الدردير اهتمّ بحاشية الرماصي في شرحه من جهة، وكذا الانتقادات التي وجهها الرماصي للخرشي شارح المختصر، حتى أنه ألف في ذلك رسالة أحصى فيها أخطاءه، وقد قال لبعض تلامذته:" وأراك أيها السائل تحتفل بكلام عبد الباقي الزرقاني، وذلك بمعزل عن التحقيق، لأنه شرحه وشرح الخرشي لا نكترث بهما في بلادنا الراشدية، لعدم تحقيقهما، وعمدتهما كلام علي الأجهوري، وهو كثير الخطأ "[2].

مع أن منهجية الخرشي أيسر لفصله بين المصنف والشرح، وخلوه من المبالغة في التقديرات، وقد احتدمت المساجلات بين فقهاء الراشدية وتلمسان بسبب هذا الأمر.

ومن أهم النوازل الفقهية نوازل أبو حامد العربي المشرفي، لاسيما تأليفه المسمّى " الرسالة في أهل البصبور الحثالة"، وهو عبارة عن رسالة صغيرة ألفها

---

1) راجع: ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدللي، الجزائر في التاريخ في العهد العثماني، ص:65.

2) الجزائر في التاريخ في العهد العثماني، المرجع السابق، ص: 65.

المشرفي في حدود(1270هـ/1852م)، تناول فيها مسألة الحماية القنصلية. وقد شكلت هذه الدراسة مصدرا هاما حول الحماية القنصلية، التي انتشرت أوساط المجتمع المغربي أواخر القرن الثامن عشر الميلادي. ولعلّ الدافع الذي شجع العديد من الراغبين في الحماية هو التهرب من الضرائب والكلف المخزنية.

وقد اكتست رسالة المشرفي أهمية تاريخية وفكرية، باعتبارها من أولى الردود الفقهية المنددة بالحماية القنصلية[1]. حيث استهلها بقوله:" الحمد لله، وبعد فقد توج سؤال لأهل العلم حفظهم الله بحفظ أهل السنة وحشرنا في زمرتهم آمين، عن حادثة حدثت في قرننا هذا في حدود السبعين والمائتين والألف، وهي دخول المسلمين تحت كلمة الكفر، أعاذنا الله منه، ويعبرون عنها بالحماية، معتذرين بها عن تحصين مالهم من ثقل المغارم مع أنهم يجعلون حظا وافرا لمن يحميهم بإذلال وطيب نفس، فهل يكون المحتمي بالحماية على هذه الحالة مسلما عاصيا أو خرج عن دينه بالكلية وللإمام أن يحكم فيه باجتهاد"[2].

ومن خلال هذه الرسالة يحكم المشرفي على المحمي على أنه فاسق ضعيف الايمان، وينتهي إلى أنه مرتد كافر، حيث نجده يقول:"...فاجر مفسق ضعيف الإيمان غوغاء لا يدين لله بدين، كاد أن يكون مجسيا...فأفعال هذا الراكن تدل على ردته...وفعله المتضمن لردته هو استنصاره بالنصارى، وأنّ من استمسك بعجم الكوافروخرج عن الجماعة فقد تهاون بالدين ولم تبق للمحتمي إلا منازعة

---

[1]) بن منصور عبد الوهاب، مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب من نشأتها إلى مؤتمر مدريد سنة 1880م، المطبعة الملكية، الرباط المغرب، ط2، 1985، ص:5.

[2]) المنوني محمد، مظاهر يقظة المغرب، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1985، ص:327.

الحق جلّ جلاله، وأما منازعة سلطانه فقد نازعه في حكمه وخرج عن طاعته وصار عينا للكفار وجاسوسا لهم، يخبرهم بضعف المسلمين وجور حكامهم"[1].

وبعد أن بيّن المشرفي حكم المحمي، وبعد عجز أهل الحل والعقد عن إجبارهم عن الكفّ عن سلوكهم، يعو المشرفي إلى مقاطعة حاملي الحماية كحلّ اجتماعي شعبي، ونلمح ذلك من خلال قوله:" فواجب على كل من يؤمن بالله واليوم الآخر أن لا يجالس أهل الحماية ولا يصادقهم ولا يؤاكلهم ولا يعاشرهم ولا يناكحهم وأن يوصي كل من لقيهم بمجانبتهم وترك معاملتهم ردعا لأمثالهم"[2].

وتجدر الاشارة إلى أنّ هناك عددا من العلماء ممن أيدوا المشرفي في تناوله لمسألة الحماية أمثال محمد بن ابراهيم السباعي[3]، وبن عبد الله الفاسي، والناصري[4] وغيرهم ممن أنكروا على المحتمين.

كما أن هناك تأليف آخر للمشرفي كذلك سمّاه" ورقات في رواج السكة بالزيادة"[5] وهو عبارة عن جواب لسؤال طُرح عليه حول رواج السكة بالزيادة وعلاقته بارتفاع سعر صرف العملة أو السكة. ويحاول المشرفي عن يعرض لنا غرضه من تأليف هذه الرسالة فيقول:"...بعد أن سُئلت بذل المجهول في كشف القناع عن الرواج بالزيادة في الدرهم المألوف والمعهود، ولم يسعني زمان أطالع

---

[1]) العربي المشرفي، الرسالة في أهل البصبور الحثالة، مخطوط ضمن مجموع، الخزانة الملكية بالرباط، المغرب، تحت رقم:13919، و:553ظ.

[2]) العربي المشرفي، الرسالة في أهل البصبور الحثالة، المصدر السابق، و:553ظ.

[3]) السباعي محمد بن إبراهيم، كشف النور عن حقيقة كفر أهل البصبور، مخطوط الخزانة العامة، الرباط، تحت رقم:1326، وو:8و-12ظ.

[4]) المنوني محمد، مظاهر يقظة المغرب، ج1، ص:327.

[5]) ألفت هذه الرسالة في الثالث من شهر صفر سنة1304هـ/نوفمبر1886م.

فيه المطولات، وأتوسع فيما دوّن في المدونات، فاقتصرت على تسويد ورقات لقصر باعي وقلة اطلاعي"[1].

وقبل أن يلج المشرفي في فتواه بخصوص تلك النازلة، نجده يعرض لنا حيثياتها وصورتها قائلا:" جلّ خصومات هذا الوقت دائرة بين أهلها في شأن السكّة، فإن الناس يتعاملون بالأجل ويشهدون على غرمائهم عددا من المثاقيل، ثم لا يحل أجل تلك السلعة أو لا يقضى الدين إلا وقد زاد صرف الريال والبساسيط وارتقى، مع أن الرسوم التي بأيدي أصحاب الدين خالية من التعرض لذكر الريال والبساسيط، وإنما يكتب فيه السكّة التاريخ، جريا على المسطرة المألوفة من غير أن يسمعوا ذلك من المتعاقدين"[2].

ويبرز المشرفي تلك التغيرات التي طرأت على سكة المعادن خلال تلك الفترة، خاصة في الفضة التي طرأ تغيير في وزنها وعددها، ونلمح ذلك من خلال قوله:" قدر مخصوص من سكة الفضة، وهذا قدر طرأه التغيير مرارا في وزنه وعدده، فطورا يكون مدلول المثقال عشرة دراهم...وطورا يكون الريال كثلثه أو ربعه أو خمسه إلى سبعه، فيقال فيه: يروج بكذا من المثاقيل، فلا يتقرر على حالة"[3].

ويحاول المشرفي توضيح المسألة أكثر فيقول:" إذا وقع خلل في السكة فلا تخلو من أن تكون فضة أو ذهبا أو فلوسا، والخلل إما نقصان أو زيادة في الرواج أو بطلان التعامل أو انعدامها في البلد بالكلية، فهي ثلاث صور في ثلاث بل أربع، والكل إمّا مماطلة أو عدمها بثمان عشرة صورة، لا يتصور عقلا سواها

[1]) العربي المشرفي، ورقات في رواج السكة بالزيادة، مخطوط مكتبة تطوان، المغرب، تحت رقم:343/1، و:1و.

[2]) العربي المشرفي، ورقات في رواج السكة بالزيادة، و:4ظ.

[3]) المصدر نفسه، وو:13و-14ظ.

فتبدّل الرواج في الذهب والفضة بزيادة أو نقص، لا خلاف في وجوب مثل ما وقعت به المعاملة في تاريخها خلافا لمن أجراه فخطئ؛ إذ لا نصّ لمن يساعده، وكذلك في انقطاع التعامل مع وجودها صرفا، كما أنه لا خلاف في وجوب القيمة عند عدمها. وأمّا صور الفلوس فعند بطلان التعامل بها يجب مثلها على المشهور خلافا لمن أوجب قيمتها"[1].

وفي نهاية حديثه عن النازلة يقول المشرفي:" وإن أمعنت النظر في الكل يتضح لك جميع ما قلناه فافهم وتفهم تلهم. ما أملاه بلفظه رادا العلم لمولاه، عبيد المولى العلي أبو محمد العربي بن علي المشرفي نسبا، الغريسي وطنا ومنشأ، المالكي مذهبا، الأشعري معتقدا، وفقه الله. في ثالث صفر الخير عام أربع وثلاث ومائة وألف، بلغه الله سؤله آمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين"[2].

وفي مجال الفتوى نرى المالكية والحنفية يتسابقان ويكمل بعضهما بعضا أو أن أحدهما يسير على خطى الآخر؛ إذ أن الحنفية بحكم تقدم زمانهم التاريخي ولكون أوائلهم احتلوا مناصب رفيعة كانوا أول من وضع قواعد الفتيا وانتهج طريقة وضع الأسئلة المستمدة من الوقائع والأحداث القائمة بالفعل أو التي ينتظر وقوعها ويفترض حدوثها نظريا..إذ كانت بيئتهم العمرانية تمدهم بسيل من مسائل واقعية أو مفترضة...تتطلب البت السريع والجواب الحاسم ولاسيما أن معظمهم كانوا في مراكز السلطة والإدارة، وفي أيديهم مناصب القضاء ودار الشرطة وتحصيل الأموال وجباية الخراج والأعشار. فكانت مؤلفاتهم في معظمها تعالج هذه القضايا في صورة أسئلة مطروحة يقرنونها بأجوبة فقهية محررة بنصوصها وتخريجاتها مستندين فيها إلى أصول المذهب المقر من كتاب وسنة وإجماع وقياس والى الأقوال المروية عن أبي حنيفة وعن أصحابه.

---

[1]) نفسه، وو:13و–14ظ.

[2]) العربي المشرفي، ورقات في رواج السكة بالزيادة، المصدر السابق، و:15و.

لذلك ازدهرت الفتيا في بايلك الغرب وأقبل عليها كل من أنس من نفسه مقدرة أو رآه الناس أهلا لها، ويقال أنها كانت مزرعة المحامين لكثرة من نبغ فيها منهم...وقد كان لمتصوفة بايلك الغرب شاو لا يدرك في مضمار الفتوى فأكثروا فيه من التأليف والمجاميع، وتفننوا وتنوعوا، وأسهبوا وأطنبوا وأكثروا، حتى إن الباحث يحار، ويقف مشدوها أمام هذا التراث الضخم الذي خلده الأسلاف وسجلوه ودونوه في مئات الأسفار والمجلدات طيلة قرون وقرون.

فكان مما يثير الإعجاب والإكبار أنهم خصوا شؤون الفتوى والنوازل بعناية واهتمام تفوق كل وصف وتتجاوز كل تقدير، حتى إن الفقه المالكي التطبيقي العلمي تجده كله ما زال حيا يرزق بين طيات كتب النوازل، وعلى ألسنة وأقلام المفتين البارزين مما جاز معه القول بان الفقه المالكي لم يمت ولم يقبر كما ينوه البعض، بل إنه ما زال قلبه ينبض بالحياة ويزداد قوة بعد قوة.

ولذا نجد بعضهم يصف الدور الذي لعبه فقهاءنا بقوله:" إن فقهاءنا عرفوا الداء وعرفوا الدواء وشخصّوه، فإنهم بذلك نقلوا نصوص الفقه النظرية إلى مواقع العمل بها، تطبيقا وتنفيدا، في المحاكم وفى الأسواق وفى البيوت وفى الطرقات إلى غير ذلك من مواقع الحياة ومعترك البشر، فهناك ترى الفقهاء يصولون ويجولون، وأصحاب النوازل يعالجون المشاكل ويقدمون لها الحلول هكذا تشعر وأنت تتصفح كتب النوازل انك ترى الفقيه المفتي يستعرض الأقوال ويحاول أن يستخرج منها عناصر التركيبة التي يقدمها بنفسه للسائل أو يقدمها للقاضي علاجا ناجعا للمشاكل وقطعا لدابر الشكوى والفتن وحسما لداء النزاع".

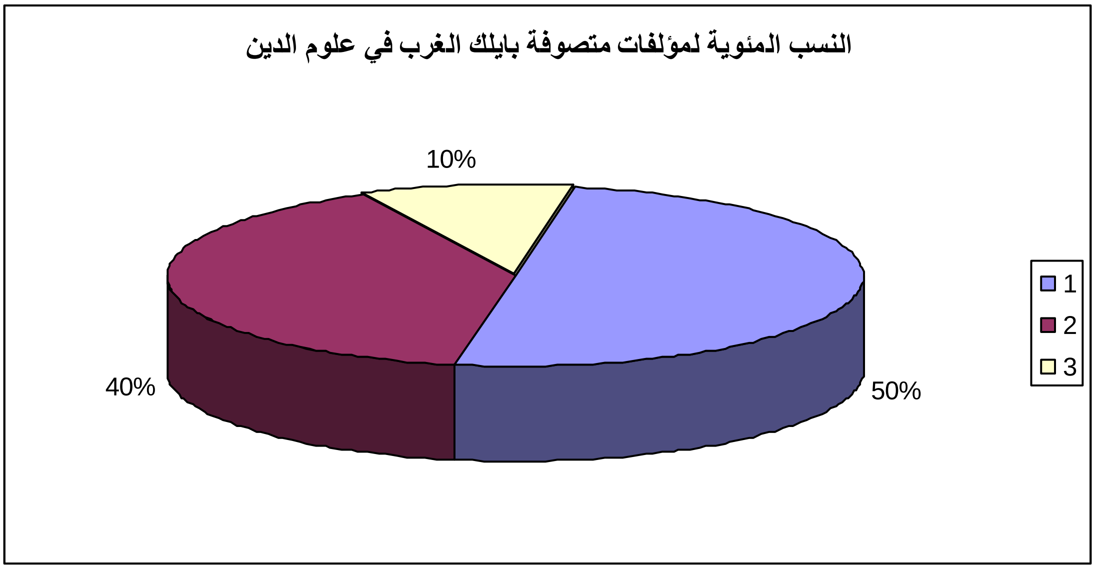
وعلى سبيل المثال والتنظير عن تلك المؤلفات الفقهية والتي شملت أيضا أمور الفتيا، ما كتبه مصطفى الرماصي الذي يعتبر أحد أعمدة الفقه المالكي ببايلك الغرب، حتى أنه لقب بـــ" محقق الفقه المالكي" كما ذكرنا ذلك آنفا. من ذلك قوله في مسألة بعد الحمدلة والصلاة على النبيρ "وجدت بخط الولي الصالح سيدي عبد

القادر بن يسعد البرذعي ما نصه، ومن خط شيخنا وقدوتنا شيخ الإسلام وقدوة الأنام أبي عبد الله سيدي محمد بن سيدي علي أبهلول ذكر البلنسي في كتابه المسمى صلة الجمع وعائدة التذييل بموصول كتابي الإعلام والتكميل، في سورة طه عن قوله سبحانه "هي عصاي" ما نصه عند نقله عن ابن عباس ما نقل، تكميل قال المؤلف رحمه الله تعالى اختلف العلماء، عود العصا من أي نوع كان، من أنواع النبات على أربعة أقوال، ولما ذكر الثلاثة قال القول الرابع أنها كانت من المقر وهو اللوز المر، أعطاها له ملك في مسيره إلى مدين، قاله بعض العلماء، وفي هذا النوع من النبات خواص تؤذن بصحة هذا القول"[1].

إنّ هذه الفتوى تُنم عن مدى توسع مصطفى الرماصي وتحقيقه للمسألة الفقهية وفق ما يستوجبه الشرع من الكتاب والسنة، ولرفع الغبن والمشقة عن المسلم. فتراه يوضح معنى المسألة ويشرحها لغويا ومن ثم يعطي حكمه فيها، وهي عادة علماء تلك الفترة من العهد العثماني.

وللشيخ أبي راس الناصر فتاوى فقهية قد تقل أو تكثر حسب الأسئلة التي تطرح عليه، في قضية معينة عرضت له أو سئل عنها.

[1]) نقلت هذه الورقة من كتاب المهدي البوعبدلي من شرح محمد بن مرزوق على البردة، أنظر: وثائق مخطوطة جمعها الشيخ البشير محمودي، مج1، و1و.



من خلال الجدول يتبين لنا أنّ مجال علم التوحيد يعد من الحقول الخصبة التي تناوله متصوفة بايلك الغرب بالدراسة والتأليف والتمحيص، وهي أعلى نسب تسجل ضمن حقل الاهتمام بالدراسات العقائدية ذات المنحى الفلسفي، تليها الدراسات الفقهية وشروحها، ثم تليها الدراست المهتمة بعلوم القرآن والحديث.

إنّ هذا التوزيع لحجم تلك الدراسات ونقصد بها عدد المؤلفات والمصنفات التي ألفت تعكس بالدرجة الأولى مستوى الحركة العلمية والثقافية ببايلك الغرب، وبالدرجة الثانية فهي تعكس المستوى العلمي لمتصوفة بايلك الغرب ودورهم العمي والتعليمي.

ولعلّ أبرز ما يفسّر ذلك هو مظاهر الحركة العلمية التي كانت موجودة آنذاك من تشجيع للبايات واهتمامهم بالمتصوفة وتقريبهم إلى بلاطاتهم، وجود الزاويا والمكتبات والمساجد وبروز مدارس وحواضر علمية تضاهي تلك الموجودة بالحواضر العلمية المجاورة.

الباب الثاني:مساهمة المتصوفة العلمية في التاريخ وفنون اللغة والأدب

الباب الثاني: مساهمة المتصوفة العلمية
في التاريخ وفنون اللغة والأدب

منذ القديم عرفت مناطق إيالة الجزائر كثيرا من الهجرات البشرية، حيث كانت هدفا للغزاة والفاتحين والمهاجرين، فالمنطقة قد عرفت الإنسان الفنيقي، والقرطاجي، وتأثرت بهذا الإنسان لغة وحضارة. كما عرفت كذلك الجندي والقائد والتاجر والراهب الروماني ثم البيزنطي، وعرفت المحارب الوندالي...بالإضافة إلى أولئك جميعا عرفت مجموعة من اليهود، سكنتها واستوطنتها في فترات مختلفة.

وقد عرفت المنطقة كل أولئك بثقافاتهم، ولغاتهم، وحضاراتهم، وتذكر بعض الوثائق المخطوطة أن جيش الفاتحين، نزلوا بهذه المنطقة وكان من بين عناصره ممن يتكلمون العبرانية والقبطية والسريانية[1]. ومما لا شك فيه أن المنطقة عرفت اللغة البونيقية واللاتينية إلى جانب اللهجات الأمازيغية المحلية، وصولا بالعثمانيين بإيالة الجزائر.

ومما لا مجال فيه للشك أنّ العامل الجغرافي جعل من هذا البايلك (الإقليم) صلة وصل بين المغرب الأقصى والأدنى. كما كانت المنطقة عبر العصور معبرا من الأندلس والمغرب الأقصى مرورا بإيالة الجزائر (المغرب الأوسط قديما) ومن ثم إلى باقي البلاد العربية.

---

1) مؤلف مجهول، تواريخ الناحية الغربية، مخطوط ملكية خاصة، بوحنيفية، معسكر.

وإبان ازدهار الحياة الفكرية بالمغرب الأقصى، كانت مدن هذه المنطقة مثل فاس، ومكناس ومراكش، من أهم القواعد في ربط الصلات السياسية والثقافية بين بايلك الغرب وتلك المدن. ففي ميدان الثقافة والفكر كان هناك انعكاس كبير على إيالة الجزائر، مما أدى إلى بروز شخصيات كبيرة كان لها هي الأخرى دور كبير في إثراء الحياة الثقافية والفكرية ببايلك الغرب.

ومن هنا تبرز مساهمة متصوفة بايلك الغرب لاسيما في مجال التاريخ وفروعه واللغة والأدب وفروعهما، واضحة من خلال تلك المؤلفات التي نحاول تحليل بعض مضامينها ضمن هذه الدراسة.

الفصل الأول: التاريخ والتراجم والأنساب

مع نهاية العهد الزياني وبداية العهد العثماني بالجزائر، أمسى بايلك الغرب مأوى لكثير من الأسر النازحة من مناطق الاحتلال الاسباني آنذاك، كما كان ملجأ للمهاجرين الأندلسيين. وبالرغم من كون هذا العهد ببايلك الغرب خصوصا هو عهد جمود وخمود، فإنّ الحياة الثقافية والفكرية واصلت سيرها -بكيفية أو بأخرى- ولم يصبها من الجمود والركود والضعف مقدار ما أصاب الحياة السياسية.

ولقد كان نصيب التاريخ والتراجم والأنساب من هذه الحياة الثقافية واضحا في تلك المصنفات؛ التي عالج خلالها أصحابها مواضيع تاريخية مختلفة؛ تارة عامة وتارة أخرى محلية، حيث الواقع التاريخي كان يفرض على العديد من هؤلاء المتصوفة أنهم يسجلون تلك الأحداث ضمن مصنفاتهم. وهو يعكس التجربة التاريخية التي مرّ بها متصوفة بايلك الغرب في ضل حراك سياسي واقتصادي مضطرب.

1- التاريخ:

لعلّه من الصعب جدّا أن نربط دائما ازدهار الحياة الفكرية والثقافية بالحياة السياسية. وذلك نظرا لعدم طردية النظرية القائلة بالتلازم. فمما لا يدع مجالا للشك أنّ الأوضاع السياسية خلال العهد العثماني لاسيما فترة القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، كانت مضطربة، وتعاني حالة من الضعف والتفكك وبعض الفتن الداخلية التي كانت تحدث من حين لآخر ضد سلطة البايلك آنذاك. ومع ذلك لا يمكننا القول بأن الحياة الفكرية في هذه الفترة بالذات أصيبت بمثل ما أصيبت به الحياة السياسية، وليس معنى ذلك أنّ الحياة الثقافية لم تتأثر مطلقا، لكن تأثرها لم يكن بالقدر الذي يعوقها عن السير وعن مواصلة نشاطها.

وتتجلى هذه الظاهرة مثلا بوضوح في المؤلفات التاريخية على وجه التحديد التي ألفت في ذلك العهد، وتحديدا في ميدان التاريخ. وهذا مرده أساسا إلى أنّ المد الفكري والثقافي لم يتوقف لمجرد قيام ثورة داخلية في جهة من جهات البايلك أو هجوم أجنبي على منطقة منه، بل الملاحظ أنّ الحياة الفكرية ظلت صامدة تشق طريقها بالرغم من تأزم الأوضاع السياسية واضطرابها.

وفي هذه الفترة تثبت لنا بعض الوثائق المخطوطة استمرارية النشاط الفكري ببايلك الغرب، سواء من خلال بروز حواضر علمية كبلاد الراشدية، ومازونة وتلمسان وتيهرت، تضاهي تلك المراكز الثقافية المنتشرة ببلاد المغرب الأقصى كفاس، ومكناس ومراكش. أو من خلال بزوغ نخبة من العلماء الذين ألّفوا في ميدان التاريخ فارتفع صيتهم في الآفاق.

1-1 أهمية الكتابة التاريخية خلال القرنين(11-12هـ/17-18م):

تعتبر الكتابة التاريخية خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، أهم ميزات تلك المرحلة من العهد العثماني. فقد كان لفتح وهران عام

1206هـ/1792م، والحروب المتكررة مع الاسبان أهمية لدى متصوفة بايلك الغرب، ممّا جعلوا مواضيع مصنفاتهم حول الحدث الكبير؛ الذي عدّه بعضهم أنه يضاهي فتح الأندلس.

كما شكلت الكتابة ببايلك الغرب نمطا حضاريا انفرد به متصوفة بايلك الغرب عن غيرهم؛ وهذا انطلاقا من الوضع السياسي العام إيالة الجزائر عموما ولبايلك الغرب خصوصا.

لعلّ من ميزات اهتمام متصوفة بايلك الغرب بهذا النوع من الدراسات، هو أنّ إيالة الجزائر عموما، وبايلكها الغربي على وجه الخصوص شهد اضطرابات سياسية واقتصادية واجتماعية كان له بالغ الأثر على هؤلاء المتصوفة هذا من جهة. ومن جهة أخرى هو ظهور عدد من الحواضر العلمية بمدارسها وخزائنها وعلمائها، الذين تركوا مؤلفات عديدة في شتى العلوم والفنون. إلى جانب عوامل أخرى، كانت بمثابة، سواعد معينة لهؤلاء المتصوفة إلى اختبار أنفسهم في مجال الكتابة التاريخية، وهي تجربة محفوفة بالمخاطر والمزالق.

ثم إنّ مكانة علم التاريخ لدى متصوفة بايلك الغرب غرس في نفوسهم حبّ الاطلاع ومعرفة تاريخ الدول والأمم الغابرة وأحوال الطوائف وعاداتهم وصنائع أشخاصهم وأنسابهم ووفياتهم..."[1]، حتى يكونوا على دراية بمن سبقوهم. ونظرا لطبيعته التوثيقية فإنه ينغرس ويترسخ في جميع العلوم الانسانية. ثم إنّ دراسة التاريخ بطريقة علمية تساعدنا "على تبيين النسيج الذي نسجته العملية التاريخية في الماضي بغية تبيين طريق امتدادها في المستقبل"[2].

---

[1]) صديق بن حسن القنوجي، أبجد العلوم أو الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، دار الكتب العربية، بيروت، دط، ط1978، ج2، ص:137.

[2])جوردون شايلد، التاريخ، تر:عدلي برسوم عبد الملك، الدار المصرية للكتاب، القاهرة، دت، ص:131.

2-1 موضوعات المتصوفة التاريخية:

إنّ ما يلفت النظر عند رصد مؤلفات متصوفة بايلك الغرب، إضافة إلى تنوع مضامينها وكثرة عددها، هو أنّ نسبة وافرة منها تناولت الجانب التاريخي لأحداث بايلك الغرب المختلفة. وعليه يمكن تقسيم موضوعات متصوفة بايلك الغرب إلى قسمين بارزين، هما الكتابات التاريخية المحلية والكتابات التاريخية العامة.

2-1-1 الكتابات التاريخية المحلية:

نقصد بالتاريخ الملحي ما تناول ناحية خاصة من نواحي القطر الجزائري، أو حادثة معينة جرت فيه، ونحن في هذه الدراسة اقتصرنا على بايلك الغرب من إيالة الجزائر خلال الفترة الممتدة ما بين القرنين (11-12هـ/17-18م). وما تجدر الاشارة إليه هو أنّ متصوفة بايلك الغرب لم يكتبوا في التاريخ العام بقدر ما كانت لديهم مساهمات علمية كبيرة في التاريخ المحلي. ومن أهم تلك المؤلفات نذكر مايلي:

يعد كتاب " أرجوزة الحلفاوي التلمساني"[1] لشارحها عبد الرحمن الجامعي الفاسي[2]، من المؤلفات الهامة التي تعرضت لفتح وهران

---

[1]) تقع هذه النسخة في 95 من الحجم المتوسط، حيث تضم كل صفحة 20 سطرا وأحيانا أقل من ذلك، بمعدل عشر كلمات أو أكثر في السطر الواحد، والمخطوط مكتمل البداية والنّهاية. توجد أربع نسخ من هذا الشرح، النسخة الأولى بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم: د7241، ونسخة المكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم:2521، ونسخة ثالثة بالمكتبة العبدلية بتونس رقم 4454. ثم نسخة خزانة الشيخ البشير محمودي البرج معسكر.

[2]) عبد الرحمن بن عبد الله الجامعي الفاسي، أديب مغربي له اشتغال بالتاريخ، من أسرة أولاد جامع، شمال فاس، ولد عام1087هـ/1676م. ثم انتقل إلى تلمسان، ومنها إلى الجزائر، فتونس، ويرجّح أنه توفي بتونس.خير الدين الزركلي، الأعلام، ج1، ص:213.

الأول(1119هـ/1707م)، تتألف هذه الأرجوزة من اثنين وسبعين بيتا موزعة على خمس فصول[1]، الفصل الأول في ذكر دولة محمد بن علي داي الجزائر القائم بتصرفات الدولة العثمانية المعروف ببكداش وفيه يقول: (البحر البسيط)

لما أراد الله بالدين جلا عن أرض وهران بنى الكفر
أحاد من حاد عن الخلافة فاستنهض فتى لها خلافا
أقامه محل من أقامه ولقضاء عنده أقامتته
فكان خيرة وخيرا ومنى وجلب نفع دائم ومأمنا
ومن عظيتتم لطفه بالناس سر خفي عن ذاكر والناسي
فلم يكن فيه مجتتال للورى وإن تسل عن شرحه قل لا مرا[2]

كما تطرق في الفصل الثاني إلى وصف تجهيز محمد بكداش للجيش، لهذا الثغر وتوجهه إليه مع ذكر وزيره قائد الحملة وتاريخ النزول، وذكره أيضا الأسلحة المستعملة في هذا الفتح ومن ذلك قوله: (البحر البسيط)

مجهزا جيشا حمى الدين فساد إذ ظهرت به بقاع من فساد
فنهضوا لله حزما وأعد معهم آلة حدب لا تعد
من نحو بارود وكم من مدفع ومنجنيق ماله من مدفع
مؤمرا صهره " أوزن حسنا " قرما رضي فسار يسرا حسنا
...فنزلوا الأول من ربيع النّبوي منسلخ الرّبيع[3]

---

[1]) للإطلاع أكثر على دراسة الأرجوزة، ينظر: سلطاني الجيلالي، " قراءة في أرجوزة الحلفاوي في فتح وهران من خلال مخطوط شرح الجامعي للأرجوزة"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مخبر مخطوطات الحضارة الاسلامية في شمال إفريقيا، جامعة وهران، الجزائر، ع3/2، 2005/2004، ص ص:35- 43.

[2]) عبد الرحمن الجامعي الفاسي، شرح أرجوزة الحلفاوي، المصدر السابق، و:4، 10، 12، 15.

[3]) المصدر نفسه، و:15.

كما تحدث عن محاصرة البلاد والبروج والحصون والقلاع ونحوها، وهذا الفصل هو واسطة الفصول لكون الشاعر ركز عليه وعلى وصف الحصار والمعركة، كما تطرق إلى ذكر أهم البروج كبرج العيون، كبرج مرجاجُ، وبرج بن زهو، وغيرهم: (البحر البسيط)

فأجمع الجيش بذال الثغر جمعا كبنيان رسى أو ثغر
ونصبت من حولها مدافع للرمي كل أسد مدافع
ومرعدات كورها في الجو كنجم رجم من سماء يهوي
تلمح من خلالها البوارق ووقعها أمضى من الصواعق
فأججوا نار الحروب سرمدا وتابعوها باعتنا طول المدى[1]

وعن الفتح يقول: (البحر البسيط)

فكان باكورة ذاك الفتح برج العيون ضامنا للنجح
عاشر يوم من جمادى الأخرى يوم الثلاثاء مساء قسرا
قلعة مرجاجو التي لو قلعت شوامخ الأطواد ما تضعضعت
...فأصبحت ترمي العدا بالكور سابع عشرين من المذكور
وانحدروا لبرج "بن زهو" وقد حلّ به من نار حرب قد وقد
فأصبحوا خامي شعبان به كقتل شعبان نصيح ربه
من بعد لغم هد جلّ حرفه وحصرهم به بنقط حرفه
ثمّ أتى الجيش لوهران ولم يك مقاتل بها إلاّ ألم
وبــ "الجديد" برجها الحامي لها لم تغن آلات به حاملها
ففتحها يوم العروبة معا فتحا أرى في الأندلس مطمعا[2]

---

[1]) عبد الرحمن الجامعي الفاسي، شرح أرجوزة الحلفاوي، المصدر السابق، و:15ظ.

[2]) ينظر: سلطاني الجيلالي، "قراءة في أرجوزة الحلفاوي، المرجع السابق، ص:39.

وفي الفصل الرابع تطرق الحلفاوي التلمساني إلى وصف ما آل إليه المسلمون الفاتحون والإسبان المنهزمين بقوله: (البحر البسيط)

وانكسرت شوكة من بالكفر يلوذ أو له اعتنى بأمر
ومزقوا تمزيق آلاء سبا وأصبحوا ما بين قتل وسبا
وأحرجوا بالذل للإسار في عدد(كفر صغار) ساري
وانقرضت دولة ذي الفساق والملك لله القديم الباقي
وانتصف الإسلام منهم وغدا بين قتيل ذي حياة أبدا

وقد أفرد الحلفاوي التلمساني في الفصل الخامس للثناء على المولى تبارك وتعالى والصلاة على النبي ρ وعلى آله وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين، وممّا جاء في هذا الفصل:(البحر البسيط)

والحمد لله على إعلائه كلمة التوحيد في ملائه
مصليا على الذي به الهدى أوضحه الله إلينا وهدى
محمد سيد كل ضارب أو طاعن من قاطن أو ضارب
وآله وصحبه الأنجاد أسد الشرى في الحق والجهاد

وعموما فإنّ الحلفاوي في أرجوزته إذ يؤرخ لفتح الثغر الوهراني، فهو يؤرخ لفتح وهران وأبراجها، ومدونا لأحداث بايلك الغرب، يضاف إلى ذلك أنّ الناظم يؤرخ لوهران من خلال الأمير محمد بن علي بكداش داي الجزائر[1].

[1]) سلطاني الجيلالي، قراءة في أرجوزة، في فتح وهران من خلال مخطوط شرح الجامعي للأرجوزة"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مخبر مخطوطات الحضارة الاسلامية في شمال إفريقيا، جامعة وهران، الجزائر، ع3/2، 2005/2004، ص:41.

ولم يكن الحلفاوي ممن انفردوا بهذا الاتجاه التاريخي واختصوا به؛ بل هناك من المؤرخين المتصوفة ممن اهتموا بهذا الاتجاه، وأهملوا التاريخ العام واعتبروه ضربا من السخرية والاستهزاء كما يذكر الورتلاني.

وممن اهتموا بالكتابة حول فتح وهران الثاني(1206هـ/1792م)؛ أبو راس الناصر المعسكري ضمن كتاباته التاريخية. ففي كتابه عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، والذي قسمه إلى جزئين؛ تعرض فيهما إلى الحديث عن فائدة التاريخ معتمدا الأدلة النقلية والعقلية في ذلك، التهليل لفتح وهران، ثم حديثه عن بلاد المغرب وحدودها وساكنتها، جزر بحر الروم، قبائل بني عامر وغيرها وتعاونها مع الاسبان، فحديثه عن الاحتلال الإسباني لوهران، ثم فتحها بالحرب، ثم تعرضه للحديث عن تاريخ مدينة وهران في ظل الإمارة المغراوية، ثم على عهد المرابطين، والموحدين والزيانيين[1].

لينتقل بعدها إلى الحديث عن بلاد المغرب مستعرضا المجال والحدود، ثم كلامه عن الحرب في التراث العربي، لينتقل الحديث عن الباي محمد الكبير، خصاله وشهامته والتنويه بمآثره. كما يتطرق أبو راس إلى حديثه عن قبائل بني منديل والثعالبة وبني توجين، ثم يستطرد في كلامه عن تلمسان مدينة الجدار كما يسميها. ليركز كلامه عن تحرير وهران والمرسى الكبير، وحصاره لهما، ثم صدى الحصار ببلاد المغرب، ثم المفاوضات ومعاهدة الصلح وعودة وهران إلى حظيرة الجزائر وجلاء الإسبانيين عنها، ليتم يوم الفتح اليوم المشهود في 5 رجب 1206هـ/1792م[2].

---

[1]) أبو راس الناصر المعسكري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، دراسة وتحقيق: بوركبة محمد، أطروحة دكتوراه، قسم الحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2010/2009. ص:214.

[2]) أبو راس الناصر المعسكري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، المصدر السابق، ص:233.

إلى جانب كتاب " طرس الأخبار[1] بما جرى آخر الأربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار، وفي عتوّ الحاج عبد القادر وأهل دائرته الفجار"[2]، يعالج المشرفي فيه موضوع احتلال الجزائر من قبل فرنسا وحيثيات المقاومة من خلال منهج متدرج من سبعة فصول وخاتمة، أراد لكل فصل حدثا خاصا، يحافظ له على عناصر تميّزه وأهميته، فنجده يتحدث عن سبب احتلال الجزائر[3]، ثم كلامه عن سنة احتلال الجزائر وحيثيات المقاومة، واستسلام وهران، ومقاومة قبائل غريس وسكان بايلك الغرب، كما تحدث عن التواجد المغربي وبيعة الأمير عبد القادر، ثم سبب فشل المقاومة الأميرية، وأخيرا الرد على الأمير في نقطتين وهما الهجرة والضريبة، وخاتمة خصّها بشروط الإمامة وأهل الحلّ والعقد[4].

من خلال تلك الفصول يتبين لنا أنّ المشرفي أثناء رحلته في إثبات الذات، كان التشبث بالطموح، وتنامي عوامل الاحباط، وتناقض خلف استحالة نوعية لاثبات الذات المغبونة والمتجددة في سياق المهادنة والتسليم، واستماتة في إنقاذ بقايا الحلم من براثين تىنهيار والصدود، وفقدان الوطن، وجفاء الهجر، وضنك العيش والحرمان من الجاه والتقرير والحظوة، ومسؤولية حياة اسرة، وتحقّظ نخبة

---

[1]) لقد تم تحقيقه من طرف الدكتور حساني مختار، بمخبر المخطواطت بجامعة الجزائر، كما عثرنا على تحقيق آخر كامل بالمغرب في إطار رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ. جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الانسانية 2، بنمسيك، الدرا البيضاء، 2000/1999.

[2]) عبد السلام بن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، مطابع دار الكتاب، الدار البيضاء، دط، ط1965، ج2، ص:460.

[3]) الأهدال الحبيب بن عبد الله، السيف البتار على من يوالي الكفار ويتخذهم من دون الله ورسوله والمؤمنين أنصارا، مخطوط الخزانة العامة، الرباط، ضمن مجموع، ك2441، وو:19-20.

[4]) العربي المشرفي، طرس الأخبار بما جرى آخر الربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار، وفي عتوّ الحاج عبد القادر وأهل دائرته الفجار، دراسة وتحقيق: يوسف اخليص، دبلوم الدراسات العليا، شعبة التاريخ، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الانسانية 2، بنمسيك، الدرا البيضاء، 2000/1999، ص:82.

وطن المهجر، ومحنة الاعتقال...كلّها عوامل تصعيد في اتجاه التعويض النفسي لدى العربي المشرفي. أي تعويض في حقل الفكر.

إنه الحقل الذي اختاره العربي المشرفي لحسم الحرب لصالحه، وكسب جولات المعارك الفكرية التي تشترط يقظة ذهنية، وجرأة نقدية، وتتبعا فكريا دائما. شروط حيثما توفرت كان الانتاج عزيرا.

لقد عالج العربي المشرفي ضمن تأليفه هذا مجموعة من النقاط، منها قضية الأزمة المغربية من خلال التقييم المقارن، وقضية التعليم والعدل الذي هو أساس النماء وهي مقاربة لعصر المشرفي. حيث نجده يحث ولده على ضرورة التعلم:(بحر الوافر)

تَعَلَّمْ يَا بُنَيَّ تُعَطَى عَشْرًا مِنَ الكُنُوزِ بَعْدَ اثْنَيْنِ دُخْرا
مُمَارَسَةُ العُلُومِ فِي كُلِّ وَقْتٍ تُنِيلُكَ غَزَّةً هُنَا وَبُشْرا
وَخَافِيَةُ التَحْصِّيلِ فَاتَّسِمْهَا وَلاَ تَكُنْ مِنْهَا مَلاَّلاً ضَجِرا
مُشَاهَدَةُ خِصَالِ العُلُومِ شَتىَّ مُفَصَّلَةٌ فَخُذْهَا عَنِّي حِكْرا[1]

ثم قضية الاصلاح العسكري ومسألة سيادة الدولة. حيث يقول العربي المشرفي أثناء وفادته على والي مصر محمد علي باشا:" سألني[محمد علي باشا]عن سلطان المغرب، وكان يومئذ مولانا عبد الرحمن ين هشام فقال لي:كم عنده من قبقات في البحر، فقلت له: لا زورق في البحر فضلا عن السفينة، فضلا عن القابق فقال لي: وكم عندخ من نظام[يريد العسكر]، فقلت تركت عنده مائة وخمسين، فقال لي: مائة ألف وخمسين ألفا أو مائة وخمسون رجلا. فقلت له: مائة

[1]) أبو حامد العربي المشرفي، طرس الأخبار، المصدر السابق، ص:79.

وخمسين رجلا، فقال لي: هذه سبع سنين أو خمس سنين منذ سمعناه يكتب النظام..."[1].

إنّ اختيار العربي المشرفي للحقل الفكري لإثبات الذات، اختيار استراتيجي؛ فالاشتغال فيه لا يشترط النسب ولا الحظوة، ولا الجاه والتقدير. إنه حقل الإبداع وتحرير القدرات الذهنية وامتحان مستويات تمثل المسارات المتافعلة، إنه حقل بناء الوعي التاريخي بامتياز. والجدير بالذكر أنّ كتاب طرس الأخبار كان قد شرع في تحقيقه محمد بن أبي شنب في أوائل القرن العشرين[2].

كما يعد كتاب عجائب الأخبار ذات الأخبار والتأسيس فيما وقع أو سوف يقع من الفرنسيس[3] لأبي راس الناصر المعسكري، فرغم اختلاف نسخه إلى أنها تتفقه في جوهرها، وهو ما يشير إليه المهدي البوعبدلي، بقوله:" أن هذا التأليف تختلف كثير من نسخه وإن كانت تتفق في جوهر الموضوع الذي هو شبه مذكرات لرجل عاش في الفترة الأولى من عهد الاحتلال الفرنسي واطلع على نوايا الاستعمار وأهدافه فسجلها بعد ما أفرغها في قالب التكهنات أو التنبؤات"[4]. وهذه فقرات من هذا التأليف:" أما بعد، فإنّ الله تعالى فتح علي بطريق النقل والكشف، ما لم يحصل لغيري بمنه ذي اللطف، فكوشف لي عمّا وقع أو سيقع من الفرنج أهل المكر والخسف. فأردت جمع ذلك في وريقات، ليحصل النفع به في الأحيا

---

[1]) المصدر نفسه، ص ص:64-65.

[2]) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص:407.

[3]) هناك أسماء لهذا التأليف منها: أقوال التأسيس عما وقع أو سيقع من الفرنسيس، وأقوال التأسيس فيما وقع أو سيقع من الفرنسيس، وقول التأسيس مما وقع وسيقع من الفرنسيس.

[4]) محمد بن يوسف الزياني، (مقدمة) دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1978، ص:16.

والممات، وسميت ما جمعت بعجائب الأخبار ذات التأسيس فيما وقع أو سوف يقع للمسلمين مع الفرنسيس"[1].

وقد تناول أبو راس في كتابه عجائب الأخبار ذات التأسيس فيما وقع أو سوف يقع للمسلمين مع الفرنسيس، بعض المباحث الرئيسية منها: التعريف بالجنس الفرنسيس وموقع فرنسا ثم يقع له التخليط بينه وبين الرومان والبيزنطيين، فيذكر غزو الفرنسيس للقسطنطينية، كما يذكر محاربتهم للفاتحين وينسب لهم الاثار الرومانية، ثم يتحدث عن الحروب الصليبية في المشرق فيذكر بعض مدن مصر، وتونس، كما يتحدث بعدها عن هلاك الطاغية(نابليون بونبارت)، لينتقل بعدها إلى الحديث عن محاولة احتلال الجزائر، وظهور الأمير عبد القادر.

والحقيقة أن هذه الرسالة رغم أهميتها؛ فقد اختلف في نسبتها إلى أبي راس الناصر المعسكري، فالمهدي البوعبدلي ينفي نسبتها إليه بقوله:" فالذي نتحققه أن نسبتها للمؤرخ أبي راس مستحيلة، فقد كتبت بعد الاحتلال الفرنسي بمدة طويلة"، كما يورد المهدي البوعبدلي اعتبارات أخرى تؤيد قوله.

ونحن بدورنا نورد اعتبارات نثبت فيها صحة نسبة هذا المصنف لأبي راس الناصر، منها أن عنوان هذا التأليف قد ذكره أبو راس ضمن قائمة تآليفه[2]. والاعتبار الثاني أن هناك عددا من المؤلفات المخطوطة كتبت في فترة معينة ولم تظهر فيها إلى الوجود إلا بعد فترة؛ نظرا لعدة أسباب سياسية واقتصادية واجتماعية. والاعتبار الثالث هو أن محمد بن يوسف نسخ الكثير من مخطوطات أبي راس كالحاوي لنبذ من التوحيد والتصوف والأولياء والفتاوى، وكتاب الكوكب

---

[1]) أبو راس الناصر المعسكري، عجائب الأخبار ذات التأسيس فيما وقع أو سوف يقع للمسلمين مع الفرنسيس، مخطوط خزانة أبي عبد الله شراك، مسجد الشريفية، وهران، و:1و.

[2]) بوعزيز يحي، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1995، ج2، ص ص:236-244.

الدري في الكلام عن الجدري. والاعتبار الرابع والذي هو عبارة عن تساؤل وهو ما الدافع الأساسي الذي يجعل محمد بن يوسف الزياني إلى نسبة مؤلفه(إن كان هذا صحيحا) إلى عالم فاقت شهرته مشارق الأرض ومغاربها، خصوصا وأن الرجل كان يشغل منصب القضاء بالمنطقة.

ومن أهم المؤلفات التي كتبت أيضا خلال تلك الفترة والتي يكاد أن يكون موضوعها واحدا، ألا وهو فتح وهران، والحديث عن سيرة الباي محمد بن عثمان الكبير، كتاب" الرحلة القمرية في السيرة المحمدية"[1] لمؤلفه مصطفى بن زرفة الدحاوي.

ويعد كتاب دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، من المؤلفات المهمة التي تناولت الناحية الغربية، والفتح العظيم لمدينة وهران عام (1206هــ/1792م). الذي كان محل عناية العديد من المتصوفة. حيث خصصه صاحبه لتاريخ مدينة وهران كما يشير إليه العنوان، كما شمل الحديث عن وهران والبايات الذين تداولوا حكمها وأهم الأحداث التي وقعت في عهدهم بكامل القطر.

وميزته هو تحدث المؤلف عن فتح وهران الأخير سنة(1206هــ/1792م)، كما يمتاز التأليف بتعرضه لذكر ثورة درقاوة سنة(1220هــ/1805م)، حيث فصل فيها وعرض أحداثها بصفة جلية، غير متحيز إلى وجه نظر المؤرخين الرسميين الذين خصصوها بتآليف، ولا إلى المؤرخين المنتصرين للثوار الذين سجلوا أحداثها ضمن قصائدهم وأشعارهم،

[1]) الدحاوي، مصطفى بن زرفة، الرحلة القمرية في السيرة المحمدية، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم:2597، يقع في 169 ورقة، مقاس 18.6/25.5، بمعدل 21 سطرا في كل صفحة. مكتمل البداية والنهاية، ذو خط مغربي حسن ومقروء، يتوزع فيه الحبر بين الأسود والأحمر والأصفر.

حيث لم تعط الأهمية البالغة لها، واعتبرت مجرد تمردات وانتفاضات كانت تتجدد من حين لآخر ثم يخبو لهبها[1].

وقد قسّم المؤلف كتابه إلى أربعة فصول، الأول عرّف فيه مدينة وهران، واستقاق الكلمة وما قاله المؤرخون من قديم الزمان، والثاني ذكر فيه تاريخ تأسيسها ومؤسسيها وسبب تسميتها، والثالث خصّه لذكر علمائها وأوليائها من قديم الزمان وخصّ من بينهم دفينها محمد بن عمر الهواري(ت843هـ/1439م)، وتلميذه ابراهيم التازي. أمّا الفصل الرابع فذكر فيه قائمة من ملكها منذ تأسيسها إلى عهد المؤلف، فبدأ بذكر مغراوة وتأسيس إمارتهم، ثم تعرض لنسبهم، وذكر علمائهم وصلحائهم فالعبيدين الفاطمين، ثم المرابطين اللمتونيين. وهذا كله في الجزء الأول وأن أهم ما ذكره هو التعريف بوهران وذكر علمائها القدامى، والمتأخرين، أما من تداولوا على حكمها فهو منقول بنصّه من كتاب عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، والمؤرخ أبو راس الناصر بدوره كان ينقل كثيرا عن ابن خلدون وإن كان كثيرا ما يناقشه[2].

أمّا الجزء الثاني فيعتبره المهدي البوعبدلي على أنه " ممتاز ومفيد، بدأه بالحديث عن الملك أبي حمو موسى الثاني الزياني وعن الخلافات بين ملوك بني زيان وبني مرين ثم تحدث عن الإسبان وموقع بلادهم، وأصل جنسهم وتاريخ احتلالهم لوهران وجميع ملوكهم الذين تداولوا الحكم عندما كانت وهران خاضعة لهم. كما تحدث عن الأتراك وجنسهم إلى تأسيس دولتهم، وترجم للخلفاء العثمانيين

[1]) الزياني محمد بن يوسف، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق: المهدي البوعبدلي، 1979، ش.و.ن.ت، الجزائر، ص ص:11-12.

[2]) دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، المصدر السابق، ص:12.

الذين كانت وهران تابعة لحكمهم، وذكر عروج وخير الدين وتاريخ توليتهم على الجزائر"[1].

كما عقد فصلا للباشوات الذين توارثوا الحكم بالجزائر، وختم بالحديث عن نظام الحكم التركي في الجزائر. وذكر قائمة بايات الغرب الجزائري واحدا واحدا إلا عشرة منهم في فترة قليلة عندما اتخذت مازونة قاعدة للولاية وذلك في سنة(971هـ/1563م). وهو ما يعتبره المهدي البوعبدلي على أنه فراغا بقي للمؤلف عند ترجمته لقائمة بايات وهران. وفي آخر الجزء الثاني عقد المؤلف عنوانا للعهد الفرنسي، فقال:" الدولة التاسعة الفرنسيس ويقال لهم الفرنج والكلام عليهم في سبعة مواضع"[2]. لكنه أنهى تأليفه عند هذا العنوان.

1-1-2 كتابات التاريخ العام:

يعد هذا الصنف من الكتابات لدى متصوفة بايلك الغرب من أهم موضوعات الكتابات التاريخية في تلك الفترة؛ غير أنها ترتيبها في الدرجة الثانية بعد الكتابات المحلية. ولعلّ أبرز تلك الكتابات ما ألفه أبو راس الناصر المعسكري ونقصد بذلك كتاب " زهر الشماريخ في علم التاريخ "[3]، وهو عبارة عن تأليف في التاريخ العام تناول فيه صاحبه قضايا تاريخية من بدء الخليقة إلى البعثة النبوية، كما ضمن موضوعاته عروض وإشارات مهمة عن شمال إفريقية وسكانها الأمازيغيين ومآثرهم.

---

[1]) المصدر نفسه، ص:12.

[2]) المصدر نفسه، ص:13.

3) محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، الفترة المعاصرة 1790- 1930، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة الدراسات الببليوغرافية رقم:1، الرباط، دط، 1990، ج2، ص:42. لدينا نسخة أصلية مصورة من مخطوط "زهر الشماريخ في علم التاريخ" أهديت لنا من طرف الدكتور أبو عبد الله غلام الله عن طريق الشيخ أبي عبد الله شراك فجزاهم الله أجمعين.

لقد حاول أبو راس أن يبرر سبب تأليفه لكتابه لما فيه من " ذكر الأمم الماضين الأقدمين، إلى بعثة خاتم النّبيئيين،...لأنّ أخبار الأوائل ومعرفة أجناس الناس والقبائل، من أهم ما يعتنى به ويدخر[1]...وسمّيته زهر الشماريخ في علم التاريخ"[2].

ومن خلال هذا التأليف يحاول أبو راس اقتفاء آثار ابن خلدون، وإبراز تلقي مؤرخي بايلك الغرب لكتابات ابن خلدون وأعماله، "من حيث كونه مؤلفا ذا بال في التاريخ الثقافي العام"[3]، وكذا من حيث تأثيره في المنجز التأليفي ببايلك الغرب مضمونا واقتباسا ومنهاجا. وتجاوب مؤرخي ذلك العهد بالمناقشة والنقد والتقويم. وذلك من خلال وقوفنا على بعض نصوص هؤلاء المؤرخين لتبيان التلقي الدقيق لمثقفي بايلك الغرب وما مدى تأثيراته في البحث والتأليف في الفترة اللاحقة له.

وقد اشتمل كتابه " زهر الشماريخ في علم التاريخ " على حوالي 19 بابا، تناول خلالها العرب العاربة، والمستعربة، ثم حكام وأنبياء بني إسرائيل، عمارة القدس، ودولة الأسباط العشرة، ثم أفرد بابا خاصا عن الفرس ودولهم العظيمة، ثم دولة اليونان، وملوك القبط وأيامهم، ملك الحبشة باليمن، ثم أفرد بابا خاصا عن البربر، لينتقل إلى الحديث عن الترك وشعوبهم وبلادهم، والكلام عن ذي القرنين والاسكندر ويأجوج ومأجوج، ثم ملوك الأنلس ونسبهم.

ليعرض بابا خاصا عن الحكمة والمؤرخين القدامى والسحرة في الجاهلية، ثم من تولى الملك من النسائ فيما قبل الإسلام، كما يورد أعاجيب البناء قبل

---

1) أبو راس الناصر المعسكري، زهر الشماريخ في علم التاريخ، مخطوط خاص، و:1ظ.

2) زهر الشماريخ في علم التاريخ، المصدر السابق، و:2و.

3) أحمد السعيدي، ابن خلدون في سوس التلقي والتأثير، "مجلة المناهل"، منشورات وزارة الثقافة المغربية، مطبعة دار المناهل، الرباط، سنة 30، عدد85، 2008، ص:65.

الاسلام، ثم ملوك الجاهلية العظام، وأديان الجاهلية وكيفية عباداتهم، ليختم تأليفه بالحديث عن أيام العرب وحروبهم. وأبو راس في تأليفه هذا ينقد ابن خلدون في بعض المسائل التاريخية، ويعد هذا العمل بالنسبة لمتصوفة بايلك الغرب إضافة وإبداع في مناقشتهم لآراء ابن خلدون.

كما أنّ تأليف العربي المشرفي المسمّى " ذخيرة الأواخر[1] والأول في ما يتضمن من أخبار الدول "، وهو تأليف يجمع بين التاريخ العام والرحلة[2]، دوّن فيه المشرفي ملاحظاته عن رحلته[3] من المغرب إلى الجزائر سنة 1878م[4]. ووصف خارطة العالم الإسلامي.

---

[1]) يقع الكتاب في سفرين يوجد بعضه بخط المؤلف بالخزانة الفاسية بفاس لم نقف عليه، وتوجد نسخة ثانية منه بالخزانة العامة بالرباط. ناسخها الفاطمي الصقلي، وتقع هذه النسخة في 58 صفحة. انتهى من تأليفه سنة (1299هـ/1882م)وهي تحت رقم:2659ك. ينظر:ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب، المصدر السابق، ج1، ص:150. وتوجد نسخة أخرى على الميكروفيلم بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم:12456. ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص:183. وقد اشار إلى أنّ ما هو متوفر من كتاب الذخيرة لا يمثل سوى الجزء الثاني من الكتاب، أمّا الجزء الأول فهو مفقود.

[2]) وهو ما دفع بالمؤرخ ابن زيدان إلى تسمية الكتاب بالرحلة الجزائرية عند تقديمه لمؤلفات العربي المشرفي. ينظر: عبد الرحمن ابن زيدان، معجم طبقات المؤلفين، المرجع السابق، ص:403.

[3]) العربي المشرفي، أقوال المطاعين في الطعن والطواعين، دراسة وتحقيق: محمد الأمين البزاز، دكتوراه في التاريخ، شعبة التاريخ، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد الخامس أكدال، الرباط، 2004/2003م، ص:71.

[4]) ونشير إلى أن أحد الباحثين الجزائريين قام بدراسة وتحقيق الجزء الخاص بالجزائر ضمن رسالة ماجستير بكلية أصول الدين بجامعة الجزائر. يراجع: العربي المشرفي، ذخيرة الأواخر والأول في ما يتضمن من أخبار الدول، الجزء الخاص بالجزائر، دراسة وتحقيق: عبد المنعم القاسمي، رسالة ماجستير مخطوطة، كلية أصول الدين، جامعة الجزائر،2001م.

كما أشار محمد المنوني إلى أنّ الحاج محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي(ابن عم العربي المشرفي) هو الذي اقترح على المؤلف تأليف الذخيرة[1]. لقد صنف العربي المشرفي كتابه في ستة أبواب؛ فخصّص الأبواب الأربعة الأولى على عادة المؤرخين القدامى، لتاريخ ما قبل الاسلام منذ آدم عليه السلام، أمّا الباب الخامس فقد أرّخ فيه للغسلام منذ ظهور الدعوة إلى القرن التاسع عشر، متسائلا عن أسباب تراجع المسلمين رغم ما يتمتع به الدين الإسلامي من غنى وتميز مقارنة مع المسيحية، مستشهدا في ذلك بتعدد الزوايا والطرق وبأدبيات التصوف وكتب الطبقات والمناقب.

كما أفرد حيّزا هاما لتاريخ الجزائر[2] وأحوالها خلال حكم البايات، وما طرأ على البلاد بعد الاحتلال الفرنسي من تحولات اجتماعية وتنظيم للشؤون العامة ورخاء اقتصادي، وعند حديثه عن اهتمام الفرنسيين بقطاع التعليم توسع في جرد ابرز علماء زأدباء الجزائر من شيوخه وتلامذته، فقدم تراجم مفيدة عن متصوفة معسكر ووهران وتلمسان[3] الذين هاجر معظمهم إلى المغرب.

كما عرّف بأقاليم المغرب الأوسط البحرية منها والجبلية والصحراوية وواحاته المشهورة واصفا طباع سكان كل منطقة ومميزاتها الفلاحية وعلمائها ومآثرها. وفي إطار حديثه عن البلدان الاسلامية من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق، تطرّق إلى بلاد مصر[4] وأشهر مدنها القاهرة والإسكندرية، فوصف مواقعها الجغرافية ونبذة عن تاريخ تأسيسها وعمرانها ومساجدها والمآثر الفرعونية بالجيزة وأسوان، وتحدث عن إلتقائه بحاكم مصر محمد علي باشا اثناء

---

[1]) محمد المنوني، المصادر العربية، المرجع السابق، ج2، ص:91.

[2]) العربي المشرفي، ذخيرة الأواخر والأول، المصدر السابق، ص:23.

[3]) العربي المشرفي، ذخيرة الأواخر والأول، المصدر السابق، ص:78.

[4]) المصدر نفسه، ص:51.

إقامته بمصر في طريقه إلى الحج سنة(1265هـ/1849م). ثم انتقل إلى الحديث عن بلاد الشام والحجاز واليمن وبعدها بلاد الرافدين وبلاد فارس متوقفا عند وصف أهم المراكز الحضارية لتلك البلدان مثل دمشق وحلب وبغداد والكوفة والأهواز وصفد وحضرموت وصنعاء.

وواصل حديثه عن بلدان من آسيا كالتبت والصين والهند، قبل العودة إلى الحديث عن حدود المغرب الجنوبية(بلاد السودان الشرقية والغربية) والشمالية(بلاد الإفرنج)، حيث ذكر أراضي الإفرنج الذين سيطروا على معظم جزر البحر المتوسط كصقلية وقبرص بل تمادوا إلى احتلال الجزائر، وتحدث عرضا عن بلدانها كبلاد الألمان واليونان والبلقان وبلغاريا وإيطاليا مشيرا على مدنها الشهيرة مثل باريس ومرسيليا وروما وجنوة والبندقية، وختم عرضه بذكر بلاد الترك وعاصمتها القسطنطينية بمعالمها ومآثرها الكبرى[1].

أمّا الفصل الأخير فقد خصّصه المشرفي إلى التعريف بأقاليم المغرب الأقصى ومدنه، ليبدأ حديثه بوصف بلاد سوس الأقصى المشهورة بإنتاج السّكر وأشهر حواضرها كتارودانت وأغمات، وفي معرض حديثه عن معالم هذه المنطقة أشار إلى وساطة أبي علي الحسن التمكدشتي بين القائد محمد الكندافي والسلطان مولاي الحسن. ثمّ انتقل إلى الحديث عن مراكش وسجلماسة وأهل درن ومكناس ليصل إلى وصف مدينة فاس، حيث اسهب في ذكر حرفها وخيراتها ومساجدها والترجمة لأعلام فقهائها، أمثال محمد الصنهاجي وأحمد البلغيثي وعبد الواحد ابن المواز وعبد الرحمن الشرفي وعبد الواحد بن سودة والمأمومن الكتاني وغيرهم[2].

---

[1]) العربي المشرفي، ذخيرة الأواخر والأول، المصدر السابق، ص:95.

[2]) المصدر نفسه، ص:103.

لينتقل بعدها إلى وصف مدن الإقليم الشمالي كالعرائش وأصيلة وسبتة وتطوان، وعرض إلى الحديث عن مدينة وجدة قبل أن يعود إلى الجنوب، ليتحدث عن بلاد شنقيط وذرية الشيخ الكنتي وزاوية القنادسة، وختم هذا الفصل بالحديث عن مدينة فكيك والتعريف بعالمها ابن عبد الجبّار الفكيكي[1].

2- كتب النسب والتراجم:

تعتبر كتب النسب والتراجم من أكثر أنواع الكتابات الأدبية نظرا لارتباطها بالتاريخ؛ حيث تكمن الأهمية التاريخية لكتب النسب والتراجم في كونها لا تخلو "من استطرادات تتعلق بجوانب من حياة البلاد الداخلية، وكذا علاقتها الخارجية"[2]. فنجد معلومات مهمة تتعلق بالمجتمع والعمران، والظواهر الطبيعية كالزلازل والأوبئة والمجاعات...بالإضافة إلى أنها تمدنا بمعلومات سياسية مهمة وغالبا ما نصحح بها بعض الأخطاء التي ترد في كتب الحوليات السياسية، وذلك لارتباط كتب التراجم أكثر بحياة الأشخاص.

وتبرز عناية المتصوفة بمسألة الأنساب، وتعدد الكتابات حول الأشراف، التي عادة ما كانت تتناول فوائد علم النسب، وفضائل أهل البيت الشريف، بما ورد في الكتاب والسنة والآثار، وحكايات عما ينتج عن الإحسان إليهم من الخيرات والمكرمات، وما ينال من الثواب والأجر بعد الممات، ثم تنتقل إلى ضبط أنساب الشرفاء، ورصد فرقهم، ومواضيع استقرارهم وبعض أخبارهم. كما نجد من المتصوفة ممن يؤكدون على صحة النسب الشريف، حتى تكون لديهم الشرعية في جميع ما يقومون به من أعمال وطقوس، وحتى يربطون الفروع بالأصول.

---

[1]) المصدر نفسه، ص:104.

2) مارية دادي، كتب التراجم، نشأتها وتطورها من القرن الثاني إلى القرن الثاني عشر الهجريين، متنوعات حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1998، ص:315.

1-2 أهمية كتابة النسب والتراجم خلال القرنين (11_12هـ/17_18م):

تعد كتب النسب والتراجم دليلا واضحا وصريحا عن صور التعبير التاريخي، لأنها تضم بين دفتيها معلومات تاريخية ثمينة لكونها معلومات غير مقصودة في حد ذاتها؛ بل تأتي عرضا أثناء الترجمة لشخصية ما. لذلك فكتب التراجم أقرب إلى الصدق والاعتدال من الإخباريين. كما تعد مصدرا مهما من مصادر الذاكرة التاريخية إلى جانب كتب التاريخ.

وقد تطورت الكتابات التاريخية متماشية مع تطور الدولة الإسلامية؛ حيث تطور معها فن كتابة التراجم خاصة منذ القرن السابع الهجري، وبذلك تعددت دوافع التأليف بتعدد المؤلفين وبالتالي تشكلت المناهج تبعا لتلك الدوافع، وهو ما جعلها تنقسم إلى قسمين: كتب تراجم عامة تعرّف بأصناف متعددة من الناس في فترات زمنية مختلفة، وكتب تراجم خاصة تعنى بالتعريف بأعلام زمن محدد، أو بلد معين، أو منطقة معينة أو فن من الفنون، أو مذهب من المذاهب، أو...كما تتحكم في هذه الترجمة عدة دواع منها عامة وأخرى خاصة، حيث تختلف من مؤلف لآخر[1].

وتكمن الأهمية التاريخية لكتب التراجم في كونها تضم بين دفتيها معلومات تاريخية ثمينة لكونها معلومات غير مقصوة في حد ذاتها، بل تأتي عرضا اثناء الترجمة لشخصية من الشخصيات. لذلك فكتب التراجم أقرب إلى الصدق والاعتدال من الإخباريين، لأنهم لم يكونوا مدفوعين بحافز الحصول على هبات من الأسر الحاكمة، أو صلات من الشخصيات التي يترجمون لها[2].

---

[1]) مارية دادي، كتب التراجم، المرجع السابق، ص ص:315- 321.

[2]) ليفي بورفنصال، مؤرخو الشرفاء، تع:عبد القادر خلادي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، دط، ط1977، ص:46.

ويبرز اهتمام متصوفة بايلك الغرب بهذا النوع من الدراسات من خلال مصنفاتهم التي تركوها، كشاهد عيان عن تلك الحقبة التاريخية من العهد العثماني. ولتأثرهم الشديد بشيوخهم في علم الظاهر والباطن. ونظرا لمكانة هؤلاء في نفوس متصوفة بايلك الغرب، خصوصا وأن فترة القرنين 17و18م(11-12هـ)، تعد فترة بروز عدد لا يستهان به من المتصوفة الشيوخ والعلماء. إلى جانب عامل نراه مهم جدا وهو عامل التفاف السلطة العثمانية حول هؤلاء المتصوفة. ممّا دفع بالمتصوفة إلى الرغبة الجامحة في تقليد شيوخهم ومدرسيهم.

وممّا تجدر الإشارة إليه أن علماءنا من قبل قسموا كتب التراجم إلى نوعين بارزين، هما كتب التراجم الخاصة والعامة، حيث تنقسم الخاصة بدورها إلى ثلاثة أصناف، وهي كتب التراجم الخاصة بزمن معين، والخاصة بمكان معين، الخاصة بصنف معين. ثم تليها كتب المناقب.

2-2 اهتمامات متصوفة بايلك الغرب بالنسب والتراجم:

أفرزت الحقبة الممتدة ما بين القرن السابع عشر والثامن عشر الميلاديين(11-12هـ) إنتاجا معتبرا نوعا ما، يضم بين طياته معلومات قيمة تذكر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ما عرفه بايلك الغرب من أحداث فكرية واجتماعية وسياسية[1].

2-2-1 كتب الأنساب:

من بين المؤلفات التي تناولت موضوع الأنساب نذكر على سبيل المثال لا الحصر: عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس، لعبد الرحمن بن

---

[1] هلال عمار، "العلماء الجزائريون في البلدان العربية الاسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين"، (3-14هـ)، ديوان المطبوعات الجامعية،(الجزائر)، 1995، ص ص:172-173.

عبد الله التوجيني[1]، والذي تناول فيه صاحبه أنساب عدد من المتصوفة والأولياء. مثل:عبد الله بن عبد الرزاق[2]، علي بن عبد الجبار الفجيجي[3]، عبد القادر بن أحمد بن محمد بن عبد القوي[4]، عبد الرحمن بن علي بن عثمان ابن راشد[5]، علي أبو الحسن الشريف[6]، يوسف بن علي بن عامر[7]، عثمان بن عمر[8]، عثمان بن زيان الصنهاجي[9]، محمد بن محم بن يعقوب[10]، أبو موسى الشريف[11]، ويعده بعضهم من بين المصادر التي أرخت للأشراف ببايلك الغرب[12].

---

[1]) ترجمه إلى الفرنسية السيد (غان)، ونشره في المجلة الإفريقية سنة 1891م من الصفحة 241 إلى 280. كما تم تحقيقه من طرق دار الخليل القاسمي الجزائر 2005.

[2]) عبد الرحمن بن عبد الله التوجيني، عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2005، ص:12.

[3]) المصدر نفسه، ص:13.

[4]) عبد الرحمن التوجيني،عقد الجمان النفيس فس ذمر الأعيان من أشراف غريس، ص:14.

[5]) المصدر نفسه، ص:15.

[6]) عبد الرحمن التوجيني،عقد الجمان النفيس فس ذمر الأعيان من أشراف غريس، ص:17.

[7]) المصدر نفسه، ص:19.

[8]) المصدر نفسه، ص:20.

[9]) المصدر نفسه، ص:22.

[10]) المصدر نفسه، ص:23.

[11]) المصدر نفسه، ص:23.

[12]) Houari Touati, Prestige Ancestral Et Systeme Symbolique Sharifien Dans Le Maghreb Central Du XviiE Siècle, Journal Arabica, T39, 1992, PP:1-24.

أمّا عن غرضه لتأليف مصنفه فيقول:" سألني بعض الإخوان من أبناء الزمان، أن أضع لهم تأليفا، أذكر فيه من توطن أرض غريس من الأشراف، وثبت له أنه من ذريته ρ بلا اختلاف، لتحي به بعد الدثور الأنساب"[1].

ويعد هذا الكتاب مرجع العديد من الباحثين والمهتمين بالأنساب، فهو يقدم لهم معلومات وإشارات تاريخية مهمة قلما نجدها في كتب التاريخ. من هنا جاء اهتمام المتصوفة بهذا الكتاب، الذي يعد وثيقة نادرة في مجال الأنساب والأشراف.

كما أن تقييد لقطة العجلان في شرف عبد القادر بن زيان لأبي راس الناصر المعسكري، يعد هو الآخر وثيقة هامة في تبيان النسب الشريف من عدمه. فهو عبارة عن رسالة موجهة إلى العالم عبد القادر بن زيان المعاصر له، وتبيان وتحقيق نسبه، وأنه من بني زيان ملوك تلمسان، وأما عن غرضه من تأليفه لهذا المصنف يقول:" إني أبيّن لك في هذه النبذة بعض أشراف بني زيان...سيدي زيان"[2]. فهو يعكس شخصية المؤرخ والنسابة؛ الجامع بين التاريخ والنسب من جهة وبين التاريخ والأدب من جهة ثانية.

ويحوي هذا التقييد بعض الإشارات التاريخية الخاطفة والمهمّة عن ملوك بني عبد الوادي وملوك بني زيان. فتعرض إلى نسبهم وشيء من تاريخهم وملوكهم. حيث يقول:"اعلم أن بني عبد الوادي[3] الذين منهم أشراف بني زيان،

---

[1]) عبد الرحمن بن عبد الله التوجيني، عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس، ص:7.

[2]) أبو راس الناصر المعسكري، لقطة العجلان في شرف عبد القادر بن زيان، وأنه من بني زيان ملوك تلمسان، مخطوط حزانة أبي عبد الله شراك، مسجد الشريفية، وهران، و:2ظ.

[3]) العبد الوادي (000–629هـ=000–1232م) جابر بن يوسف بن محمد بن جدان، من بني عبد الوادي: مؤسس الدولة العبد الوادية في تلمسان، كان مقيما مع عشيرته على مقربة منها، وأساء إليهم واليها الحسن ابن حيان الكومي فاعتقل رؤساءهم، وشفع بهم إبراهيم بن إسماعيل الصنهاجي (شيخ مترجلة لمتونة) فرد الوالي

كانت مساكنهم قبل القرن السابع قبلة تلمسان[1] وشيخهم إذ ذاك جابر بن يوسف العبد الوادي ابن عمّ زيان، وكان ملك المغرب لبني عبد المؤمن من الموحدين تلامذة المهدي بن تومرت[2] الشريف والخليفة، منهم المأمون إدريس بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن"[3].

كما تعرض إلى ذكر نسب بني زيان والإشارة إلى بعض تواريخهم والتنويه بملوكهم وأمرائهم مع ذكر السنة والقرن، وذكر سلسلة نسب بني زيان ملوك تلمسان ورفعهم إلى عمود النسب الشريف. حيث نجده يقول:" وأما نسب بني زيان منهم، فقال التنسي رحمه الله في كتابه الدر والعقيان في شرف بني زيان في ذكر نسب من ألف فيه ذلك ونصه:" هو مولانا أبو عبد الله محمد بن مولانا محمد بن أبي ثابت بن أبي تاشفين بن عبد الرحمن بن أبي حمو موسى ابن يوسف بن عبد

شفاعته، فجمع إبراهيم قومه وقتل الوالي وأطلق بني عبد الوادي وخلع طاعة الموحدين، الزركلي، الأعلام، ج2، ص:105.

[1]) تلمسان: مدينة عظيمة قديمة فيها آثار للأول كثيرة تدل على أنها كانت دار مملكة لأمم سالفة، وبينها وبين وهران مرحلتان وهي في سفح جبل أكثره شجر الجوز...وقد كانت دار مملكة زناتة في هذه العصور القريبة وحواليها قبائل كثيرة من زناتة وغيرهم من البربر، وهي كثيرة الخصب والرخاء كثيرة الخيرات والنعم،...ولها خمسة أبواب ثلاثة منها في القبلة: باب الحمام وباب وهيب وباب الخوخة وفي الشرق باب العقبة وفي الغرب باب أبي قرة، وفيها بقية من النصارى ولهم بها كنيسة معمورة. محمد بن عبد المنعم الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط2، 1980، ص:135.

[2]) المهدي بن تومرت: (485-524هـ=1092-1130م) محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي البربري، أبو عبد الله، المتلقب بالمهدي، ويقال له مهدي الموحدين: صاحب دعوة السلطان عبد المؤمن بن علي ملك المغرب، وواضع أسس الدولة المؤمنية الكومية، ولد ونشأ في قبيلته، ورحل إلى المشرق، طالبا للعلم (سنة 500هـ) فانتهى إلى العراق. الزركلي، الأعلام، ج6، ص:228.

[3]) المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن الكومي، أبو زكريا، المعتصم بالله: من ملوك الدولة المؤمنية بالمغرب الأقصى، بايع له الموحدون بمراكش، بعد أن خنقوا عمه العادل (عبد الله بن يعقوب) ونكثوا بيعة عمه الثاني المأمون (إدريس ابن يعقوب) سنة 624 هـ. الزركلي، الأعلام، ج8، ص:165.

الرحمن بن يحي بن يغمراسن بن زيان ابن ثابت بن محمد بن زيدان بن يندوكسر بن طاع الله بن علي ابن يمل بن يزدجن بن القاسم. ويواصل أبو راس الناصر قوله:" ومن القاسم هذا تنسل جمهور بني عبد الوادي، وهم بنو طاع الله[1] وبنو دلول[2]، وبنو مطهر[3]، وبنو وعزان[4]، وبنو معطي وبنو ضمني.

وتبرز أهمية كتاب " لقطة العجلان" كونه يتعلق بتاريخ بايلك الغرب؛ من حيث ذكر نسب وشرف بني زيان ملوك تلمسان؛ ونظرا لاعتماد مؤلفه على بعض أمهات المصادر المختلفة التي تخدم موضوعه، وبالتالي حفظ لنا مادة لا يستهان بها في هذا النوع من المواضيع، التي قلما تتعرض لموضوع حفظ عمود نسب ملوك بني زيان ملوك تلمسان.

وخلاصة القول أن كتاب لقة العجلان لأبي راس الناصر المعسكري؛ يعتبر مصدرا مهما للباحثين والمهتمين بتاريخية نسب بني زيان ملوك تلمسان؛ إذ أنه يحفل بمادة تاريخية كبيرة ذات أهمية بالغة في تاريخ العهد العثماني بالجزائر، اقتبسها المؤلف من أهم المدونات التاريخية مثل كتاب الدر والعقيان في شرف بني زيان للتنسي، وتاريخ العبر لابن خلدون. فهو إذن إضافة تاريخية تثري الموروث التاريخي لتلمسان الحاضرة العلمية. وتزداد أهمية هذا المخطوط أكثر إذا علمنا بأنّ المؤلف أحد النسابة الكبار؛ والمهتمين بهذا الفن قديما وحديثا، كيف لا وهو الذي ألف في نسب وأرهاط الجان.

---

[1]) أنظر:ابن خلدون، تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج7، ص:73.

[2]) المصدر نفسه، ج7، ص:73.

[3]) المصدر نفسه، ج7، ص:75.

[4]) المصدر نفسه، ج7، ص:150.

وما يمكن التنبيه إليه هو أنّ اهتمام المتصوفة بالأنساب تحول من الاعتناء بالسلالة والقبيلة إلى بحث تاريخ الأفراد والأسرة من حيث القرب أو البعد عن النبي ρ، وهذا ما أدى بطبيعة الحال إلى تحويل الهدف بالاعتناء بالأنساب من المحافظة عليها إلى الدفاع عنها على أساس القداسة والبركة[1].

ومن المؤلفات أيضا والتي اهتمت بعلم الأنساب كتاب " الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية" لصاحبه محمد بن علي السنوسي الخطابي". لأن سجل الأنساب هو امتداد للوثيقة القانونية أي امتداد للرسم العائلي(الحالة المدنية)، ويبدو أن هذا التأليف يعكس رغبتين متقاطعتين، رغبة السلطة القائمة في إحصاء الشرف والشرفاء، نظرا لما يترتب عن ظاهرة الشرف من إفاءات وامتيازات، ورغبة الشرفاء في تأكيد الأصول والاحتماء من الدخلاء.

وكتاب الدرر السنية مهم جمع فيه محمد بن علي السنوسي، زبدة نافعة من أخبار من ملك بلاد المغرب من سائر الأشراف وغيرهم، وعلى أول ما فتح من المغرب في خلافة عثمان بن عفان τ، ثم ذكر فتوح عقبة بن نافع وغيره على سبيل الاختصار النافع، ثم أشبع الكلام على دولة الأدارسة وفروعهم في البلاد المغاربية، وما جددوه من الدين فيها، وذكر سبب موت إدريس الأكبر، وسبب موت نجله إدريس الأصغر باني مدينة فاس.

ونلمح غرضه من تأليف كتابه هذا جليا، من خلال قوله:"...كهذه الرسالة الموضوعة في نبذة سريعة من أحوال بني صاحب الرسالة ذوي الفضل والحلالة والعلا حائزي قصب السبق في كل ملا المسماة " بالدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية"، وما في حكمها من السادات العلوية ممن له ولاية ودولة في الأقطار المغربية مشتملة على مقدمة وست دول:الدولة الأولى الفاسية وما في إيالتها،

---

[1]) القادري محمد بن الطيب، التقاط الدرر، تح: هاشم العلوي القاسمي، بيروت، 1978، ص ص:193-194.

الثانية: التلمسانية وما في نواحيها، الثالثة: الغمارية وما في حكمها، الرابعة: السبتية وما في حكمها، الخامسة: الأندلسية وما في حكمها، السادسة: الصحراوية وما في حكمها"[1].

وقد أبان محمد بن علي السنوسي مسائل تاريخية مهمة، لينتهي بخاتمة مختصرة ذكر فيها الخلفاء الأربعة ثم ذكر الحسن السبط بن علي رضي الله عنهما، كما ذكر بعدها خلفاء بني أمية نثرا ونظما، كقوله:(البسيط)

أولهم سيدنا معاوية بويع في (ما)بأول ماية
ثم معاوية ابنه تلا (قيب) من الأيام قد تجلا
ملك سليمان بن عبد الملك عاش به مع سبع (وكذا) قد حكى[2]

ثم أتبعهم بخلفاء بني العباس كذلك نثرا ونظما. من ذلك قوله:(البسيط)

في عام (قاب) منهم قد وليا سفاحهم وفي (لز) توفيا
وبعده المنصور مات في (خنق) وبعده المهدي إلى ابنه (طق)
من شرّه إدريس كان هاربا بنفسه لما توفي المغربا
ثم ابنه موسى ومات في (عسق) وبعده هارون الرشيدي بقى[3]

وبالجملة فهو كتاب تاريخ وكتاب علم نافع من صاحبه الذي يعد من المتصوفة الأعلام. وأمام نسيج المضامين، يتضح لنا أنّ السنوسي يبرز قضية جوهرية تخص النسابة المهتم بعلم الأنساب وعلاقته بالسلالة الإدرسية، فهو يتبرك

---

[1]) السنوسي محمد بن علي الخطابي، الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، مطبعة وزارة الإعلام والثقافة، ليبيا، 1968، ص:9.

[2]) السنوسي محمد بن علي الخطابي، الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، ص:175.

[3]) المصدر نفسه، ص:181.

في البداية بذكر السلالة الادريسية ويحصي فروعها وأسرها، ثم يترجم لعدد من رجالات البيوتات المذكورة، إذ أن الحسب يرافق النسب.

وفي نهاية بحثه يختم السنوسي كتابه، مبرزا تاريخ الفراغ من نسخه، حيث يقول:" وكان الفراغ من كتابة هذا الكتاب الجليل بعد مغرب ليلة الجمعة رابع ذي الحجة من سنة ثلاث وتسعين بعد المائتين والألف من هجرة من له العز والشرف"[1]. وهي عادة المتصوفة في جميع مؤلفاتهم مراعين في ذلك أمانتهم العلمية.

ومن بين المؤلفات الهامة التي دونت حول قضية النسب، تقييد العربي المشرفي المسمى" الرد على أبي راس الناصر"، فهذا التقييد يدخل ضمن الردود والاعتراضات، حيث رد به المشرفي على أبي راس الناصر، الذي نفى عن المشارفة نسبتهم إلى النسب الشريف، ضمن مؤلفه " مروج الذهب في نبذة من النسب، ومن انتمى إلى الشرف وذهب"[2].

يتضح من خلال هذا التقييد وقراءة محتواه، أن المشرفي أفرد حيزا هاما عن التعريف بأسرة المشارفة وعلمائها، والرد على من طعن وشكك في صحة نسبتهم للجناب النبوي مثل الشيخ أبو راس الناصر. ونجده يفتتح بقوله:" يقول أفقر العباد إلى مولاه العلي، أبو محمد العربي بن علي المشرفي الحسني، كان الله له آمين...الحمد لله الذي شرف هذه الأمة المحمدية بأشرف الحلل". وختمه بقوله:"

[1]) الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، المصدر السابق، ص:112.

[2]) توجد نسخة من هذا المخطوط بخزانة مخطوطات الخزانة العلمية بالمسجد الأعظم بتازة تحت اسم: رسالة في نسب بعض أشراف الجزائر لأبي راس الناصر المعسكري"، تحت رقم:3/261. يقع هذا المخطوط في أربع ورقات، قياس14.5/21.5، مسطرة37، به تاريخ النسخ في 10 ربيع الثاني1263ه. ينظر: عبد الرحيم العلمي، فهرس مخطوطات الخزانة العلمية بالمسجد الأعظم بتازة، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، الرباط، 2002، ج2، ص ص:718-719.

وقد كان ذلك مني في غرة ذي القعدة الحرام سنة 1292هـ[1]. وفانا الله خيرها ورزقنا بمنه خيرها آمين آمين"[2].

وبعد تلك المقدمة الطويلة، يبدأ المشرفي كلامه بثنائه على أسرة المشارفة، منوها بقدرها ومكانتها عند الحكام العثمانيين، حيث ذكر في هذا الصدد توليهم لمنصب القضاء في أيامهم، إذ يقول:"فعلماء المشارف هم سيوف تلك الدولة، وتحفة تلك العصابة، وقضاة إيالتها، وإليهم المرجع في الحل والربط، والإتقان والضبط، يحلون ويبرمون، ويقرون الضيف ويُكرمون"[3].

بعدها ينتقل الحديث عن أصل الأتراك، حيث وصفهم على أنهم من أتباع أبي حنيفة النعمان صاحب المذهب المشهور، وذكر بعض الأحاديث الواردة في حقهم، مثل حديث " أتركوا الأتراك ما تركوكم"[4]. ليعرج بعدها الحديث عن حربهم مع الروس في حروبهم القرم، وعن احتلال الجزائر زمن السلطان العثماني محمود الثاني، وكذا مبايعة ابنه عبد المجيد بعد وفاته"[5]. ليعود مجددا إلى الحديث عن علماء الأسرة المشرفية، حيث تناول بالحديث كلا من عبد القادر المشرفي وابنه الطاهر، وهذا الأخير أثنى عليه ثناء حسنا، وذكر مزيته وفضله عند الحكام الأتراك، حسب ما شاهده زمن قراءته بوهران.

---

[1]) ما يوافق سنة 1877م

[2]) العربي المشرفي، الرد على أبي راس الناصر، ص:1.

[3]) المصدر نفسه، ص:2.

[4]) السيوطي جلال الدين، سنن النسائي بشرح جلال الدين السيوطي، دار الحديث، القاهرة، 1987، ج6، 301. رقم:194. والحديث مرفوع، لأن إسناده ابن سكينة وهو ضعيف.

[5]) العربي المشرفي، الرد على أبي راس الناصر، ص ص:2-4.

كما ينتقل بعدها إلى الحديث عن شيخه بن عبد الله سقاط المشرفي، وفي معرض كلامه عنه، ذكروفادته إلى سلطان المغرب عبد الرحمن بن هشام، من طرف الأمير عبد القادر، وينهي حديثه هذه المرة عن الشيخ عبد القادر المشرفي أيام الباي محمد بن عثمان الكبير"[1]. لينتقل بعدها إلى الحديث عن لب الموضوع هو الرد على أبي راس الناصر، الذي طعن في نسب المشارفة ونفى نسبتهم المتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم. حيث يقول:" أما علمتم أن الشيخ أبا راس رحمه الله وسامحه، كان إماما عالما نفاعا مطاعا، شيخ الجماعة والإسلام بحاضرة معسكر، متوليا خطة القضاء بها، مدرسا بجامعها الأعظم...ُثم إن النفس الأمارة بالسوء، حملته على أن تكلم في المشارف، وفي أولاد سيدي دحّ بن زرفة، وفي كل من له شرف ديني أو طيني من أهل غريس، ونفى نسبتهم للجناب النبوي"[2]، مؤكدا على أن من تكلم في نسب المشارفة مثل الشيخ أبي راس الناصر، فإنما تكلم من جهة الحسد لا غير، والحاسد يريد إطفاء نور الله، مصداقا لقوله تعالى:" يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون"[3].

كما نلاحظ أن المشرفي يستطرد كثيرا في ذكره لصحة نسب المشارفة، وأورد أنها مسطرة في كتب التاريخ رغما عن أنف الحاسدين، مستدلا بما ذكره ابن جزي الكلبي في مختصر نسب آل عدنان، وابن الجوزي المزيلي في كتابه فتح الرحمن على شرح عقد الجمان النفيس.

---

[1]) العربي المشرفي، الرد على أبي راس الناصر، المصدر السابق، ص:11.

[2]) المصدر نفسه، ص:12.

[3]) سورة التوبة، الآية:32.

وفي السياق ذاته يورد المشرفي مجموعة من القصائد لبعضهم، مثل قصيدة الشيخ مصطفى الرماصي في رثاء شيخه عمرو التراري والتي جاء في مطلعها:(الطويل)

خليلي عوجا بي على طلل عفا   معالمه قد غيرت ومعاهده[1]

وهي قصيدة نسجها على منوال أبي حيان التوحيدي حيث يقول:(الطويل)

هو العلم لا كالعلم لا شيء تراوده   لقد فاز باغيه وأنجح قاصده[2]

فهو يبرز ويؤكد على مكانة علماء الأسرة المشرفية، وعلو شأنهم وشأوهم، منبها على أن من سبّ ذرية النبي صلى الله عليه وسلم هو لا محالة خارجي، مستدلا بما ذكره البخاري في باب قتال المسلم، بالأبيات التالية (الرجز)

من سب آل رسول الله   فهو عدو وكافر بالله
يقتل شرعا باتفاق العلماء   إن لم يتب من قوله ويندما
ولا يصلي خلفه فرد ولا   يجوز في شهادة إن نزلا
إن مات عند الناس لا يكفن   وفي قبور المشركين يدفن
مبغضهم يموت كافر ذليل   ولا ينال رحمة من الجليل[3]

كما يؤكد المشرفي على أن الشرف الرفيع معرض دائما للقيل والقال والأذى مستشهدا بقول المتنبي(الكامل)

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى   حتى يراق على جوانبه الدم[4]

---

[1]) العربي المشرفي، الرد على أبي راس الناصر، ص ص:19-25.

[2]) المصدر نفسه، ص ص:25-26.

[3]) العربي المشرفي، الرد على أبي راس الناصر، ص:34.

[4]) المصدر نفسه، ص:36.

وما يلاحظ على هذا التأليف هو تطرق المشرفي في معرض رده على أبي راس عن مواضيع أخرى مثل أصل زناتة، وتاريخ بناء مدينة فاس وتاريخ المرابطين، والموحدين، وبني مرين، والسعديين، ثم العلويين الذين عاش في كنفهم، كما حدد لكل دولة منها مدة حكمها. كما تحدث عن أصل البربر وتاريخ دخولهم الإسلام، ليختم كلامه بما يلي:" وهذه مبيضة عجالة، ألفها كاتبها مسؤولة منه لسائلها، سطرتها أيدي الأقلام، معتذرا فيما سطرت لخاصة الأعلام، أن يغضوا عني الطرف..."[1].

وعموما فإن هذا التقييد يعد من نوادر ما ألف المشرفي في باب الردود، خاصة عندما يتعلق الأمر بالشيخ أبي راس الناصر، وتجدر الإشارة إلى أن هذا التقييد الذي ألفه المشرفي في تسعة عشر ورقة، لم نجد له ذكرا في كتب الفهارس، ولم يذكره المشرفي في حد ذاته ضمن قائمة مؤلفاته في الذخيرة.

2-2-2 كتب التراجم:

ومن تلك المؤلفات التي تناولت موضوع التراجم نذكر: كتاب "فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته" لأبي راس الناصر المعسكري وهو عبارة عن ترجمة ذاتية صنفها صاحبها في خمسة أبواب، حيث وزع بينها الحديث بإسهاب عن ابتداء أمره وشيوخه ورحلاته بالمشرق والمغرب، ثم أجوبته وأهم مؤلفاته، وبمناسبة زيارته لفاس يسجل صفحات ناصعة عن ازدهارها العلمي، ومناظرته مع علمائها، ومع السلطان أبي الربيع[2].

---

[1]) المصدر نفسه، ص:38.

2) محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، الفترة المعاصرة 1790-1930، منشورات كليــة الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، المغرب، ج2، ص:43.

إن وصف أبي راس الناصر لبعض المدن العربية التي زارها، تنم عند عن ذلك الوصف الدقيق الذي يصوره للقارئ، وفق رؤية علمية تدعو المتمعن في تلك الرحلة، استقراء كنهها، ومعرفة حيثياتها. وأبو راس عند قيامه بتلك الرحلات يغتنم فرصة إمعان النظر والملاحظة فيما حوله، بغية استحضارها واستعمالها في يوم ما للاستشهاد بها. وهنا تبرز حافظته القوية. فرحلاته العديدة والتي قادته إلى مدن عدة؛ منها زيارة فاس مثلا، حيث يصفها على أنها:" محل العلم والإيناس، والتقريب والتبعيد لأناس، وهي قبة الإسلام والسلم والاستلام، المقام الأعلى والمثابة الفضلى، فهي أم قرى المغرب الوافرة"[1].

كما هو معلوم فإن أبا راس أثناء رحلاته لتلك المدن؛ فإنه يقوم بمناظرات بين علماء وشيوخ عصره، داخل البلاد وخارجها وجهت له خلالها عدة أسئلة؛ فمثلا وهو بمكة المكرمة:" سئل عن أبي طالب أحد رجال طريقة الصوفية، لم يقال له المكي؟ فأجبت: بأنه لم يكن من أهل مكة، وإنما هو من أهل الجبل وفيه مدن بين أذربيجان[2] وعراق العرب وخوزستان إلى جانب بلاد فارس وبلاد الديلم، لكنه سكن مكة فنسب إليها وبها توفي في جمادي الأخيرة سنة ست وثمانين وثلاثمائة. كان من العلماء الصالحين والمشايخ الكاملين"[3].

---

1) أبو راس الناصر، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تح: محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص:15.

2) أذربيجان: هي كورة تلي الجبل من بلاد العراق وهي مفتوحة الألف وتلي كور أرمينية من جهة المغرب، ينسب إليها أذربي. والله لتتخذن نضائد الديباج وستور الحرير ولتألمن النوم على الصوف الأذربي كما يألم أحدكم النوم على حسك السعدان، يشير إلى ما كان من الاتساع في الدنيا. عبد المنعم الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط2، 1980، ص:20.

3) أبو راس الناصر، فتح الإله ومنته، ص ص:144-145.

وعن مناظرته مع السلطان أبي الربيع، أنه سئل عن حد المغرب الأقصى، فأجاب بقول ابن خلدون: حدّه وجدة، وجدّد ذلك الحد أول القرن الثاني عشر مع جدك السلطان مولاي إسماعيل وأتراك الجزائر"[1].

وممّن اهتموا بهذا الفن أيضا أبو حامد العربي المشرفي من خلال كتابه "ذخيرة الأواخر والأول فيما ينتظم من أخبار الدول"[2]، وإن كان هذا الكتاب يندرج ضمن كتب التاريخ العام إلى أنه يعد ترجمة ذاتية لصاحبه ولبعض علماء من عاصروه؛ حيث ضمنه الحديث عن الجزائر والمغرب، حيث يبدأ كلامه عن الجزائر من أوائل الجزء(الثاني) إلى غاية صفحة 25، ويتخلل ذلك إشارات تاريخية ابتداء من صفحة 26، وفي صفحة 54 عنوان" خاتمة" تتضمن الحديث عن أهمية التاريخ ثم التعريف بالعلماء أمثال: أحمد بن عمار، وابن علي، وأبي راس الناصر، وشيوخ المشرفي.

وقد خصّص أبو حامد العربي المشرفي[3] في تأليفه " ياقوتة النسب الوهاجة في التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة"[4] في الأصل لمناقب محمد بن

---

1) عبد المنعم الحِميري، المصدر السابق، ص:107.

2) اطلعنا على نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم:2659، مكتوب بخط مغربي واضح ومقروء، على وورق كراس عادي، توجد به تمليكات بخط إفرنجي. كما توجد نسخة منه بالمكتبة الوطنية الجزائرية، مصورة على الميكروفيلم.

3) ترجم له: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر مؤسسة، نويهض الثقافية، بيروت، ط1983، ص:303. أنظر المراجع التي عرفت به: خلاد، جزولة، ج3، ص:205، مجلة البحث العلمي، ج1، ص:126، مجلة تطوان، ج6، ص:65، الدر الفاخرة، ص:23، دليل مؤرخ المغرب، ص:121 وما بعدها. المنوني، مظاهر يقظة المغرب الحديث، ص:256.

4) يقع المخطوط في مجلد وسط من حوالي خمس وثمانين صفحة، توجد النسخة الأصلية بخط المؤلف بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم: 1534د. راجع: دليل مؤرخ المغرب، ص:146.

علي أبهلول المجاجي[1]، دفين مجاجة بالشلف أوائل القرن الحادي عشر الهجري[2]، وهو ما يتبين من العنوان الثاني الذي أضافه المشرفي في المقدمة قائلا:"...وإن شئت اليواقيت الثمينة الوهاجة في التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة"[3]. وقبل ذلك فإنّ الكتاب اشتمل على أربعة أقسام وعلى مقدمة وخاتمة حسب تقسيم المؤلف.

القسم الأول: في نسب النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة، والقسم الثاني: في التعريف بريحانة الرسول فاطمة البتول الذي هو غاية المنى والسؤل أي (الحسن بن علي)، والقسم الثالث: في التعريف ببعض ذرية الريحانتين، وهما مولانا الحسن ومولانا الحسين – رضي الله عنهما وعن أمهما وأبيهما صلى الله على جدهما– على وجه الاختصار والاقتصار. أمّا القسم الرابع: فقد خصصه للتعريف بالقطب الواضح والكوكب النير اللايح: سيدي محمد بن علي المجاجي، وفي الحكايات الدالة على تعظيم أهل البيت والأحاديث المؤلفة في حبّهم، فضلا عن مقدمة وخاتمة وقد اعتمد في تحقيق ذلك كما يقول:"على كتب أولي الشأن واختصرت منهم ما تحقق لي ببغيته وتيسر لي بحول الله وقوته جمعه...وسميته ياقوتة النسب الوهاجة وفي ضمنه التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة"[4].

---

1) المجاجي(ت1008هـ): نسبة إلى مجاجة الواقعة في ولاية الشلف، والشيخ المجاجي من علماء وصلحاء الجزائر في أوائل القرن الحادي عشر الهجري. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1990، ج2، ص:190. وأنظر: حبار مختار، "أبو حامد المشرفي ومخطوطه ياقوتة النسب الوهاجة"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، سيدي بلعابس، ع1، 1998، صص:41-54.

2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص:440.

3) العربي المشرفي، ياقوتة النسب، المصدر السابق، و:4ظ.

4) أبو حامد المشرفي، ياقوتة النسب الوهاجة، و:1و.

إنّ تراجم الأعلام وإحصاء ما تركوه من مصنفات وآثار تدل على نبوغهم وتشهد على تقدمهم في هذا الباب، وتعكس شخصيتهم وإبداعهم، والترجمة والتعريف بالرجال وإبداعاتهم التي ألحت عليها المناهج المعاصرة واعتبرتها من الأمور المساعدة على فهم النصوص والأدوات الضرورية للتحليل، يقول الدكتور سعيد علوش: "كانت الصورة الأولى من التاريخ الأدبي في رأي "فان تيكم" هي الترجمة وإحصاء المؤلفات"[1].

فبالإضافة إلى ما أثبتناه في عرضنا عن هذا الفن على عهد الدولة العثمانية ببايلك الغرب، وما ذكرناه بإيجاز من تراجم وأحاديث عن رجال هذه الفترة وإبداعاتهم، نجده بطريقة أو بأخرى يخدم أبحاثا أخرى عن رجال العلم والأدب وإنتاجهم واتجاههم في الإبداع والتأليف في ميادين أخرى.

وللشيخ العربي المشرفي كتابا آخر يدخل ضمن موضوع المناقب الصوفية؛ والمسمّى " نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار، تنفي عن المتكاسل الوسن، في مناقب سدي أحمد بن محمد وولده الحسن "[2]. وهو عبارة عن رحلة قادته إلى سوس، والتي انطلق فيها من مراكش بعد وصوله إليها ضمن الفقهاء المرافقين لحركة السلطان محمد بن عبد الرحمن إلى الحوز المراكشي سنة (1289هـ/1873م)[3]. وقد قصد في تأليفه هذا زيارة زاوية تيمكدشت لكتابة

---

1) سعيد علوش، إشكالية التيارات والتأثيرات في الوطن العربي، ص: 58.

[2]) انتهى من تأليفه يوم الأربعاء 18 رجب1290هـ/11سبتمبر1873م، تتوفر من نسختان بالرباط، الأولى: بالخزانة العامة، تحت رقم:579ك من 612 ورقة، يتخللها بتر في المقدمة والخاتمة. والثانية:بالخزانة الحسنية تحت رقم:5616، من348 ورقة، وهي نسخة مكتوبة بخط مغربي واضح وملون لعلها قدمت إلى السلطان. كما أشار أحد الباحثين إلى وجود نسخة أخرى بالزاوية النحلية بقبيلة مزوضة بأحواز مراكش. ينظر:الكفناني مولاي الحسن، قبيلة أولاد أبي السباع في القرن التاسع عشر، دبلوم الدراسات العليا، كلية ألاداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1988، ج2، ص:515.

[3]) العربي المشرفي، نزهة الأبصار، مخطوط الخزانة الحسنية، رقم:5616، و:3ظ.

مناقب وكرامات شيخيها الصوفيين أحمد بن محمد التمكدشتي الميموني وابنه أبي علي الحسن بطلب من الوزير ثم عامل فاس عبد الله بن أحمد[1]. بيد أنّ المؤلف لم يلتزم بمضمون العنوان الذي غطى الباب الثاني من الكتاب فقط، بل عقد ستة أبواب أخرى تناولت أمورا مختلفة (وصف سوس، تراجم علماء وصلحاء، أخبار سياسية تهم المغرب والعالم الاسلامي بصفة عامة، كوارث طبيعية، تمدن أوربي،...الخ).

ولا تكمن أهمية هذا التأليف في المعلومات التي تضمنها وحسب؛ بل أيضا في الأفكار والمواقف التي عبّر عنها المؤلف ضمن مجموعة من القضايا، ومنها: دفاعه القوي عن كرامات الأولياء والصالحين، موقفه السلبي من الاحتراز من الأوبئة، تفسيره لحصول المساغب والأوبئة والكوارث الطبيعية وأخيرا موقفه الايجابي من المستحدثات التقنية الأوربية[2].

إنّ هذا العمل يعد تركيبة فريدة تجمع بين الدفاع عن أمور متنافرة كالكرامات والمستحدثات التقنية، ممّا قد يخلق ارتباكا في فهم النسق الفكري لصاحبها، ومن ثم انعكاس فهما على متصوفة عصره والعامة معا.

صمّم العربي المشرفي على أن يكون كتابه في مقدمة وسبعة أبواب جاءت على النحو التالي: تكلم في الأول عن إمام الوقت(السلطان محمد بن عبد الرحمن)، ثم عن فضائل هذا السيد المترجم له(التمكدشتي)، ثم الحديث عن القطر السوسي

---

[1]) أشار العربي المشرفي إلى الغرض من تأليفه لهذا الكتاب بقوله:"...وأمّا الكتاب فهو مؤلف في كرامات ولي الله أبي العباس سيدي أحمد ابن محمد التمكدشتي، وفي مناقب ولده أبي علي الحسن، ادركنا الله برضاهما...". العربي المشرفي، نزهة الأبصار، مخطوط الخزانة الحسنية، رقم:5616. و:2و.

[2]) أحمد المكاوي، نزهة الأبصار للعربي المشرفي تعدد الإفادات، المجلة المغاربية للدراسات السياسية، كلية الآداب والعلوم الانسانية بالجديدة، جامعة شعيب الدكالي، مطبعة النجاح الجديدة، ع2، 1995، ص ص:59-71.

وما به من الزوايا ومآثر الدين، يليه الحديث عن علماء هذا القرن وملوكه بالمغرب، فمحدثات هذا القرن، وفيما اخترعه الروم من المصالح الدنيوية وعمّ نفعه البرية، وأخيرا حديثه عن الأخبار الواردة في مدة هذه الدنيا وجملة أشراطها التي تكون بين يدي الساعة.

قدّم المؤلف في الباب الأول معلومات موسعة عن فترة حكم السلطان محمد بن عبد الرحمن، ولاسيما كيفية معالجته لما ترتب عن حرب تطوان[1]، وبعض ردود الفعل السلبية إزاء ذلك، مبررا موقف السلطان الذي لم يجد في المغرب سندا يعوّل عليه" وظهر له بمقتضى نظره السديد...أن يفدي بلاده من الأعداء، وبعد ذلك يستعد لبرء الداء...ففداها بحسن الاجتهاد ورجع والحمد لله للاستعداد...لكنّه أيده الله لم يجد في مغربنا على الحق معينا "[2]. وانتقد المشرفي بشدة معارضي الاجراءات اليلطانية بشأن قضية تطوان، قائلا:" فالزم يا أخي الأدب مع الحكام فإنّ لهم...أحكاما لا يطلعونك وأمثالك عليها كهذه القضية"[3]، كما أنكر على العلماء الخوض في أو الاعتراض على ما يقوم به السلطان بما أنه " نائب عن الشريعة، فله أن يجتهد وحسب العلماء الوقوف وعدم التعرض لما حكم به الأمير، فإنه أدرى بمصالح المسلمين"[4].

وخصّص المشرفي الباب الثاني بفصوله السبعة لتعديد كرامات الولي الصالح أحمد التمكدشتي" التي لها شبه بالمعجزات"، متحدثا عن باعه في العلوم، وترجم لولده الحسن مفصلا في" زهده وعفته وإخلاصه في العبادة" وأورد لائحة

---

[1]) العربي المشرفي، نزهة الأبصار، المصدر السابق، و:46 وما بعدها.

[2]) العربي المشرفي، نزهة الأبصار، المصدر السابق، و:47ظ.

[3]) المصدر نفسه، و:55ظ.

[4]) المصدر نفسه، و:53ظ. لمزيد من الاطلاع على تفاصيل هذه القضية ينصح بمراجعة: أحمد المكاوي، نزهة الأبصار للعربي المشرفي، المرجع السابق، ص:61.

للآخذين عنهما، معددا الأوراد والأذكار. ويبدو من خلال هذه الترجمة الموسعة أن المؤلف أراد ابراز فضل ومزايا الانسان المتميز بنقاوته الروحية وإعراضه عن الحياة الدنيوية، وتكريس التقليد السائد ببايلك الغرب سواء عند العماة أو قسم كبير من الخاصة بشأن تمجيد الأولياء والصالحين، والانبهار بكراماتهم وخوارقهم، التي لا تستقيم مع العقل والمنطق، خصوصا وأنّ هذا التقليد أخذ يتعرض للاهتزاز من جراء الانتقادات التي وجهها السلفيون للمعتقدين في الكرامات[1].

وبما أنّ المؤلف زار سوس وحلّ بها؛ فإنه قدم في الباب الثالث وصفا تفصيليا لهذه المنطقة، مركزا على زواياها ومدارسها. وهنا استغل المشرفي فرصة التهجم على قبيلة أدا وكنسوس التي ينتمي إليها المؤرخ محمد أكنسوس(ت1877م). وهذا التهجم شكل جزءا من الحملة التي شنها المشرفي على أكنسوس بسبب انتمائه للطريقة التيجانية وموقفه السلبي من بدع زيارة الأضرحة[2].

وترجم العربي المشرفي في الفصل الرابع من نزهة الأبصار لعد كبير من علماء الحواضر وخاصة من الرباط وسلا وفاس ومراكش وسوس، وبعض فقهاء البوادي، وقد تضمنت هذه التراجم أحيانا، إشارات مفيدة بشأن الحملات الأوربية على المغرب وما ترتب عنها من غضرار بهيبة المخزن[3]. كما تناول ثورة التيجانيين بالجزائر[4]، إلى جانب ترجمته لبعض حكام مصر[1].

---

[1]) أحمد المكاوي، نزهة الأبصار للعربي المشرفي، المرجع السابق، ص:62.

[2]) العربي المشرفي، الحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعرفي الناطق بخرافات الجعسوس السيء الظن الكنسوس، مخطوط الخزانة العامة، الرباط، رقم:2276ك وهو عبارة عن رد على التجانيين و انتصار للقادريين.

[3]) العربي المشرفي، نزهة الأبصار، و:458.

[4]) المصدر نفسه، و:430-431.

وقدم المؤلف في الباب الخامس جردا لأبرز أحداث نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر شملت السياسية منها والعسكرية والكوارث الطبيعية)، كما تطرق المؤلف كذلك إلى الأحداث التي تمت بالجزائر، وأحيانا تعدها إلى خارج إطار المغرب العربي ليتناول أحداث شبه الجزيرة العربية والحرب الروسية العثمانية. ولم يكتف بسرد الحوادث بل حاول تفسيرها لاسيما ما يتعلق بالكوارث الطبيعية. ومن الأحداث البارزة التي أثارها في كتابه: ثورة الدرقاوي على العثمانيين بالجزائر، احتلال الفرنسيين للجزائر واسباب ذلك، ثورة أولاد سيدي حمزة بن سيدي الشيخ ضد الفرنسيين، استرداد ر السلطان العثماني عبد الحميد لما أخذه الروس من والده محمود الثاني. وهو ما يعكس اهتمام متصوفة بايلك الغرب لما يحدث في باقي الأقطار الاسلامية ضد التدخل الأوربي في شؤونها[2].

ومقارنة بعدد من الحوليات المعاصرة، تضمنت نزهة الأبصار تفاصيل مهمة عند عدد من الكوارث الطبيعية التي ضربت المغرب الأقصى مع نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر الميلادي[3]، مشيرا إلى نتائجها الديمغرافية والاجتماعية والاقتصادية.

وفي الباب السادس يتبين لنا أن للعربي المشرفي إلمام بأهم المخترعات والابتكارات التقنية التي تمت في أوربا، وٌراره بنفعها بكيفية صريحة وهو أمر نادرا ما تمّ الافصاح عنه بجلاء في الكاتبات المغربية المعاصرة بحكم النفور التقليدي مما يحدثه الأوربيون " الكفار" والخشية من الاطراء عليهم بفعل الحماية الدينية.

---

[1]) المصدر نفسه:493-499.

[2]) العربي المشرفي، نزهة الأبصار، المصدر السابق، و:514.

[3]) من هذه الأوبئة: وباء الحبة، وباء الطاعون، اجتياح الجراد للمغرب سنة 1238هـ، المجاعة،، السيول العارمة التي اجتاحت مناطق سوس سنة 1261ه.المصدر نفسه، و: 517- 519.

لقد وظف المشرفي أقوال ابن ابن خلدون وهنا تبرز الاضافات والجديد لدى متصوفة بايلك الغرب في مناقشة آراء ابن خلدون، خصوصا عند الحديث عن الصناعة وعلاقتها بعلم الهندسة، كما نوّه المشرفي بما وصل إليه اليونان في القديم ثم الروم والأتراك بهذا العلم، كما أشار إلى رسوخ الحضارة في فاس ومصر وتركيا[1].

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن المشرفي خلافا لما جرت عليه عادة المؤرخين وكتّاب التراجم، ترك الحديث عن فضل التاريخ وأهميته إلى نهاية تأليفه في الباب السابع، وكأنه لم يُرِد الخوض فيه إلا بعد بسط المادة التاريخية لتكون شاهدا وأساسا عن التاريخ إزاء منتقديه، غير أنّ دعوة المشرفي إلى الاهتمام بالتاريخ وأخذ العبرة منه لا تشكل استثناء، بل كانت قاسما مشتركا بين أغلب المؤرخين، بغية استنهاض الهمم وضرورة التنبيه إلى الخطر الأوربي.

ودائما مع العربي المشرفي وهذه المرة مع تأليف آخر له وهو " الحسام المشرفي لقطع لسان الساب العجرفي الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن أكنسوس"[2]، ورغم أنه يدخل ضمن كتب السجال والردود، إلا أننا أدرجناه ضمن كتب السير والتراجم، لأنه يتحدث عن شخصية، ولايهمنا إن كان مادحا لها أو ساخطا عليها. ولأنه يذكر العديد من تراجم الأولياء وزواياهم.

وقد قسّم المشرفي تأليفه هذا إلى مقدمة وسبعة تراجم وخاتمة، حيث خصص المقدمة للحديث عن فائدة علم التاريخ عند العرب وغيرهم من الأمم. أمّا باقي الفصول الأخرى، فجاءت على الشكل التالي: الترجمة الأولى في القدح فيه

---

[1]) العربي المشرفي، نزهة الأبصار، المصدر السابق، و:522-525.

[2]) توجد نسخة وحيدة منه ضمن مجموع مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم:2276ك، في 226 ورقة يتخللها اضطراب في ترتيب الصفحات عند الصفحة 267. كما توجد نسخة منه على الميكروفيلم تحت رقم:1207. انتهى من تأليفها في محرم سنة 1285ه/12 ماي 1868م بفاس.

ليتفطن لعيبه كل نبيه، والترجمة الثانية في الأشاعرة وذي السمت الرباني شيخ المشايخ عبد القادر الجيلاني، رد فيه على نعت أكنسوس الأشاعرة بالفرق الضالة، ثم الترجمة الثالثة مولانا إدريس الأكبر، والترجمة الرابعة أولياء المغرب وزواياهم. والترجمة الخامسة في العالمين الجليلين عبد الهادي السجلماسي وعبد الواحد بن سودة الفاسي، والترجمة السادسة في انتخاب الوزراء على وفق نظر الملوك والأمراء، والترجنة السابعة في عدة الملوك الأواخر منهم والأول.

لقد حدّد العربي المشرفي دواعي تأليفه للرد على أكنسوس قائلا:" إذ لا زال نور النبوءة هاديا للتائهين مثلي، مرشد الجنّ بلغ في غاية الجهل كجهلي، ويذكر ساداته العلماء الممدوحين في الأرض والسماء، ما بلغه بالسماع المستفيض عن تأليف عالم مراكش الذي عير فيه أولياء ورماهم فيه بالزندقة والفاحشة. وهذا هو الباعث لنا على تسطير هذه الأبيات والأوراق بما يوجب الردّ عليه حتى يجول في يمن الفاسي وشام الغرب وحوز المينة الحمراء...غير أنّ الغيرة حملتني أن أرمي من رمى الأشاعرة بما به يندقّ داره وتنشلّ مشاعره"[1].

يتّضح لنا أن الدافع الإيولوجي، الذي كان يؤطره الانتماء الطرقي الصوفي، شكل العنصر الجوهري في هذا النقاش بينه وبين أكنسوس، فالمشرفي درقاوي الطريقة متشبع بمبادئها بينما أكنسوس من أتباع التيجانية. ولقد وضح المشرفي في أكثر من مرة أن تهجمه على أكنسوس كان من قبيل مهاجمة هذا الأخير على العربي الدرقاوي وأتباعه، حيث أذكى أكنسوس نار الفتنة المندلعة ببايلك الغرب بقيادة ابن الشريف الدرقاوي سنة 1219هـ/1805م، عوض قيامه بالمهمة التي أوكلت له من طرف السلطان المولى سليمان. والمتمثلة اساسا في تهدئة الأوضاع

[1]) العربي المشرفي، الحسام المشرفي، المصدر السابق، و:7.

والوساطة بين الثائر الدرقاوي وباي وهران[1]. وهي التهمة التي اعتبرها المشرفي" إما جهلا منه[أكنسوس] بحقيقة الأمر لبعده عنه، وما كان له أن يمزق عرض ولي الله في حياته فضلا بعد مماته بسماع لم يثبت، وإمّا عنادا..."[2].

إنّ العربي المشرفي في ردّه هذا على أكنسوس ينتصر للطريقة الدرقاوية على غريمتها التيجانية" والرد على الواحد من الطائفة ردّ على الجميع"، وينتقص من مكانة شيخ الطريقة التيجانية ويستهزئ من أورادها وطقوسها " فالشيخ أحمد التيجاني رضي الله عنه، في عالم الظاهر شيئ كبير، وهو سيد هذه الطائفة التيجانية، معدود من علماء الظاهر لا من علماء الباطن؛ إذ ليس له في علم الحقيقة وهو مطلوب حتى في علوم الشريعة...ولا يغرنّك أيها الفقيه أنّ للتيجانية مجتمعا ورقصا فيعد طريقة، فإن الرقص لا يكون طريقة، لأن الطريقة علم وعمل معا، والرقص لا علم ولا عمل أي لا عبادة...فيصفقون ويرقصون ويزغردون وذلك بال ولهو وليست منه العبادة ولا هو منها"[3].

فهو بذلك يسلك نفس المنحى الذي سار عليه أحمد البكاي في ردّه على أكنسوس. وفي المقابل يرفع من قدر الزاوية الدرقاوية مغتبرا إياها " من الزوايا التي اشتهرت...في آخر الزمان، وغطت شهرتها كل زاوية، نصبت للذكر أي مكان من الأمكنة أو قطر من الأقطار زاوية الشيخ المربي مولاي العربي الدرقاوي"[4]. وما يمكن الاشارة إليه أن المشرفي من خلال تأليفه هذا أعلن مساندته لثورة عبد القادر ابن الشريف الدرقاوي ض باي وهران سنة 1219هـ/1805م.

---

[1]) محمد بن أحمد الكنسوسي، الجيش العرمرم، طبعة مراكش، دط، ط1994، ج1، ص ص:283-284.

[2]) العربي المشرفي، الحسام المشرفي، المصدر السابق، و:192- 193.

[3]) العربي المشرفي، الحسام المشرفي، المصدر السابق، و:54-62.

[4]) المصدر نفسه، و:200.

وفي قدحه لشخص أكنسوس، استهل المشرفي بقدح مدينة مراكش قائلا:" الفقيه السوسي المدعو الكنسوسي، نزيل حمراء مراكش التي معنها بلغة المصامدة امش مسرعا، لأنها كانت مغارة تأوي إليها اللصوص". ولم يكتف بما كتبة المشرفي، بل نجده يواصل تشنيعه الجارح على أكنسوس وعلى قبيلته[1].

من جهة أخرى، دافع المشرفي عن العادة في زيارة الأولياء التي كان من اشدّ هواتها، وعن استحباب قطع المسافات إلى زيارة العلماء والصلحاء وأهل الخير، مستشهدا في ذلك بأخبار السنة والمفسرين، ما شاهده في الأقطار التي زارها مثل مصر، ويورد آراء القائلين بدحض آراء أكنسوس من علماء وقته مثل المهدي بن سودة. ويبروز قناعته بالإيمان بكرامات الأولياء، حيث خصص حيزا اكبر في كتابه للحديث عن مناقب كرامات شيوخ التصوف انطلاقا من عبد القادر الجلاني، مرورا بالزاويا المنتشرة بأصقاع المغرب، مثل الزاوية الوزانية وزاوية أبي الجعد التي فسّقها أكنسوس، وزاوية تمكروت الناصرية، والزاوية الكنتية، وزاوية الدلائيين، وزاوية أولاد البقال[2].

كما ضمّن المشرفي كتابه فوائد تاريخية متنوعة، شملت التعريف بعدد من علماء وفقهاء نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ووزراء وقواد وامناء السلطانين المولى عبد الرحمن بن هشام ومحمد بن عبد الرحمن، كما لم يخف المشرفي إعجابه بتجربة الحكم الوطاسي ويفضلها على الحكم الموحدي"...ويقين أهلها [بني وطاس] واستقامتهم والإقامة على أصح الدين أفضل

[1]) العربي المشرفي، نزهة الأبصار، المصدر السابق، مخطوط الخزانة العامة، 579ك، و:307ظ.

[2]) العربي المشرفي، الحسام المشرفي، المصدر السابق، و:140ظ.

من اعتقاد الموحدين..."[1]. أمّا الفصل الأخير فقد دوّن فيه ترجمة وافية للسلطانين محمد بن عبد الرحمن وخليفته مولاي الحسن.

وللشيخ محمد بن حوا تأليفا مهما في تراجم المتصوفة والعلماء ببايلك الغرب سمّاه " سبيكة العقيان فيمن حلّ بمستغانم من العلماء والأعيان"[2]. وهي تعد ضمن كتب المناقب الشاملة[3]. حيث كانت منظومة سبيكة العقيان منتشرة بين أوساط متصوفة بايلك الغرب، وقد جرت العادة عند متصوفة بايلك الغرب أنهم يتبركون بأراجيز بعض الصلحاء، كأرجوزة أبو عبد الله المغوفل المسمّاة فلك الكواكب، إذ كانوا يكتبونها وينسخونها ويضعونها في حزائنهم للتبرك بها[4]. وهذا ما يفسر بدون شك وجود نسخة من سبيكة العقيان لدى متصوفة بايلك الغرب.

لقد حاول الشيخ محمد بن حوا أن يبرز لعامة الباحثين والمهتمين بفن التاريخ عموما، وبمناقب العلماء والصلحاء خصوصا، لما تركه هؤلاء من كرم وجود، وزهد وورع، وخوف وتقى، ومحبة وإخاء في نفوس العامة والخاصة. إلى جانب أنّ كتابات المتصوفة عن المناقب في تلك الفترة قد ملأت الفراغ الذي كان من قبل، وهذا بمحاولتها تقديم الأجوبة والحلول لكل ما يطرحه مجمتع المتصوفة من قضايا ومواقف.

---

[1]) المصدر نفسه، و:172و.

[2]) محمد بن حوا، سبيكة العقيان فيمن حلّ بمستغانم من العلماء والأعيان، مخطوط خزانة الشيخ البشير محمودي، البرج، معسكر، و:1و.

[3]) مارسال بودان(Maecel Bodin) مجلة الجمعية الجغرافية والآثار لوهران، جوان 1933، ص:238.

[4]) الصادق بن قادة، "الشيخ محمد بن حوا والتعريف بكتابه سبيكة العقيان"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مخبر مخطوطات شمال إفريقيا، جامعة وهران، ع3/2، 2005، ص ص:73-83.

وتهدف هذه المؤلفات المنقبية إلى توجيه المريدين وإرشادهم إلى ما يحسن التحلي به من صفات خلقية ترتقي بالسالك إلى الصورة المثلى، وتسمو به إلى نموذج أعلى، ومن ثم التحلي بمناقب الشيخ المترجم له.

ومن الملاحظ أنّ سبيكة العقيان رغم انتشارها وتداولها بين الأوساط المثقفة، إلا أنها ظلت بدون شرح على عكس بعض المنظومات والقصائد. ولذا نأمل أن يشرح هذه المنظومة بعض الباحثين، حتى تكون بمثابة عمل يسد فراغا طالما اشتكت منه مناطق بايلك الغرب المختلفة.

ولأبي زيان الغريسي المعسكري كتابا حول مولاي العربي الدرقاوي سماه" كنز الأسرار في مناقب مولانا العربي الدرقاوي وبعض أصحابه الأخيار"[1]، حيث ترجم فيه لشيخ الطريقة الدرقاوية الشيخ محمد العربي الدرقاوي[2]، وبعض أتباعه في الجزائر والمغرب، وما يمكن الإشارة إليه هو أن المؤلف توفي قبل أن يكمله، وله عنوان آخر هو " طبقات في الشيخ الدرقاوي وبعض تلامذته"[3].

حيث اشتمل هذا التأليف على خمسة أبواب كل باب ينقسم إلى عدة فصول قد تطول وتقصر حسب كلام الشيخ، فتعرض مثلا في الباب الأول إلى جملة من القضايا المهمة لدى المتصوفة وهي قضية هل الولي محفوظ كالنبي، وما الفرق بين العصمة والحفظ، ومالفرق بين المعجزة والكرامة. أمّا الباب الثاني فخصصه لولادة الشيخ العربي الدرقاوي المعنوية وكيفية تنقلات أطوار تربيته، حيث تطرق

---

[1]) أبو زيان الغريسي المعسكري، كنز الأسرار في مناقب مولانا العربي الدرقاوي وبعض أصحابه الأخيـــار، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، تحت رقم:2339.

[2]) عن العربي الدرقاوي وابن عجيبة، يراجع: إشكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرنين 19/18م، أحمد بن عجيبة ومحمد الحراق، دار الآفاق الجديدة، المغرب، ط2، 1994. ص ص:191- 193.

[3]) يقع هذا المخطوط في أربعة كراريس موجودة بالخزانة الأحمدية بالمغرب لعبد السلام بن ســودة، اطلعنـــا على نسخة منها بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم:2339 د.

إلى ذكر الاسلام الأعظم، ثم الفرق بين علم الظاهر والباطن، كما تطرق إلى بعض سلوكات المتصوفة كالجذب والسلوك، أمّا الباب الثالث فقد خصصّه أبو زيان الغريسي إلى سلوك الطريقة الصوفية، حيث تحث فيه عن قاعدة الأصول، ثم أنواع الرياضات الروحية، ثم قضية مخالفة المريد لنفسه[1].

أمّا الباب الرابع فقد خصصّه الغريسي للأحوال التي أدركها على شيخه عبادة وعادة، حيث تحدث عن شئ من عبادته ثم ذكر الله والاقبال عليه، حلقات الذكر، ثم ذكر بعض أوصافه، ليتحدث عن توضيح بعض المعاني والرموز الصوفية. أمّا الباب الخامس فقد خصصّه الغريسي عن الحديث عن أصحاب مولاي العربي الدرقاوي. إلى جانب ذكر بعض الجزئيات التي لها صلة بالسلوك الصوفي مثل خصائص زياة الشيخ، وفضل زيارة الأماكن المعظمة، ثم الثناء على رسائله.

ونشير إلى كتاب أحمد بن المبارك السجلماسي المنداسي المسمّى " تحفة الهدى في مناقب سيدي أحمد بن عودة "[2]. وهو تأليف ألفه السجلماسي في مناقب سيدي أحمد بن عودة المتصوف الزاهد كما يدل على ذلك عنوانه.

وقد قسمه السجلماسي إلى ثلاثة فصول، خصص الفصل الأول منه عن أولية أمر الشيخ سيدي أحمد بن عودة، حيث ذكر محاولة تزويجه، ثم ولايته وكراماته ومكاشفاته، أمّا الفصل الثاني في كيفية سلوكه الروحي، حيث تحدث عن

---

[1]) أبو زيان الغريسي المعسكري، كنز الأسرار، المصدر السابق، و:46و.

[2]) يقع هذا التأليف في 12 ورقة، ناسخه الأول محمد بن عبد السلام السلماني الشريف الحسني، وكان الفراغ منه سنة 1326ه، أمّا الناسخ الثاني فهو البشير محمودي، وكان الفراغ من نسخه سنة 1989م. أحمد بن المبارك السجلماسي المنداسي، تحفة الهدى في مناقب سيدي امحمد بن عودة، مخطوط خزانة الشيخ البشير محمودي، البرج معسكر.

العبودية الخالصة، وأمّا الفصل الثالث فقد خصّه السجلماسي إلى حكايات عن الشيخ سيدي امحمد بن عودة وفيه خمس حكايات مختلفة[1].

3 – الرحلات:

لقد أسهم الجزائريون عموما ومتصوفة بايلك الغرب خصوصا في كتابة الرحلات؛ ولاسيما خلال القرن الثاني عشر(18م)، وكانت بعض رحلاتهم نتيجة للحج، وهي التي يصطلح عليها بالرحلات الحجازية، وبعضها الآخر كان نتيجة طلب العلم وهي التي يصطلح عليها بالرحلات العلمية. غير أن متصوفة بايلك الغرب بالقياس إلى كتّاب الرحلات المغاربة كانوا قليلي الانتاج. ولعل مردّ ذلك إلى هجرة بعض العلماء من الجزائر دون أن يعودوا إليها ليكتبوا ملاحظاتهم[2]. وما يمكن التنبيه عليه هو أن هناك بعض الرحلات كانت مختصرة وبعضها الآخر مطولا. كما أنّ بعضها كتب شعرا أو ملحونا وبعضها قد كتب نثرا.

من هنا كانت عناية متصوفة بايلك الغرب بهذا النوع من الأدب، الذي كان من نتائجه أن تركوا لنا رصيدا هاما يروي رحلاتهم وما شاهدوه خلالها. ولهذا تعتبر الرحلات من أهم المصادر لدراسة تاريخ أي منطقة[3].

كما تتحقق بواسطة الرحلة أهداف علمية ومعرفية لايمكن التوصل إليهما عن طريق الكتب والوثائق فقط، مثل الاكتشافات الجغرافية والتاريخية والحياة الاجتماعية والاقتصادية للشعوب. ولذلك تجد في كل زمان ومكان رجالا أشداء يتركون الأهل والوطن وحياة الدعة والاستقرار من أجل تحقيق هدف علمي أو

---

[1]) المصدر نفسه، و:8ظ.

[2]) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص:395.

[3]) بوشنافي محمد، قراءة في رحلة محمد بن مسايب إلى الحجاز في القرن الثامن عشر، ورقة بحثية ألقيت على هامش ندوة الجزائر الأولى 2004. الجزائر.

رغبة ذاتية بواسطة الرحلة فردية كانت أو جماعية. غير مبالين بالمشاق والأهوال التي يعانونها في رحلاتهم. والأهداف التي يحققونها في رحلاتهم سواء كانت دينية أو علمية أو اجتماعية تنعكس آثارها على تقدم الشعوب، وادهار المعرفة في مختلف ميادين العلم[1].

ومن تلك الرحلات رحلة محمد ابن مسايب التلمساني[2]، ورغم أنها قصيدة من شعر الملحون، إلا أنها قد أدت غرضها، فقد قص فيها رحلته من تلمسان إلى مكة المكرمة عبر مدن وقرى الجزائر من غربها إلى شرقها، مارا بالطريق التقليدي الذي كان يسلكه ركب حجيج بايلك الغرب(مليانة فالبليدة فمدينة الجزائر فمجانة فقصر الطير فقسنطينة فالكاف، ثم تونس). كما قام ابن مسايب برحلة برية مر خلالها بعدد من المدن المذكورة بطرابلس ثم مصر، على خلاف الذين كانوا يسلكون طريق البحر الذين كانوا يركبون من تونس وينزلون في الأسكندرية[3].

أمّا عن ظروف تلك الرحلة يقول محمد بوشنافي:" ليس لدينا تاريخ محدد لهذه الرحلة، حيث إن ابن مسايب لا يذكر أي تاريخ أو حادثة تمكننا من تحديد تاريخ هذه الزيارة، ولكن على العموم يمكن أن نقول بأن هذه الرحلة تمت في

---

[1]) الحجوي محمد، "الأهداف الدينية والعلمية لرحلة علماء الغرب الاسلامي إلى المشرق"، مجلة المناهل، وزارة الثقافة، مطبعة دار المناهل، الرباط، المغرب، السنة30، ع85، نونبر2008. ص ص:207- 226.

[2]) محمد بن مسايب أحد رموز الشعر الملحون في الجزائر أثناء العهد العثماني. ينحدر أصله من أسرة أندلسية لجأت إلى مدينة فاس ومنها إلى تلمسان، ويظهر أن ذلك تم بعد سقوط غرناطة آخر إمارة إسلامية في الأندلس عام 1492م. أما عن تاريخ ميلاده فإن المصادر التاريخية تسكت عن ذلك، غير أن تاريخ وفاته ربما يكون في عام 1776م، وقد دفن في مقبرة سيدي محمد السنوسي قرب تلمسان. كان تكوين ابن مسايب تكوينا دينيا، حيث برع في الكثير من العلوم الدينية، ويظهر تدينه في القصائد التي كتبها حيث تدور مواضيعها في هذا المجال كقصائد مدح النبي ρ وأخرى حول بعض المرابطين والأولياء الصالحين، وقصيدته حول رحلته لأداء فريضة الحج.

[3]) Ben Cheneb (M), « Inténéraire de Tlemcen à la Mekke », R.A, n° 44, 1900, pp:259-282.

منتصف القرن 18م، وقد عرفت إيالة الجزائر خلال هذه الفترة أوضاعا سياسية مستقرة، عكس ما عرفته سابقا أو بعد ذلك"[1].

وقد شمل هذا الاستقرار كامل البايلكات (بايلك الشرق، بايلك الغرب وبايلك التيطري)، بما في ذلك كل المقاطعات البعيدة عن مركز الحكومة، وهو ما دفع ببعض البايات من الإشراف على شؤون بايليكاتهم لفترة طويلة من الزمن، والقيام ببعض الإصلاحات بغية تحسين أحوال الرعية آنذاك، إلى جانب الإنجازات والانتصارات.

فعلى مستوى بايلك الغرب استطاع الباي محمد الكبير من البقاء على رأس البايلك من عام1779م إلى غاية عام 1796م، وقد مكنه استقرار الأوضاع من إصلاح الأحوال والأوضاع، خصوصا تحريره لمدينة وهران وطرد الإسبان منها نهائيا في سنة 1792م، كما شجع الحياة العلمية والثقافية[2].

إن استقرار الأوضاع بهذا الشكل، قد مكن من التنقل في كل أرجاء الإيالة بكل أمان ودون أي خوف، وهو ما سهل لركب الحجيج من أداء فريضة الحج دون معاناة، خصوصا مع إنشاء شبكة متعددة من طرق المواصلات، بغية ربط معظم جهات الإيالة، وحرية تسهيل تنقل الأشخاص والقوافل، وقد اتخذت هذه

---

[1]) بوشنافي محمد، قراءة في رحلة محمد بن مسايب إلى الحجاز في القرن الثامن عشر، المرجع السابق، ص:2.

[2]) حول حياة هذا الباي وإصلاحاته راجع: الراشدي، ابن سحنون أحمد بن محمد بن علي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني (تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي)،منشورات وزارة التعليم الأصلي، سلسلة التراث،قسنطينة، 1973. وكذلك: بلبراوات، بن عتو، الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري (1779-1796)، رسالة ماجستير، جامعة وهران، نوفمبر 2002.

الطرق اتجاهين[1]: اتجاه أفقي يربط الشرق بالغرب، وهو طريق الحج، واتجاه عمودي يربط الشمال بالجنوب[2].

وتبدأ رحلة ابن مسايب[3] الشعرية بقوله:(الرجز)

يا الورشان اقصد طيبة وسلم على الساكن فيها[4]

وتصف هذه الرحلة بشكل دقيق المسلك البري الذي كان يسلكه ركب الحجيج، عبر مدن ومحطات كانوا يعبرونها، أو يتوقفون عندها للاستراحة أو لجمع المؤونة لمواصلة الرحلة:(الرجز)

ادْخُلْ مَزْغَنّة[5] يَا صَاحِ تَنْسَقَى مَنْ كِيسَان الرّاحْ
عَنْدَهُمْ تَمتعْ وَارْتَاحَ مَنْ خَمُورْ الوَد اسْقِهَا[6]

غير أن مؤلف الرحلة لم يعط تفاصيل واضحة عن الأوضاع العامة لتلك المنازل والقرى والمدن التي مر بها، على خلاف بعض الرحالة الآخرين أمثال الورتلاني الذين كانوا يدونون ذلك، خصوصا تلك العادات والتقاليد تحضيرا لسير

---

1) سعيدوني، ناصر الدين، ورقات جزائرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص ص 446-459.

2) بوشنافي محمد، قراءة في رحلة محمد بن مسايب إلى الحجاز في القرن الثامن عشر، المرجع السابق، ص:2.

3) تقع هذه الرحلة في حوالي 122 بيتا. لها عنوان " رحلة من تلمسان إلى مكة".

Ben Cheneb (M), « Inténéraire de Tlemcen à la Mekke », R.A, n° 44, 1900, pp:259-282.

4) Ibid, p :277

5) محمد بن مسايب، رحلة ابن مسايب (رحلة إلى مكة)، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، لها أرقام عديدة منها، رقم:1246.

6) Ben Cheneb (M), « Inténéraire de Tlemcen à la Mekke »,p :278.

ركب الحجيج لأداء الفريضة، والتي غالبا ما تكون بالتبرك بزيارة أضرحة الأولياء الصالحين القريبة منهم، كعادة أهل تلمسان بزيارة ضريح أبي مدين شعيب، دفين منطقة العباد، وضريح السنوسي شيخ الطريقة السنوسية:(الرجز)

زُر قـُطـْـبْ العِبـَادَ وَزِد لِلسْـنُوسِي مُولَى التَّوْحِيـدْ
لاَ تَخْـلَفْ مَنْ أهْلَ اللهَ سَيِّد كَلّْهـَا جُمـْلَة وَأحْـصِهَا[1]

أما عن مسار الرحلة فقد سجل محمد بن مسايب تنقلاته من واد تلمسان ماراً بوادي تليلات متفادياً مدينة وهران، متجهاً مباشرة نحو سهل الهبرة ثم مستغانم. مما يعني أن ابن مسايب كان يتحاشى الاصطدام مع الاسبان[2].

وتكمن أهمية هذه الرحلة كونها تكشف عن أسماء ومعالم جغرافية من جبال وسهول وأودية منها: خد الدير" قرب أولاد ميمون"، وتســالا " قرب سيدي بلعبــاس" البيبـــان "القبائل"، وجبل "عَمّال"، وجبل "زكار"، ومن السهول:" متيجة"، "مجّانة"، "الهبرا"، ومن الأودية: " وادي يلّل"، "وادي مينة"، "وادي جر"[3].

وكون هذه الرحلة بالشعر الملحون فإنها سهلة الحفظ على كل حاج، خصوصا وأنها أحيانا تأتي في قالب وصايا، يوصي بها المؤلف كل حاج يقصد زيارة البقاع المقدسة، كتلك المتعقلة بدخول مصر بأن يكري الحاج بيتاً في منطقة الحسنين، وضرورة ملازمة مجالس العلم:(الرجز)

وَادْخـُل مِصـْرَ فِيَـها اخـْتَرْ فِي الحَسَـنَيـْن دَارَ اكـْـرِهَا
زُرُهـُم كُلّ مْسَـا وَصـْبـَاحْ وَالمْجَالِسْ لاَ تَخـْطِيهـَا

1) Ibid, p : 275.

2) Ibid, p :276.

3) Ben Cheneb (M), « Inténéraire de Tlemcen à la Mekke »,op,cit, p :279.

كما يصف ابن مسايب مميزات بعض المدن كالأسوار المحيكة بها، وهي معلومات تاريخية مهمة كمدينة الجزائر مثلا، وما كان بها من أسوار محاطة بها، تغلق في الليل وتفتح في النهار، هذا ما أكدته المصادر التاريخية وأبواب المدينة الخمسة، أشهرها: باب الواد، باب البحـــر، باب الجزيرة، باب الجديد، باب عزون، حيث نجد ذلك في قول ابن المسايب:(الرجز)

أُخـــرُجْ عَلَى البِــيْبَانْ وَسَـــل جُــــزْ مَجــَـــانَة خَـــلِّـــهَا
قـــُمْ كِـــي تَتــْحَل البيــبَان لِلجــَزَائِر دَاخِـــلْ فَرْحـَــان[1]

ومن خلال الرحلة تبين لنا أن بعض الحكام الحكام العثمانيين قاموا بإصلاحات من شأنها تسهيل زيارة البقاع المقدسة لركب الحجيج، وذلك من خلال إقامة محطات استراحة لهم، وتأمين طريقهم، وتسهيل تنقلاتهم. ومن هذه المحطات التي كانت معروفة آنذاك حسب ورودها ضمن الرحلة الجزائر، ومليانة، والبليدة، وقسنطينة، وتونس، وطرابلس، والقاهرة، نذكر منها الدار الحمراء، وعجرود بمصر، وبندر العقبة، وأبيار السلطان، وواد النار بشبه الجزيرة العربية، أين يود بها الماء والطعام، واستبدال وسائل النقل، وبالرغم من كل تلك الجهود المبذولة من طرف بعض الحكام العثمانيين؛ إلا أن الطريق لم يخل من قطاع الطرق؛ والمخاوف من الصراع الموجود بين بعض القبائل، ونظرا لطول الرحلة وشقوتها، فقد كانوا يعانون من ندرة المياه بسبب الجفاف[2] في الصحراء تارة، وتارة أخرى بسبب ملوحته. (الرجز)

---

[1]) Ibid, p :280.

[2]) سعيدوني، ناصر الدين، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص ص:586-587.

قِم يَا طِيْر اُدْخُــلْ بــَرْقَة حـّـرّم حَــرَام بـِـلاَ شَــقْقَة
الَوطَــنْ فِيـْـهْ تَعَــبْ وَشْــقَا حـَــدْ مَا يَقــْـدَرْ يليـــْـــهَا
كِيــْفَ يَا طِيــْرَ يــَكُونْ مَشْيَك مِنْ التَّعَبْ وَالعَطَشْ مَنْ يَسْقِيــكْ[1]

كما يذكر ابن مسايب كثرة المزارات للأولياء الصالحين في أي موضع يطؤنه، كزيارة أحمد بن يوسف الملياني، وعبد الرحمان الأخضري بالجزائر، وأحمد زروق بطرابلس وغيرهم. ويواصل حديثه عن مناسك الحج وعن أركانه باختصار بصورة جمالية متقنة. كما يصور مشهد إلتقاء ركب الحجيج الجزائري بالركب المصري، وأركاب أخرى من شتى البلدان المختلفة؛ ليترافقوا ضمن ركب واحد للبقاع المقدسة، حاملين معهم لباس الكعبة المشرفة، في جو بهيج مليء بالاحتــفالات والبــركات، مفعم بالمشاعر الصادقة.

إنّ الوصف الذي قدمه ابن مسايب ضمن رحلته حول طريق الحج البري، الذي كان منطلقه من تلمسان ومقصده مكة المكرمة، يعطينا صورة موجزة عن الظروف التي كان يؤدي فيها ركب الحجيج فريضته، التي لطالما كان شوقهم يتوق إلى زيارة تلك البقاع المقدسة وزيارة قبر النبي ρ.

غير أن هذه القصيدة لا تعطينا تفاصيل دقيقة حول أحوال المناطق التي يمرون بها، بل تكتفي بذكر أسماء الأماكن فقط. ولهذا فإن الفائدة لا تكتمل إلا بالاستعانة برحلات أخرى أكثر تفصيلا كرحلة الورتلاني والعياشي. وإلى جانب المنداسي وابن مسايب، نجد من شاركهما في هذا الفن (الشعر الملحون)، كابن التركي والزناقي، وكلاهما نظم قصيدة منطلقها من تلمسان ووجهتها المدينة المنورة، إلا أن ابن أبي شنب اعتبر شعر محمد بن التركي أقل قيمة من شعر ابن

[1]) Ben Cheneb (M), « Inténéraire de Tlemcen à la Mekke »,op,cit, p :.279

مسايب، ولكنه قال عن شعر الزناقي الذي يضم أربعين مقطعاً شعرياً بأنه يمتاز بالدقة والوضوح[1].

كما يعد كتاب رحلة أحمد المقري للمشرق والمغرب من أهم كتب الرحلات التي ألفت خلال القرن الحادي عشر الهجري(17م)، التي تحوي معلومات قيمة وإشارات تاريخية هامة. أما عن نسبة الكتاب إلى أحمد المقري، فليس " ثمة أدنى شك في أن هذا الكتاب من وضع أبي العباس أحمد المقري، إذ لا تكاد تخلو صفحة من صفحاته من ذكره أو الإشارة إليه، سواء من خلال توقيعاته في آخر رسائله وقصائده التي كان يبعث بها إلى غيره، أو ماكان يبعثه غيره إليه، أو في سياق الحديث عن نفسه"[2].

ويذكر محقق الرحلة الدكتور محمد بن معمر" أن المخطوط قبل أن يؤول إلى جورج دولفان كان في مكتبة الشيخ حميدة بن محمد العمالي وهو ما يستفاد من التوقيع المقيد على إحدى صفحات المخطوط بخط وحبر مخالف"[3].

وإذ نقدر وننوه " بالمحاولة المنهجية للمحقق الهادفة إلى تسهيل القراءة بما وفره من فهارس للآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وفهارس للأعلام وأخرى للأماكن والبلدان، وبما أثبته من مصادر ومراجع للتحقيق، وكلها أمور تشهد على

---

[1]) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص:403.

[2]) أبوالعباس أحمد المقري، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، تح: محمد بن معمر، مكتبة الرشاد، الجزائر، 2004، ص:05.

[3]) كان الشيخ العمالي من مواليد العاصمة مع بداية القرن التاسع عشر، تتلمذ لعلماء عصره أمثال محمد بن الشاهد ومصطفى الكبابطي وحمودة المقايسي وأحمد بن الكاهية ومحمد الصالح الضوي وغيرهم، تولى مناصب شرعي سامية ووظائف دينية عالية، منها القضاء والفتوى والإمامة والتدريس، وكان جمّاعة للكتب مشهوراً بين العلماء باقتناء نفائسها ونوادر المخطوطات حتى صار مضرب الأمثال في ذلك بين علماء المغرب. توفي سنة 1873م بالجزائر العاصمة. المصدر نفسه، ص:05.

جدية هذا الباحث وحرصه على الدقة العلمية في ثبت المعلومات ومناقشتها وتخريج بعضها بشكل ينمّ عن ذكاء حادّ"[1].

كما يحتوي كتاب الرحلة على معلومات هامة، تتعلق بحياة المقري الشخصية في تلمسان والمغرب الأقصى ومصر والشام والحجاز، يعالج في الرحلة الحياة الثقافية والأدبية في عصره، وتتضمن الرحلة معلومات تاريخية عن بلاد المغرب وأرض الحجاز واليمن، وبعض القضايا الفقهية والعقدية وغير ذلك.

وما يمكن ملاحظته هو أن الرحلة في عمومها لم تكن مجرد مشاهدات سياحية كما هو الشأن في أدب الرحلات، ولم تكن أيضاً صادرة عن حاجة سياسية أو طائفية، فالمقري لم يعن كثيراً بوصف ما شاهده من مظاهر العمران في المدن التي زارها في المشرق أو المغرب، ولعل مرد ذلك راجع إلى تعود الناس على مشاهدتها بل كانت مألوفة عندهم. بل نجده قد التفت إلى أبعد من ذلك، خصوصا ما تعلق بمظاهر الحياة العلمية، أين وصفها وصفاً ينم عن خبرة وثقافة عاليين لم نلمسهما عند من سبقه من الرحالين[2].

أما عن جديد ما تضمنه كتاب الرحلة في خصوصية المعلومات المتصلة بجانب تتعلق بحياة المؤلف الشخصية مثلا، الأمر الذي دفع بمترجميه إلى البحث عن مراجعة وتدقيق في حيثيات تلك الطروحات، " فقد ذكر مترجموه القدامى

---

[1]) فيما يخص عنوان الكتاب، وهو رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، يذكر المحقق في المقدمة أنه لم يعثر على كتاب بهذا العنوان ضمن قائمة مؤلفات المقري التي وضعها مترجموه القدامى والمحدثون، كما انعدمت الإشارة إلى أي عنوان في ثنايا الرحلة من طرف المؤلف. ويؤكد هذا الإشكال محقق الرحلة الذي اعتمد نسخة واحدة في التحقيق مبتورة البداية والنهاية، إلا أن مايمكن الاطمئنان إليه هو أن كتباً أخرى للمؤلف لا تزال في حكم المفقود، وأن بعض عناوينها تبعث على احتمال تطابقها مع محتوى الرحلة مثل كتاب الغث والسمين والرث والثمين، والبدأة والنشأة، وغيرهما. عبد القادر شرشار، كتاب الرحلة إلى المغرب والمشرق لأبي العباس المقري، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع98، السنة الخامسة والعشرون، حزيران 2005، ص:

[2]) أحمد المقري، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، المصدر السابق، ص:10.

والمحدثون" مثلاً أنه بنى بامرأتين فقط وهما زوجته المغربية التي بنى بها أيام إقامته في فاس وولدت له أنثى سنة 1026هـ كما أخبرنا في هذه الرحلة، وحين رحل إلى المشرق ترك المرأة وابنتها ولم يعد إليهما، وأما الزوجة الثانية فهي مصرية من عائلة السادات الوفائيين وقد بنى بها عندما استقر في القاهرة. غير أن نصوص الرحلة تفيد بأنه تزوج بثلاثة نساء وليس اثنتين فقط، فقد بنى قبل المغربية والمصرية بامرأة تلمسانية وهي بنت المفتي محمد بن عبد الرحمن بن جلال التلمساني مفتي تلمسان وفاس، ولم يخبرنا المؤلف فيما إذا كان زواجه منها قد تم بتلمسان أو ي مدينة فاس وتاريخ ذلك"[1].

أما عن أسباب رحلته من المغرب الأقصى إلى المشرق، فقد اضطربت حولها الآراء واختلفت الأقوال وإن كانت في مجملها تتفق على أنها سياسية، ومنها أن سلطان المغرب هو الذي أجبر المقري على مغادرة المدينة، وأنه خرج متخفياً، وهو رأي غير سديد بدليل ما ورد في الرحلة من أن المؤلف هو الذي استأذن ملك المغرب صاحب فاس وهو الغالب بالله عبد الله بن المأمون في السماح له بالرحيل. وقد أذن له في ذلك وكتب في شأنه رسالة من إنشاء محمد بن أحمد الفاسي[2] إلى سلطان الحجاز شريف مكة يخبره عن قدوم المؤلف إليه ويبلغه عن علمه وفضله ومكانته ويوصيه به خيراً.

كما تضمن كتاب الرحلة " مظهراً من مظاهر النشاط الثقافي للمؤلف، وهو المتمثل في إجازاته النظمية والنثرية التي أجاز بها طلبته وعلماء عصره، وقد فاقت العشرين إجازة، أما عن إجازات العلماء له، فقد تضمن الكتاب إجازة واحدة في هذا الشأن، وتتعلق بإجازة الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد

---

[1]) المصدر نفسه، ص:10.

[2]) أحمد المقري، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، ص ص:10-11.

الوارث الصيفي المالكي المصري للمقري، وجاءت مطولة ومؤرخة في شهر ربيع الأول سنة 1029هـ"[1].

إلى جانب احتواء كتاب الرحلة على مجموعة كبيرة من القصائد والمقطوعات من نظم المقري وبعض أدباء عصره، والكثير منها جاء ضمن قالب مدحي، كما شاع في عصر المؤلف ظاهرة التلغيز نظماً ونثراً، مثل ملاغزة المقري عالم الجزائر وفقيهها لسعيد قدورة، وإبراهيم السحوري، وعلي بن أحمد الفاسي في لفظ أمس، ومحمد بن عبد الرحمن الأعمش في كلمة رمضان[2].

وممّا جاء حول لغز سعيد قدورة مايلي: "كتب إلي مفتي الجزائر وعالمها وإمامها وخطيبها الأخ في الله سيدي سعيد الشهير بقدورة حفظه الله، لغزاً في القوس: (الرجز)

يا بارعاً أربى على ذوي النهى ولامعاً يسمو على نجم السهى
لفظ تراه في كتاب الله أتى مثنى يا أخا انتباه
ولم يثن فيه واصطحبه في السفر المبرور تستطبه

فأجابه المؤلف بما نصه(الرجز)

الحمد لله الذي ألهما لحل مُشْكلٍ عَرَا وأفهما
وصلواته على المُقَرَّبِ كقاب قوسين النبيِّ العربي
ثم الرضى عن صحبه وعترتِهْ الفائزين بمزايا إثرته
ووارثيه علماء الملة السعداء العاملين الجلة

---

[1]) المصدر نفسه، ص:74.

[2]) المصدر نفسه، ص:72.

وبعد: يا صدر الكمال والورع فقد أتانا نظمك الذي عجز عن ألفاظه قاريها، فأسلم القوس إلى باريها، وكيف لا وقد رمى عنها، فلم تحط شريد الفهم..."[1].

كما يلاحظ " تداخل كبير بين أخبار ورد ذكرها في نفح الطيب، وأعيد ذكرها في الرحلة، وقد يرد تكرار الحادثة نفسها في نص الرحلة ذاتها، ولعل ذلك يعود إلى أنّ المؤلف كان يعتمد في تآليفه على الذاكرة والحفظ دون سواهما؛ فلم تكن معه في دار الهجرة (القاهرة) مستندات أو مصادر يرجع إليها، اللهم إلا ما علق بذاكرته من معلومات"[2]. وربما هذا التكرار نتيجة إرهاق حلّ بالمؤلف فانعكس ذلك على الرحلة مما جعلها تتميز بكثرة الحركة والتأليف.

ومن بين الرحلات التي برزت خلال ذلك العهد " رحلة العربي المشرفي إلى نواحي فاس "[3]، وهي عبارة عن أرجوزة من 168 بيتا، أدمج فيها المؤلف مجموعة من الأشعار التي تحكي تفاصيل خروجه في طلب الرزق إلى القبائل المجاورة لفاس ومنطقة الغرب بعد مدة قصيرة من استقراره بفاس. وقد استهلها بقوله:" الحمد لله الذي جعل قلب المؤمن كناشا...فالغرض بهذا المجلد ذكر القصائد التي تقادم عهدها، وهي منسوبة لنا ففيه تجدد، ويبقى إن شاء الله ذكرنا بها نخلد"[4].

---

[1]) أحمد المقري، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، المصدر السابق، ص:72.

[2]) عبد القادر شرشار، كتاب الرحلة إلى المغرب والمشرق لأبي العباس المقري، ص:122.

[3]) العربي المشرفي، رحلة إلى نواحي فاس، مخطوط ضمن مجموع، الخزانة العامة، الرباط، تحت رقم:1246ك، ص ص:313-323.

[4]) المصدر نفسه، ص:313.

ويعرض المشرفي ضمن مؤلفه هذا بعض القبائل التي زارها، مثل: اشراكة وأولاد جامع[1]، سلاس والجاية[2]، أولاد عيسى[3]، سفيان وبني مالك[4]. وفيها يشكو من سوء ضيافة بعض هذه القبائل ويهجوها، مقابل إشادته بكرم وحسن ضيافة بعضها الآخر، كما هجا من سمّاهم بالبلديين من الأسر الفاسية، وقد ردّ عليه محمد الغالي بن المكي ابن سليمان الأندلسي[5].

ومن الرحلات المهمة خلال فترة الدراسة " رحلة المجاجي"[6] لصاحبها عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي[7]، وهي عبارة عن نظم اقتصر فيه على طريق العودة فقط، وبالتحديد بعد أداء فريضة الحج والخروج من مكة قاصدا

---

[1]) نفسه، ص:317.

[2]) نفسه، ص:321.

[3]) نفسه، ص:322.

[4]) نفسه ص:322.

[5]) ابن سوة عبد السلام، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، مطابع دار الكتاب، الدار البيضاء، 1965، ج2، ص:494.

[6]) توجد نسختين من هذه الرحلة بالمكتبة الوطنية الجزائرية، الأولى تحت رقم:1564، تحتوي على إحدى عشر ورقة(22 صفحة)، عدد أبيات الصفحة الواحدة يترواح ما بين 20 و24 بيتا. كتبت بخط مغربي حسن ومقررء، ذو لون اسود وأحمر، مشكولة النص ومضبوطة الشكل، مقاسها 16/28، تتخللها بعض الاضافات والحواشي. أما النسخة الثانية تحت رقم:1565، تضم إحدى عشر ورقة(22 صفحة)، موزعة على 22 بيتا في كل صفحة، باستثناء الورقة الأخيرة فهي من 8 أبيات. كتبت بخط مغربي حسن ومقررء، ذو لون اسود وأحمر، مشكولة النص ومضبوطة الشكل، مقاسها 16/21، تتخللها بعض الاضافات والحواشي ضمن الهامش.

[7]) عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، نسبة إلى مجاجة(شلف)، وبالرغم من أن اسمه بالكامل معروف، غير أننا لم نعثر على ترجمة له باستثناء ما تحدث عنه بأنه مجاجي الأصل والمنشأ. عبد القادر أوقاسي، فقهاء شلف خلال العهد العثماني، "عبد الرحمن المجاجي نموذجا"، مجلة عصور، مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، جامعة وهران، ع5/4، 2003، ص:20.

زيارة المدينة المنورة. ويشير أبو القاسم سعد الله على أنها مبتورة الأول[1]، ولكن يظهر أنّ ما وجد في أولها خارج عن مضمون الرحلة، ودليل ذلك أنّ معاني الأبيات جاءت كاملة متناسقة ذات وحدة موضوعية لم يختل معناها في أي بيت من الأبيات، أمّا عن احتمالات ذلك البتر فقد يكون خاصا بالمؤلف، أو تقديم لمحتوى الرحلة أو أسباب تدوينها وما إلى ذلك.

إنّ المتمعن لرحلة المجاجي يدرك من أول وهلة أنها ليست على نسق موسيقي واحد مع سلاسة وبساطة العبارة؛ ليكتشف لعد الغوص في كنهها وعمقها أنها جاءت منتظمة المراحل، واضحة الأهداف، راجحة المقاصد، دقيقة المعاني، جلية المفاهيم، محددة المواضيع، وكأن صاحبها فنان رسم للوحة زيتية، بحيث كل خط ولون فيها يعرّف عن نفسه بصريح العبارة.

ولكن مع كل ذلك نلاحظ أن بعض الأفاظ تتكرر من حين لآخر، بقصد أو بدونه، لأن المؤلف لا غنى له عنها، مثل: نزلنا[2]، رحلنا[3]، أقمنا[4]، زرنا[5]، دخلنا[6]، تجاوزنا[7]، وغيرها. ولكنها لا تخلّ بالمعنى ولا تفسد الأسلوب.

---

[1]) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص:388.

[2]) عبد الرحمن بن محمد المجاجي، رحلة المجاجي، دراسة وتحقيق آل سيد الشيخ سعاد، مذكرة ماجستير، إشراف أ.د عبد المجيد بن نعمية، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2008/2007م، الأبيات، رقم(4، 130،...)، ص:63.

[3]) المصدر نفسه، الأبيات، رقم(23، 201، 206،...)، ص:63.

[4]) نفسه، الأبيات، رقم(80، 81، 193،...)، ص:63.

[5]) نفسه، الأبيات، رقم(54، 55، 83، 132،...)، ص:63.

[6]) نفسه، الأبيات، رقم(7، 32، 153،...)، ص:63.

[7]) نفسه، الأبيات، رقم(67، 76، 82،...)، ص:63.

ولعلّ الهدف من رحلة المجاجي هو التحديد الجغرافي للمعالم التي في طريق الحجّ، مبينا فيها الدروب السهلة والوعرة، من حيث توفر المياه، والمئونة، والأمن لتيبصر من يأتي بعده من الحجيج، فهو مقلد لمن سبقه من الرحالة.

ومن يمعن النظر في هذه الرحلة، يجد عباراتها فصيحة بسيطة التعبير، محتوياتها تجمع بين دفتيها معلومات في فنون شتى مثل: التصوف، والتاريخ، والتراجم، والجغرافية، والبلاغة وغيرها من العلوم الأخرى، ثم إن أكثر ما يشد انتباه المؤرخ إليها هو احتواؤها على مادة خبرية تاريخية كانت أم جغرافية، بحيث تكاد تكون مرآة عاكسة لعصر المؤلف، غير أنها معلومات متناثرة هنا وهناك بين طيات أبيات الرحلة.

أمّا عن الإشارات الدينية فهي جلية وواضحة، تعكس الطابع الصوفي الذي صبغ المجاجي به رحلته، وهذا من خلال مدحه للمتصوفة والعلماء، سواء الذين رافقوه أو ممن التقى بهم في طريق الحج[1].

أمّا عن المنهج المتّبع في رحلة المجاجي، فيظهر أن المؤلف كان منسق غايـــة التنسيق في قصيدته، مما قد يرجح أنه صاغها بعد عودته بزمن كاف، خصوصا أنه اقتصر فيها على رحلة الإياب فقط؛ ونظرا تلك الدقة المتقنة نجده يعرف متى يعلق على الخبر، ومتى يذكر القصة التاريخية. أو المسألة الفقهية مع قلتها[2].

إنّ دقة المجاجي الوصفية تجعلنا نعتقد بأن له إطلاع واسع بالكتب ومؤلفات السابقين سواء كانت رحلات أوغيرها من كتب التاريخ والسير. حيث نجده يخرج

---

[1]) عبد الرحمن بن محمد المجاجي، رحلة المجاجي، مذكرة ماجستير، ص:64.

[2]) المصدر نفسه، ص:67.

من شبه الجزيرة العربية، ليصل الى مصر، ثم بلاد المغرب الاسلامي ليختمها بموطنه بالجزائر. فشاهد فيها المدن الكبيرة؛ ليصورها لنا تصويرا يتفاوت في الطول والقصر، ووفقا لأهمية تلك المدن عند المؤلف[1].

إلى جانب مدة إقامتهم بها في بعض الأحيان، مركّزا في الوصف على ثلاثة نواحي: المرافق والمشاهد والأرباض، فالمرافق تضم: المساجد، والمياه، والأسواق، والمنازل، والأبواب، والحقول والبساتين. أمّا المشاهد فهي: مشاهد المقابر، وآثار الأنبياء والصحابة، والعلماء، والأولياء والمواقع الإسلامية. أمّا الأرباض فتضم:الأحياء والضواحي كالقرى مثلا، وأسماء بعض المواقع، وحتى بعض الوديان والجبال[2].

ولسنا نعني بوصفه هذا لكل مدينة، فتارة يأتي بأكثرها، وتارة أخرى يهمل أكثرها، حسب أهمية كل بلد. ولكنه في المقابل لم يتكلم عن شعائر الحج التي كانوا يقومون بها أو الاحتفالات الدينية مثل الأعياد باستثناء عاشوراء التي ذكرها وهم في طريق الحجاز.

كما نجد المجاجي في رحلته يعتمد على مصادر متعددة منها المصادر العيانية والشفوية والمكتوبة. فالمصادر العيانية وتتمثل في مشاهدة المجاجي المباشرة للأشياء التي تأثر بها، وأعطاها حيزا كبيرا وأهمية كبيرة في نفسه. ونلمح ذلك التاثر من خلال استعمالة لعبارات كان قد ساقها بمناسبة زياراته العديدة لأضرحة الأولياء والعلماء، وتنقلاته بين المدن والقرى، حيث نجده يقول في بعض الأبيات:(الطويل)

---

[1]) المصدر نفسه، ص:67.

[2]) عبد الرحمن بن محمد، رحلة المجاجي، مذكرة ماجستير، المصدر السابق، ص:67.

رأيناه بأبصارنا مع شيخنا وقرأ منه أيضا حزب البقرة
ولا يوجد بناؤها في جميع ما رأته عيوني في مدائن كثيرة[1]

أمّا المصادر الشفوية وهي الأخبار التي تلقاها المجاجي مباشرة عن عدة أشياخ معاصرين له مثل قوله:(الطويل)

كذاك سمعنا عمن له بهم خبرة وهو صحيح بالدليل وحُجّة[2]

ومن المصادر المكتوبة اعتماده على كتاب" الكبريت الأحمر في بيان معرفة علوم الشيخ الأكبر عبد الوهاب الشعراني. وهو تلخيص لكتاب الفتوحات المكية لابن عربي. إلى جانب اعتماده أيضا على كتاب " المستطرف في كل فن مستظرف لشهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي. وكان اعتماده على كتاب شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني. إلى جانب اعتماده على كتب السير مثل كتاب " ألفية العراق في السيرة النبوية، وكتاب " الدرة المنيفة " لأبي الحسن السجلماسي[3].

من خلال ما سبق يتبين لنا أن تلك المصادر التي اعتمدها المجاجي في رحلته، ورغم إشاراته القليلة للمؤلفات، توحي أنه كان حريصا على الإتيان بالخبر والمعلومة الصحية من أصلها، ليقدمها للباحث والمهتم بهذا النوع من الرحلات.

وإذا تتبعنا كنه رحلة المجاجي ومعالمها الثقافية لمحنا وبجلاء تجسيدها عند المجاجي، ويظهر ذلك بجلي، مدى التأثر الروحي بالفكر الصوفي، وحبّ أهله ورواده، فنجده لا يسمع عن وجودهم إلا وهبّ إلى موضعهم. وهو ما نلحظه من

---

[1]) المصدر نفسه، ص:68.

[2]) رحلة المجاجي المخطوطة، الأبيات، رقم(141، 150، 197)، و:4و، و:4ظ، و:5ظ.

[3]) عبد الرحمن بن محمد، رحلة المجاجي، مذكرة ماجستير، المصدر السابق، ص:71.

خلال تلك المزارات التي كان يجوبها في كل مصر من الأمصار، مثل مصر والأسكندرية مرورا بأرض المغرب إلى جانب تلك المزارات الموجودة بالمدينة المنورة. وإذا حاولنا إلتماس العبارات الصوفية، وجدنها تكاد تنحصر ضمن ثلاث أو أربع كلمات متكررة، وهي:" تبركنا به"[1]، و" دعونا عند المقام"[2]، و" دعونا بجاهه"[3]. ومنها أدركنا تلك الميولات والتوجه الصوفي للمجاجي.

وفي كل تلك المزارات نجد أكثر المشاهد المتكررة فيها، ظاهرة التبرك بالمقام أو الدعار عنده، وأحيانا التوسل بجاهه للمولى عزّ وجل، ليستجيب دعواتهم. وأحيان يقرأون بعض كتب المتصوفة القدامى مثل كتاب دلائل الخيرات لأبي عبد الله بن سليمان الجزولي، ومنها قوله:(الطويل)

دليل الخيرات عنده قد ختمته   فيا لها من سعادة في صبيحة

وقوله أيضا:(الطويل)

مقام ولي فيه حمروني نسبة   يسمى بعبد الله شسخ طريقة
تبركنا به في الطلوع لقصدنا   وقد طلبناه في الدعا بقريحة
وفيها ضريح صاحبي ومقامه   رفيع هناك وهو أبو لبابة
ذهابا وتبركنا به وطلبنا في   مقامه من الله حين طليعة[4]

وما يمكن قوله على رحلة المجاجي، أنها لم تعط الكثير حول تراجم العلماء والأعلام المذكورين فيها، ولكن أعطت ملامح عن تلك الشخصيات الهامة.

---

[1]) عبد الرحمن المجاجي، رحلة المجاجي، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم:1564، الأبيات، رقم(92، 213 ، 220)، و:3و، و:6و.

[2]) المصدر نفسه، الأبيات، رقم(47،185،220)، و:2و، و:5و، و:6و.

[3]) نفسه، الأبيات، رقم(324، 404)، و:8ظ، و:10ظ.

[4]) نفسه، الأبيات، رقم(212، 220)، و:6و.

وممّا يسجل على رحلة المجاجي أنّ صاحبها كان ملتزما بالموضوعية إلى حد ما، وخاصة في الاشارات الوصفية لبعض المناطق التي كان يمرّ بها وإن كانت قليلة، للصياغة الشعرية التي فرضها على رحلته، بخلاف رحلة الورتلاني مثلا، والتي تمكن صاحبها من تسجيل كم هائل من المعلومات التي تمسّ الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية خاصة. وقد ساعده في ذلك الصياغة النثرية التي وصل فيها إلى حوالي ثمانمائة صفحة[1].

وبالرغم من ذلك، فقد حظيت رحلة المجاجي منذ أن كانت مخطوطة بالاهتمام من قبل أهل مجاجة، وفقا لما يؤكده أحد أحفاد المجاجي بقوله:" وهب موجودة الآن فمن شاء فلينظرها بالعيان"[2]. ونظر لاعتماد رحلة المجاجي خط السير المنتظم، يمكن إحصاء عدد أبيات كل مرحلة سفرية مرّ بها، وما خصصّه لكل قطر. فمثلا خصّ بلاد الحجاز بــ(75 بيتا)، ومصربــ(76 بيتا)، أما بلاد المغرب (برقة، طرابلس، تونس، الجزائر) بــ(230 بيتا)[3].

إنّ الوصف الذي يقدمه لنا المجاجي، في رحلته من أرض الحجاز إلى مدينة الشلف بالجزائر، وإن كان وصفا مقتضبا، يجعلنا نأخذ من خلاله فكرة بسيطة حول الظروف التي يؤد فيها الجزائريون هذه الفريضة، ومدى شوقهم إلى زيارة الأماكن المقدسة، بالرغم من الصعوبات التي كانوا يواجهونها في خضم ذلك. غير أن النقص الذي يوجه لهذه القصيدة هو أنها لا تعطي تفصيلا دقيقا حول

---

[1]) الفيلالي مختار بن طاهر، رحلة الورتلاني، عرض ودراسة، دار الشهاب، الجزائر، 1970، ص ص:50-51.

[2]) الجيلالي فلاق بن علي، مخطوط علماء مجاجة، نقلا عن: رحلة المجاجي، دراسة وتحقيق آل سيد الشيخ سعاد، مذكرة ماجستير، إشراف أ.د عبد المجيد بن نعمية، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2008/2007م، ص:66.

[3]) المصدر نفسه، ص:66.

أحوال المناطق التي مرّوا بها. ولهذا فإنها لا تكتمل إلآ بالاستعانة برحلات أخرى أكثر تفصيلا كرحلة الجبرني، وأبن أبي الضياف، والدرعي والعياشي والوركلافي. فنجدها تساهم بقدر كبير في إعادة بناء التاريخ العربي الحديث سواء في الجزائر أو قلة الوثائق وندرتها وحتى القرن الثاني عشر إن لم نقل العهد العثماني عامّة.

ومن الرحلات أيضا رحلة ابن هطال التلمساني المسماة " رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي"، وهو تأليف مهم يؤرّخ لأحداث تاريخية ببايلك الغرب. وإن كان سبب تأليف هذا الكتاب هو الباي محمد الكبير، الذي كان شخصية جديرة بتسليط الأضواء، نظرا لتقلبه في مناصب مختلفة، وشهد تطورات كثيرة وساهم هو بقسط وافر في خلق مناصب وظيفية، شغلها ابن هطال وغيره للقيام بها على أكمل وجه. كل هذا لا يمنع من أن أهمية تأليف ابن هطال تزادا أكثر فأكثر؛ خصوصا حين تناوله لبعض الاشارات الجغرافية والاجتماعية والسياسية والعسكرية والأدبية، والتي لا يمكن للدراس للعهد العثماني أن يستغني عنها[1].

وأمّا عن غرض تأليفه لهذا الكتاب يقول ابن هطال:" أردت أن أذكر منه نبذة أخدم بها قامع المبغضين، ومدوخ المارقين، من جمع الله له خصال الشرف والمجد، وموجبات الشكر والحمد،...السيد محمد باي ابن مولانا السيد عثمان باي،...مقتصرا على ذكر خروجه إلى جهة القبلة، عام تسعة وتسعين ومائة وألف بالنقلة، مقدرا بالسوائع مراحله ومبينا منازله ومناهله"[2].

---

[1]) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراي في تاريخ الجزائر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط3، 1990، ج1، ص ص:357- 358.

[2]) ابن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي، مخطوط خزانة الشيخ بلقرد، معسكر، و:1و.

فابن هطال التلمساني يعرض لنا تلك الحملة التي قام بها الباي محمد الكبير، والتي قادته إلى الجنوب الصحراوي لاخضاع أهلها إلى السلطنة، كما يقول:" اعلم أنه لما اتفق نظر سيدنا المذكور أطال الله بقاءه وأيامه، وجعل النصر دائما خلفه وأمامه، في جهة القبلة أنها ذات بلدان كثيرة، وأعراب راحلة ومقيمة غزيرة، إلاّ أنها لم تنلها أبدا السلطنة، ولم يكن منها لملك مصلحة ولا منفعة معينة، كأنها أمة أبقت من أهلها، أو حرّة نشزت من بعلها، فشمّر لها عن ساعد الجدّ...فجمع جموعه وقواده ونشر أعلامه، ولم يزد على أن كان جيشه حشمه وخدّامه"[1].

ويواصل ابن هطال وصفه لخروج الباي من معسكره، وأهم القابئل التي انقادت إليه، وذلك من خلال قوله:" فخرج يوم الخميس التاسع من ربيع الأول بقومه وعسكره، من المعسكر التي هي محل وطنه ومعسكره، فنزل وادي الزلامطة بغير آفات، وبينه وبين المعسكر ست ساعات، ولما نزل أتوه أهل انقاد يطلبون منه التوجه لناحيتهم،...وأصبح مرتحلا يوم الجمعة ونزل وادي العبد، ومسافة ذلك خمس ساعات،...وأقام هناك بالغد...وارتحل يوم الأحد ونزل دير الكاف وبينهما من المسافة يت ساعات،...وفي يوم الاثنينترك المحلة مقيمة هناك وركب غازيا على العمور، فمشى ثمان ساعات حتى نزل البيض في المجدور،...ثم أتم بقية ليله حتى أصبح في عين سيدي علي، وتقدير هذه المسافة تسع ساعات..."[2].

إنّ هذا الوصف الدقيق، وخصوصا وأنه يستعمل تقدير الزمن الساعي في كل تحركات الباي، وهذا ما يجعل من هذه الرحلة على أنها شبه تقرير، لابد من

---

[1]) ابن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري، المصدر السابق، و:2ظ.

[2]) المصدر نفسه، و:2ظ.

كتابته باعتبار أن ابن هطال يعد كاتبا ومستشارا وديبلوماسيا لدى الباي محمد الكبير، وهو ما دفعه بتسجيل تلك الحملة.

ومن أهم الاشارات الجغرافية التي نلمحها في هذه الرحلة، حديثه عن بعض القرى والأودية مثل: وادي الزلامطة، ووادي العبد، ووادي مرة، وعيون الماء، ومن ذلك قوله:"...وبهذه الدار عيون كثيرة وماؤها عذب سائغ للشاربين"[1].

ومن الاشارات العسكرية والحربية نجد ابن هطال التلمساني يذكر في إحدى غارات الباي على بعض القبائل، تنظيم صفوف جيشه بقوله:"...ولكل طائفة مركزها، فكانت الزمالة أسفل الجبل من الجهة القبلية، والترك عن يسارهم في قمة الجبل المتصل بالمدينة المبلية، وعن يسار الترك المادفع في أسفل الجبل من الجهة الغربية قبالة باب المدينة من المعابر، وعن يسار المدافع من الجهة الغربية أيضا الدواير، وعن يسارهم من الجهة البحرية مخزن الشرق،...هكذا عينهم سيدنا أيده الله".

إن هذا الوصق الدقيق لتنظيم الجيش قبل المعركة، ينم عن مدى دقة ابن هطال التلمساني في الوصف، باعتباره كاتبا ومستشارا لدى الباي محمد الكبير، وهذا ما يجعله يسجل كل كبيرة وصغيرة عن تلك الرحلة، التي يرفعها ضمن شبه تقرير فيما بعد إلى عناية الباي محمد الكبير.

ويختم ابن هطال التلمساني رحلته، متحريا في ذلك الأمانة والصدق، دون تكلف، وعدم اخلال، بقوله:" قد انتهى ما كنا أردنا جمعه، وكمل المراد الذي انتخبنا وضعه، وتحرينا فيه جهدنا، وجعلنا الاختصار وعدم التكلف فيه قصدنا"[2].

---

[1]) ابن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري، المصدر السابق، و:4و.

[2]) المصدر نفسه، و:11و.

الفصل الثاني: فنون اللغة والنثر الأدبي

من المعلوم أننا نكاد نجهل كل شيء عن جذور الثقافة العثمانية ببايلك الغرب، خلال هذه الحقبة الغامضة الممتدة ما بين القرن السابع عشر والثامن عشر، ويبدو أنّ ما تحقق ببايلك الغرب من تطور شامل لمختلف فروع المعرفة خلال البدايات الأولى للعهد العثماني، كان له بالغ الأثر في حجب الأصول السابقة، وذوبان ثمرات العطاء الفكري رغم شحّه خلال تلك الفترة. لينصهر في بوتقة ما أصبح يعرف ضمن الدراسات المعاصرة بالفكر العثماني أو العهد العثماني.

وقد حاولنا إبراز الدور الثقافي الذي لعبه متصوفة بايلك الغرب، من خلال التركيز على بعض البصمات القليلة التي احتفظت بها لنا أيادي هؤلاء المتصوفة، التي أفلتت من يد الدهر، واستمرت مطبوعة في وشم الذاكرة التاريخية لأكثر من حقل معرفي. ولعلّ فيما أمكن من انتشاله من طي النسيان، ما يفصح عن موقع بايلك الغرب، في وضع أسس وركائز قويمة مؤسسة للصرح الثقافي الذي تألق بالعهد العثماني.

إنّ في مجموع هذه العناصر ما يكشف عن دور متصوفة بايلك الغرب المركزي والحضاري، في صيانة جزء مهم من تراث علمائنا ببايلك الغرب، لتمتد آثاره لاحقا إلى كافة ربوع الغرب الإسلامي، في حلقة شبه مفقودة، لم تتمكن الدراسات المعاصرة التي أنجزت لحد اليوم من الإمساك بخيوطها الموجهة. ولم يقتصر اهتمام علماء ومتصوفة بايلك الغرب على الفقه والمسائل والوثائق، بل

شمل اللغة والأدب أيضا؛ فقد كانت عنايتهم بقواعد اللغة العربية[1] واشتقاقاتها، من نحو وصرف، وما إلى ذلك من إعراب، ومعاني وبيان وبديع.

1- فنون اللغة:

وحيث أنّ اللغة من الوسائل المُعِينَة في فهم النصوص القرآنية والنبوية، فقد اعتبر بعضهم العلوم اللغوية علوما شرعية، كما يطلق عليها علوم الملة[2]. ورغم أنّ هؤلاء المتصوفة لم يؤلفوا كثيرا في علوم اللغة، فإنه من أنبل وأكمل ما وصلنا من التآليف في هذا الباب، كتاب أبو راس الناصر[3] الذي ألّفه في علم النحو سمّاه" الدرة اليتيمة التي لا يبلغ لها قيمة"[4]. فقد تناول فيه أمور النحو من إعراب ومحل جمل وإضافة، وقد حلاّه تلميذه مصطفى بن عبد الله الدحاوي بقصيدة منها:(بحر البسيط)

فَثَنَيْتَ عِنَانَ نُصْحِكَ لِلنَّحْوِ وَفِيهِ شَفَيْتَ كُلَّ غَلائِلِ

كما كان لأبي راس تأليف آخر على مقامات الحريري[5] سمّاه"الحلل الحريرية

---

1) كانت دراسة اللغة العربية تجر إلى دراسة الآداب العربية شعرا ونثرا؛ لأنّ مجال تطبيق القواعد المدروسة كان هو النص الأدبي، وكان للأديب شيوخه وأساتذته.

2) عبد المجيد الصغير، التصوف كوعي وممارسة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء،ج2، ص:81.

3) أنظر ترجمته:الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، ص:332. عمر حكالة، معجم المؤلفين، ج9، ص:25. فهرس الخزانة العامة، الرباط، ص:42.

4) بوعزيز يحي، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1995، ص:238.

5)الحريري(446-516ه=1054-1122م):القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد الحريري البصري: الأديب الكبير، صاحب " المقامات الحريرية"، ومن كتبه" درة الغواص في أوهام الخواص"، "ملحة

في بيان المقامات الحريرية"[1]، وهو من بين الشروح القيمة التي تطرق إليها بالشرح والتحليل، وإعطاء الأمثلة والتشبيه، فقد مهد لشرحه هذا بمقدمة هامة عن حالة الأدب في عصره وما أصابه من ركود وجمود، كما حشاه بتوظيف محفوظاته من أشعار وعجائب ولطائف ونوادر وغرائب وحكايات من تاريخ الأدب العربي، ولاسيما القديم والوسيط منه، فهو بذلك يبرز تفننه في صناعة الأدب.

ويعد تأليفه هذا من أروع التآليف التي صنفها أبو راس في مجال اللغة، التي تعتبر " أعلى مقامات أهل الفصاحة، ونور يضيئ بهم كل فناء للكلام العربي وساحة، حتى سما على غيره وامتاز، بلطائف الآداب واللغا[2] وأفرغوا معانيها في قالب الإيجاز، وشيدوا مبانيها بدلائل الإعجاز، نظما ونثرا باهر الصّدور والإعجاز، وأتحفوها بطرف الكناية والمجاز"[3]، وممّن امتدح تأليفه هذا عبد القادر بن السنوسي[4] بقوله:(بحر الوافر)

أَيَا مَقَامَاتِ الفَتَى الحَرِيرِيُ بُشْرَى لَكُمْ بِحُلَّةِ الحَرِيرِ
نَسْجَ الأدِيبِ اللَّوْذَعِيُ الفَاضِلُ النَّاصِرِيُ هِبَةَ النَّصِيرِي

الإعراب "، "صدور زمان الفتور وفتور زمان الصدور" في التاريخ، " توشيح البيان" نقل عنه الغزولي، وله شعر حسن في " ديوان "، " ديوان رسائل". خير الدين الزركلي، الأعلام، ج5، ص:177.

1) اطلعنا على نسختين من هذا الشرح بالمكتبة الوطنية الجزائرية وهو مسجل تحت رقم:1893، ومجلدة تجليدا أنيقا، مكتوب بخط مغربي واضح، تتوزع فيه الألوان ما بين الأسود، والأحمر والأخضر.

2) للضرورة السجعية، وتناسق العبارات فيما بينها.

3) محمد أبو راس الناصر، الحلل الحريرية في بيان المقامات الحريرية، المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم:1893. ج1، و:1و.

4) مما يلفت للإنتباه أن حجم الجزء الأول من هذا الشرح بلغ 257 ورقة، مع بياض من ورقة 147 إلى 150، ويتصدر فاتحة هذه النسخة أبيات مدح بها هذا الشرح من نظم السنوسي بن عبد القادر الدحاوي، وهي التي أشرنا إليها في الهامش.

ذاكَ أبُو رَاسٍ أخُو المَزَايَا حَقَّ إلَيْهِ الجِدُّ فِي المَسِيرِ
فَيَا لَهَا مِنْ حُلّةٍ بَهِيَةٍ تَرَصَعَتْ بِدُّرِهَا النَثِيرِ
بِهَا المَقَامَاتُ ارْتَقَتْ وَرَاقَتْ كَرَوْضَةٍ بِزَهْرِهَا النَّظِيرِ[1]

وقد خمسّها السنوسي بن عبد القادر بن السنوسي[2] بقوله:(بحر البسيط)

حَمَامَةٌ يَا لَكَ مِنْ هَدِيرِ أذْكَرْتِنِي سَلْمَى لَدَى الأمِيرِ
جِئْتُ وَأَنْشَدْتُهُ فِي التَّبْشِيرِ أيَا مَقَامَاتِ الفَتَى الحَرِيرِي[3]

إلى أن يقول:(البحر البسيط)

أعْظِمْ بِهَا مِنْ حُلَّةٍ قَدْ تَمَّا شَبَابُهَا نَاهِدَةٌ وَنَمَا
بِهَا شَذَا المِسْكُ وَقَدْ أعَمَّا لُحُسْنِهَا جَدِيرٌ أَنْ تُسَمَّى[4]

1) محمد أبو راس الناصر، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تح: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1990، ص:70.

2) يقول في معرض آخر عن مدحه لمقامات الحريري لأبي راس:" ولكاتبه عبد ربه الراجي عفوه ورضاه، السنوسي بن عبد القادر، أمّنه الله. آمين! في مدح هذا الكتاب الذي أعجز بيانه وتبيانه فحول المنشئين والكتّاب، من فحول التصانيف والتآليف والآداب: مَا كُنْتُ أَحْسَبُ قَبْلَ هَذَا أَنْ أَرَى جَنّاتِ عَدْنٍ دَاخِلَ الأَوْرَاق

حَتَّى تَصَفَّحْتُ لِلإمَامِ النَّاصِرِي حُلَلَ الحَرِيرِي جَلِّيَةَ الإشْرَاق
فَعَلِمْتُ أَنَّهَا جَنَّةٌ حَصْبَاؤُهَا دُرَرٌ وَأَرْضُهَا مِنْ تِبْرِ بَرَّاق
زُفت لقارع بابها مشغوفة حُورُ المَقَامَاتِ بِالجَمَالِ الرَّاقِي

ينظر: أبو راس الناصر، النكت الوفية للشيخ المكودي على الألفية، المصدر السابق، و:71و.

3) البشير محمودي، ديوان قصائد لمؤرخين جزائريين، و:137ظ.

4) وللشيخ الطاهر بن عبد القادر المشرفي مدح لكتاب مقامات الحريري لأبي راس:

وَفِي سِلْكٍ مِنْ حَرِيرٍ نُظِمَتْ دُرُّ الحَرِيرِي
لِأَبِي رَاسٍ الأَمِيرِ حُجَّةِ المَوْلَى القَدِيرِ

ولأبي راس أيضا شرحا أدبيا لغويا سمّاه" النكت الوفية للشيخ المكودي على الألفية"[1]، ضمنه أشعارا وعجائب ولطائف وغرائب ونكت وطرائف، ممّا يجعل القارئ لا يمل قراءته. مبينا غرضه من هذا التأليف[2]، وهو طلب بعض الإخوة من أبي راس وضع شرح على نكت ألفية المكودي، حيث سمّاه بالنكت الوفية للشيخ المكودي[3] على الألفية"[4].

وممّا جاء فيه في باب الإضافة قوله:" الإضافة نونا تلي في الإعراب أو تنوينا، فما تضف احذف كطور سينا، يعني إذا أردت إضافة اسم على اسم حذفت ما في المضاف من نون تلي علامة الإعراب أو التنوين، وشمل النون نون المثنى والجموع وما الحق بهما نحو غلامك واثنا زيد وصاحبهما على حده"[5].

ينظر: أبو راس الناصر، فتح الإله ومنته، المصدر السابق، ص:71.

1) محمد أبو راس الناصر المعسكري، النكت الوفية للشيخ المكودي على الألفية، الخزانة العامة بالرباط، المملكة المغربية، ج1، ك6، و:1.

2) النكت الوفية للشيخ المكودي على الألفية، نسخة خزانة الشيخ البشير محمودي، ج1، و:1.

3) المكودي(ت807ه/1405م):عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي، أبو زيد: عالم بالعربية، نسبته إلى بني مكود (قبيلة قرب فاس) ومولده ووفاته بفاس. له (شرح ألفية ابن مالك) في النحو، و(شرح مقدمة ابن آجروم) و(البسط والتعريف في علم التصريف) منظومة، و(شرح المقصور والممدود، لابن مالك). الزركلي، الأعلام، ج3، ص:318.

4) اطّلعنا على هذه النسخة بالخزانة العامة بالرباط بالمملكة المغربية، وهي بخط جزائري متوسط ملون خال من تاريخ النسخ واسم الناسخ، كما صدرت الحاشية بتقريظ لمحمد الأميري المصري بخطه الشرقي المذيل بطابعه، ويقع هذا الشرح في نحو 380 ورقة، بمسطرة 21، وبمقاس 15،5/20،5. كما اطّلعنا على نسخة أخرى بخزانة الشيخ البشير محمودي، البرج معسكر. ينظر:محمد المنوني، فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط، الخزانة الكتانية1، منشورات الخزانة العامة للكتب والوثائق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1999، م6، ص:146.

5) محمد أبو راس الناصر المعسكري، النكت الوفية للشيخ المكودي على الألفية، و:157.

وللشيخ عبد القادر بن عبّ المشرفي كتابا على شرح المكودي على الألفية، سمّاه" شرح مختصر على ألفية بن مالك". وقد وصفه صاحبه على أنه " شرح مهذب المقاصد واضح المسالك، تفهم به ألفاظها، ويحث فيها حفاظها معرب عن إعراب أبياتها..." ويبين عبد القادر بن عبّو الباعث على تأليفه لهذا الشرح، " أنّ بعض الطلبة...طلبوا مني أن نضع لهم شرحا على نحو ما ذكرت وأبيّن ألفاظها ومعانيها على حسب ما وصفته"[1].

وقد عالج أبي راس ضمن تأليفه هذا مسائل عديدة نحوية، حيث تطرق إلى مسألة جمع التكسير، معرفا إيّاه بقوله:"إنّما سُمّي جمع التكسير، لتغير بناء الواحد فيه، والتكسير هو التغيير، ومقابلة جمع السالم ثمّ إن جمع التكسير على قسمين[2]، جمع قلة وجمع كثرة"[3].

كما للشيخ أبي طالب أحمد بن محمد الغريسي[4] كتابا في اللغة سمّاه "الليالي في القلب والإبدال" وهو كتاب نفيس مدح فيها "الشدياق"[1] حينما أصدر كتابه "السرُّ الليالي في القلب والإبدال"، وهو عبارة عن أرجوزة ممّا جاء فيها(بحر الوافر):

---

1) عبد القادر بن عبو المشرفي، شرح مختصر على ألفية بن مالك، خزانة مسجد الباي بالكرط، معسكر، و:1ظ.

2) المصدر نفسه، و:230و.

3) مما جاء في بدايتها قوله:" فالحمد لله على ما منح من التسيير والتسهيل، وفتح من التبصرة والتكميل، فهو حسبي ونعم الوكيل، وصلي الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، كمل الكتاب بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل، على يد العبد المذنب العاصي لمولاه الراجي رحمة سيده ومولاه، أسير ذنبه ورهين كسبه، عبد القادر بن محمد بن عبد الله بن عبوّ المشرفي...وكمل الفراغ منه ضحوة يوم الخميس، وهو آخر شهر الله المعظم رمضان في السنة الثالثة عشر من القرن الثالث عشر". عبد القادر بن عبّو المشرفي، شرح مختصر على ألفية بن مالك، و:1ظ.

4) أبو طالب الغريسي الراشدي:هو أبو طالب أحمد بن محمد بن عبد القادر بن علي أبي طالب الراشدي الحسني، ولد عام 1252هـ زاول دراسته بالمغرب الأقصى، أديب متمكن من علوم اللغة العربية، كما كان

سنا سر الليالي أضاء ليلا فأنساني مسامرتي لليلى
وذكرني المثاني لا المباني وأذهلني ورواني وعلا
ففي أدراجه عين المعاني معينا من مذاقته وأملا
مسائله تحاكي في انسجام لمن لعسا بتول حيت تتلى
فَمَا خَطَرَتْ عَلَى فِكْرٍ ولَكِن بِفِكْرَةِ فَارِسُ الآدَابِ تَحَلَّى
وَحِيدٌ فِي الفَصَاحَةِ لاَ يُجَارَى فَرِيدٌ فِي البَلاَغَةِ لاَ يُجَلَّى
أَصَابَ بِفَهْمِهِ غَرَضَ المَعَالِي وَجَارَ بِحَزْمِهِ القَدَحُ المُعَلَّى
وكَمْ جَابَتْ جَوَائِبُهُ بِلاَدًا وَجَابَ بَيَانَهَا حُزَمًا وَسَهْلاً
بُنِيَتْ لَكَ الوِدَادَ أَبَا سُلَيْمٍ عَلَى عَهْدٍ يَدُومُ لَهُ مَحَلاً
فَدُمْ بَدْرَ السَّعَادَةِ فِي البَرِيَا وَمَنْ يَشْنُئُكَ يَلْقَ أَسَى وَذُلَّا

ولمسلم بن عبد القادر[2]، رسالة في الأمثال والحكم والتي سمّاها" أنيس الغريب والمسافر في طرائف الحكايات والنوادر[1]"، وهو عبارة عن كتاب صغير

شاعرا ماهرا توفي سنة1307هـ.جيلالي جلول، معسكر رجال وتاريخ، منشورات دار الأديب، وهران، د ط، 2006، ص ص:139- 143.

1) الشدياق:(1219-1304ه/1804-1887م):أحمد فارس بن يوسف بن منصور الشدياق: عالم باللغة والأدب، ولد في قرية عشقوت (بلبنان) وأبواه مسيحيان مارونيان سمياه فارسا، ورحل إلى مصر، فتلقى الأدب عن علمائها، ورحل إلى مالطة فأدار فيها أعمال المطبعة الأمريكانية، وتنقل في أوربا، ثم سافر إلى تونس فاعتنق فيها الدين الإسلامي وتسمى (أحمد فارس) فدعي إلى الآستانة فأقام بضع سنوات، ثم أصدر بها جريدة (الجوائب) سنة 1277ه فعاشت 23 سنة. وتوفي بالآستانة، ونقل جثمانه إلى لبنان. من آثاره:(كنز الرغائب في منتخبات الجوائب مخطوط) سبع مجلدات، اختارها ابنه سليم من مقالاته في الجوائب، و(سر الليال في القلب والإبدال) في اللغة، جزآن، طبع الأول منهما و(الواسطة في أحوال مالطة مخطوط) و(كشف المخبأ عن فنون أوربا مخطوط) و(الجاسوس على القاموس مخطوط). خير الدين الزركلي، الأعلام، ج1، ص:193.

2) مسلم بن عبد القادر الوهراني:(ت1248 هـ-1822م):أحد أدباء عصره ومؤرخيه، كان كاتباً للمزاري أحد أغوات المخزن التركي بوهران، ثم أصبح كاتباً لدى الباي حسن الأخير، عاش في وهران حيث كان النشاط الثقافي في أوجه، ولما احتل الفرنسيون الجزائر 1830م رحل إلى عين تموشنت وأقام بها إلى أن توفي. يذكر أنه شارك الجيش الوهراني في الدفاع عن العاصمة.

الحجم في الحكم والمواعظ والآداب والأمثال، رتبه على حروف المعجم وجعله فصولا، عدد منازل القمر، وممّا جاء في ديباجة الشرح" الحمد لله الذي ملأ صدور العالمين ملء الوطاب[2]، بالحكمة البالغة والحجج الدامغة وفصل الخطاب، وأرشدهم لامتثال الأوامر، ولضرب المثل السائر"[3].

ويضيف من أنّ العلماء قد سبق لهم وأن ألفوا في الحكم والمواعظ، إلى أن خلت الديار بعدهم، بقوله:"حتى رمى الدهر العقيم بواحد، من صميم آل حمير وكهلان الأماجد، وممن انقادت إليهم أزمة ذوي الأقدار والمقادر، السيد مسلم بن عبد القادر، فإنه من أجلّ أدباء هذا الزمان، وأحرزهم لقصب السبق في هذا الميدان، فإنه أتى من درر النظم والنثر، ما يقصر عنه أهل العصر"[4]. "إسماع الصم وشفاء السقم في الأمثال والحكم"[5]. وقد أورد أبو راس في شرحه الشعر

---

1) مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر في طرائف الحكايات والنوادر، مخطوط خزانة علال الفاسي، الرباط، رقم:322، و:2و.

2) الوطاب من الوطب:الرجل الجافي، والوطباء:المرأة العظيمة الثدي، كأنها ذات وطب. قال امرؤ القيس:

وَأَفْلَتَهُنَّ عِلْبَاءُ جَرِيضًا وَلَوْ أَدْرَكْنَهُ صِفْرَ الوِطَابِ

إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1987، ص:233.

3) محمد أبو راس الناصر، إسماع الأصم وشفاء السقم في الأمثال والحكم، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، المملكة المغربية، رقم:5553، و:2.

4) محمد أبو راس الناصر، إسماع الأصم وشفاء السقم في الأمثال والحكم، رقم:5553، ص:3.

5) اطلعنا على هذا الشرح بالخزانة العامة بالرباط رقم:5553، وهي نسخة تامة كتبت بخط مغربي ملون، ذو مقاس 15/20،5سم، بمعدل مسطرة 20 سطرا، تقع في 88 صفحة، بها تعقيبة وتملك وبعض الخروم، كان الفراغ منها عام 1234هـ، دون ذكر اسم الناسخ. راجع: محمد سعيد حنشي، عبد العالي لمدبر، فهارس الخزانة الحسنية، فهرس مخطوطات الأدب، إشراف:أحمد شوقي بنبين، المطبعة الملكية، الرباط، المملكة المغربية، دط، 2001، ج1، ص:15.

والأمثال والمأثور من القصص والحكم[1]، وهو في ذلك سالكا حروف المعجم واحدا بعد الآخر، مبتدئا بالألف" أدبك ثوبك، ووجهك عرضك، الأدب سلاح زمان الكفاح، ثم حرف الباء"برك بذرك، فانبت زرعك، البذر بر، إذا كان المطر" وهكذا.

وممّا "لا شك فيه أنّ لهذا التأليف أهمية خاصة في دراسة الأمثال والحكم الشعبية عندئذ، بالرغم من أنّ عباراته فصيحة"[2]. وممّا يلاحظ على أبي راس في آخر كتابه، وكعادته أنه يشكو من العصر وأهله، ويتضح ذلك من خلال قوله:"وأسأل الله العالم ما في الصدور، أن يفسحه بما تهوى النفوس بدور، في العيش الغض، وسعادة الحظ قبل الفوت بالموت..."[3]. ولأبي راس الناصر تأليف آخر يدخل ضمن الأدب وهو" الدرة الأنيقة في شرح العقيقة" وهو عبارة عن شرح أدبي لعقيقة الأديب سعيد المنداسي[4].

وممّا يمكن الإشارة إليه هو أن من عادة أبي راس الناصر أن يشرح العمل الواحد عدة مرات، ويطلق على كل شرح عنوانا جديدا حسب الغاية التي ينوي التأليف فيها. وهذا ما حدث هنا، فقد قال أن له على العقيقة سبعة شروح، وكل

---

1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1990، ج2، ص:187.

2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص:188.

3) محمد أبو راس الناصر، إسماع الصم وشفاء السقم في الأمثال والحكم، المصدر السابق، رقم:5553، ص:87.

4) سعيد التلمساني(ت1088ه/1677م) سعيد بن عبد الله التلمساني المنشأ، المنداسي الأصل (أبو عثمان) شاعر. من آثاره: العقيقة وهي قصيدة لامية في مدح النبي ρ، فهرس دار الكتب المصرية، مصر، ج3، ص ص: 255- 256. راجعها في قسم الشعر من هذه الدراسة.

C. BROCKELMANN, Geschichte der arabischen litteratur, (1943-1949), supplementband (1937-1942), E.J.Brill Leiden.P :676.

شرح منها له عنوان خاص، وينوّه أبو راس بالشعر والإشادة به خصوصا إذا كان شعرا دينيا يختص بمدح خير الورى ρ، وقد أورد أبو راس شواهد الشعر والقرآن والحديث أثناء شرحه، وضمنّه كما يقول:" مباحث شريفة، ونكت لطيفة، وتحقيقات غريبة، وتدقيقات عجيبة، ودلائل أنيقة، ومسائل دقيقة"[1] وبالرغم من أن العقيقة من الشعر الملحون، فإنّها قد "احتوت على غرائب وعجائب من اللغة والبلاغة واللحون"[2]، وأضاف أبو راس مبررا اللجوء إلى الشعر غير الفصيح قوله:" وليس في الشعر الملحون من بأس"[3].

وتدلّ قصائده أيضا على أنه لم يكن يتقيد بالوزن، رغم كتابته بالفصحى، كما يبرز أبو راس غرضه من تأليف العقيقة بقوله:" هذا وقد سألني من استولت محاسنها على لبّه، وأخذت بشراشر[4]قلبه، أن أجعل عليها شرحا يفصح عن تلك المقاصد واللغات، ويذلل ما فيها من الأبيات، وأن يكون باختصار، لداعية الضرورة إلى الاقتصار، وتنشيطا للإطلاع، وانتهازا لفرصة الانتفاع"[5]. ومما يمكن الإشارة إليه أن القصيدة في مدح النبي ρ[6].

---

1) أبو راس الناصر المعسكري، الدرة الأنيقة في شرح العقيقة، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم:3195، و:4 و.

2) أبو راس الناصر المعسكري، الدرة الأنيقة في شرح العقيقة، و:3ظ.

3) المصدر نفسه، و: 3ظ.

4) الشَّرَاشِرُ: من الذَّنَب، ذَبَاذِبُه، أَي أَطرَافُه. محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بيروت، ج12، ص:160.

5) الدرة الأنيقة في شرح العقيقة، المصدر السابق، و:3ظ.

6) سنعود للقصيدة في موضوع المديح النبوي.

كما نذكر لأبي راس الناصر شرحه لقصيدة الصيد المسمّاة" روضة السلوان"، فلقد سمّى شرحه هذا "الشقائق النعمانية في شرح الروضة السلوانية"[1]؛ حيث ضمّن شرحه دررا أدبية وظرفية وأخبارا مختلفة عن علم الصيد ومنافعه ومضاره وحكمه، وأنواعه...، وممّا جاء فيه بعد الفاتحة، قوله:" هذا وإني عزمت أن أجعل عليها شرحاً، طالباً من المولى فهماً وتأييداً وفتحا، ليكون في غاية تمام، وعلى طرف ثمام[2]، لينال بأدنى إلمام، مع ما أنا فيه من أهوال أفـــواهها فارغة، وأرضنا من شروحها شاغرة، طالبا من ذوي الألباب أن يقبلوا عذري فيما يجدونه من العثار[3]، التي لم يسلم منها العلماء الكبار، وأمّا من هو مثلي وكان قصر الباع شغلي، فلا اعتبار بوعر علّته، ولا اعتداد بشناعته"[4].

إنّ المتتبع لهذا العرض الوجيز، المرسوم على وجه التقريب، يلحظ أن هذا الحقل من الدراسات النقدية الأدبية ما زال مادة خام. حيث كنت أشعر خلال هذه الصفحات التي حبرت في هذا المضمار، وكأني أصنع صورة أدبية لمتصوفة بايلك الغرب خلال القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجري، غير أن هذه الفترة من العهد العثماني تعد فترة شحّ أدبي، ليس من شأنه إحداث ثغرات بينة في الصورة المتوخاة، حيث أنها فترة تداخل بين الصورة الحياتية والاجتماعية والسياسية التي كان لها بالغ الأثر على متصوفة تلك الفترة.

1) أبو راس الناصر المعسكري، الشقائق النعمانية في شرح الروضة السلوانية، مخطوط خزانة الشيخ بلقرد. معسكر.

2) الثُّمام: ما كُسِر من أغْصان الشَّجَر فوُضِع لنَضَد الثّياب، فإذا يَبِس فهو ثُمام. ويقال ثَمَمْتُ الشيءَ أَثُمُّه ثَمّاً، إذا جمعتَه ورمَمْتَه. أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د ط، 1979، ج1، ص:369.

3) العثار: من العثرة:الزلة. ويقال: عثر في ثوبه يعثر عثارا. ويقال: عثر به فرسه فسقط. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1987، ج2، ص:736.

4) الشقائق النعمانية في شرح الروضة السلوانية، المصدر السابق، ص:110.

كما نجد في نفس الباب كذلك شرح هام، لايقل أهمية عن سابقيه، وهو شرح أبي حامد العربي المشرفي لقصيدة ابن الونان[1] تلك المعروفة بالشمقمقية، والذي سمّاه" فتح المنان في شرح قصيدة ابن الونان"[2] أو" المواهب السنية في شرح الشمقمقية"[3]، تشتمل على كثير من الآداب والحكم واللطائف، كما جمع فيه أنواع الغزل والنسيب والمديح والمواعظ، والإشارة لأيام العرب ووقائعها ومشاهير رجالها. وقد استهل شرحه هذا بقوله:" الحمد لله المحمود بكل لغة وبيان، الموجود قبل تكوين اللغات وجارحة اللسان"[4]، وممّا جاء في مطلعها: (البحر البسيط):

مَهْلاً عَلَى رَسْلِكَ حَادِ الأَيْنَقِ وَلاَ تُكَلِّفْهَا بِمَا لَمْ تُطِقِ
فَطَالَمَا كَلَّفْتَهَا وَسُقْتَهَا سُوْقَ فَتَى مِنْ حَالِهَا لَمْ يُشْفَقِ

ويضيف المشرفي قائلا:(البحر البسيط)

وَهَبْ لِأَيْدِيهُنَّ أَيداً وَلَهَا مَتْناً مَتِيناً مَا خَلاَ عَنْ مُصَدِّقِ

---

1) ابن الونان:(000-1187هـ=000-1773م) أحمد بن محمد بن محمد التواتي الحميري، أبو العباس المعروف بابن الونان: شاعر، من أهل فاس مولده ووفاته بها ينتسب إلى حمير، كان أسلافه من سكان توات في صحراء المغرب مما اختطته زناتة ثم انتقلوا إلى فاس. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج1، ص:243.

2) الشمقمقية: وهي عبارة عن قصيدة مشروحة، لأن السلطان كنّى والدَ الشاعر ابن الونان بأبي الشمقمق، فسارت الكنية إلى ابنه ثم إلى أرجوزة هذا الابن. وهي من أشهر الأراجيز وأفصحها وأعلاها مرتبة. وقد أعجب بها الأدباء، واعتنوا بشرحها، والتعليق عليها.

3) اطلعنا على هذه النسخة، وهي في حالة جيدة، مكتوبة بخط مغربي جميل ومقروء، وتقع في مجلد ضخم، تتوزع فيه الألوان ما بين الأسود والأحمر، وبه بعض التعليقات. الخزانة الزيدانية، المملكة المغربية، رقم:1041. اهتدينا إليها عن طريق أستاذ بالخزانة الملكية بالرباط.فجزاه الله عنا كل خير. ينظر:ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، ط2، 1960، ص:479.

4) أبو حامد العربي المشرفي، فتح المنان في شرح قصيدة ابن الونان، مخطوط الخزانة الزيدانية، المملكة المغربية، رقم:1041. و:1و.

وهنا نجد أبو حامد المشرفي يقوم باستقصاء وإيراد الشواهد للمعنى الوارد في القصيدة، فيشرحه من جميع الجوانب، كقوله:" أي وهب لأيديهن قوة تتمكن بها(أي الإبل) من السير، مؤيدا بقوله تعالى:[🕮❒□⬧◘■⚐⬄ ③⧫☪→⇧❷⬉❒▦✂☎ ☽⚭🖫■❼ ✂🙰☜❍❍☺⍓🙰✎⬈⚭ ⌧⬥□❒↙♑⬖⬘➜⇧ 🖎⌧❶⬁✂⍓ 🕿⬥♈⬥❶⬁✡□⏲♑⍓🙰 ❒⬥♏⍓③✸✡□⏲♑⍓🙰 ❒◆☝⬥🙰 ▭❍●□🙰 ☝⚭♊ ⬝➔❷⬉❒●☝] [1].

2-1 مراسلات المتصوفة والأدباء:

إذا كان ما قبل العهد العثماني، قد سجل تفوقا أدبيا، على صعيد الشعر والنثر، على يد فطاحل من أدباء العصر وكتابه، فإنّ فترة العهد العثماني بالجزائر، بوضعها السياسي المضطرب، وكوارثها، قد ساعدت على نشوء لون من المراسلات هو أقرب إلى دائرة الرسائل السياسية، بل إنه لا يكاد يخرج عنها في المعاني والدلالات. مما جعله يسن لنفسه أساليب تتبع وتحدي، وورود "الاسم" في صدر الديباجة والابتداء،" تشريفا للجملة الاسمية على حساب الجملة الفعلية(الجناب، الجليل، الفقيه، المقر، الشيخ)؛ وليس غرضنا من هذه الملاحظة الخاطفة هنا استقراء الظاهرة بمعيار النقد والتحليل، فهذا موضوع لمن أراد تتبع تطور النثر الفني وتطوره خلال العهد العثماني بالجزائر. والغاية من هذا كلّه، هو التأكيد على مدى أهمية هذا اللون الأدبي في ذلك العهد.

وإلى هذه الحالة يشير أحد الباحثين إلى مدى العلاقة الموجودة بين الاضطرابات السياسية والاقتصادية وانعكاسها على متصوفة بايلك الغرب، فقد " اتسمت هذه الاضطرابات كون الجو الأدبي كان يصطحب بها كما كان معروفا

---

1) سورة "ق"، الآية:06.

ذلك في شعراء الجاهلية وأوائل الإسلام.."[1]. وبين أيدينا مجموعة من المراسلات حوتها مصادر أدبية وتاريخية، قد احتفظت لنا بنصوص من المراسلات التي كانت متداولة آنذاك. وكلها مصادر زاخرة بالمادة التي تخدم غرضنا في هذا السياق، ألا وهو الحديث عن أدب المراسلات، وهي مراسلات تنتظم في شكل جدل أو عتاب أو استفسار عن حادثة ما، منضوية تحت ستار الترسل الأدبي. ولقد كان لمتصوفة بايلك الغرب مساهمة في هذا النوع من الأدبيات.

ويمكن تقسيم رسائل ذلك العصر إلى قسمين موازيين ومتوازيين في آن واحد، وما يفصل بينهما سوى الفاصل الإنشائي أحيانا، بالإضافة على طبيعة تلك الرسائل وخطاباتها. كما تبين لنا بأنّ أغلب هذه المكاتبات ذات طابع جدلي أحيانا، وطابع إخواني (صوفي) أحيانا أخرى.

وهناك رسائل هي منزلة بين المنزلتين، لا هي صوفية محضة ولا هي دينية خالصة، فالخطاب فيها يتراوح بين العبادات والمعاملات وبين الأحوال والمقامات، وإذا كان الغالب فيها يتوزع ما بين الوعظ والإرشاد.

ومن بين هذه المراسلات رسالة مصطفى الرماصي– وهي طويلة – فجاءت لترد على مقتضيات الخطاب الوارد في أحد الأحكام التي أصدرها أحمد بن عامر البرجي[2]، دون أن يستشير عالم وقته آنذاك، وإن كان الرماصي يتهم فيها صاحبه بالخروج عن دائرة الأدب وعن القاعدة المتبعة في الخطابات العلمية" أما بعد فكثيرا ما يرد عليك كتابنا فتضرب عليه صفحا، وتطوي عنه كشحا، سامحناك مرارا، ولم تهتك لك ضرارا، مع علمنا أنّ المسامحة في الحقّ مداهنة ارتكبناها،

---

1) ابن تاويت، الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى، دار الثقافة، المغرب، ط1، 1982، ج2، ص:728.

2) أحمد بن عامر البرجي: أصله من أولاد بني عامر من الصحراء، كان قاضيا، عالما، معاصرا لمصطفى الرماصي محقق الفقه. توفي بمقبرة البرج وإليه تنسب، وعليه ضريح يزار إلى اليوم.

وما ينبغي لما ذلك سهل ارتكابها، إبقاء مردة الإتلاف، وحسما لمادة الشقاق والاختلاف..[1] فلو اتصفت بالإنصاف، وجانبت التعصّب والاعتساف، لوقفت عند تخليط الأمر عليك وقفة حيران، تأدبا مع أئمة الأمة تأدب الهدهد مع سليمان.."[2].

وهذه الإشارة كافية للدلالة على أنّ المتراسلين كانوا ينطلقون في خطاباتهم من رصيد أدبي موزع بين الغايات والأهداف. إنّ رسالة الرماصي تعتمد اساسا على الحجة، ذات دلالة إيحائية، مدعمة بالدليل القاطع الثبوتي، وكل ذلك من أجل تبيان وجه الحقيقة العلمية الغامضة عن الطرف الآخر في استقراء الدليل الشرعي، ودون الرجوع إلى عالم الوقت. "..لم تسألن عن مسألة ولم تباحثن في قضية، والأئمة ترد عليّ استفتهم من تلمسان ومن المغرب الأقصى ومن الجزائر، والإخوان عن يمينك وشمالك تباحثني مشافهة وكتابة بجودة الأبحاث تلهم لتفتح أقفال المشكلات، وتلك طريقة أهل العلم.."[3]. هذا جانب مما ورد في رسالة الرماصي، وهو في جميع الأحوال عالم الوقت بلا منازع، فاقت شهرته بلاد المشرق والمغرب.

وممّا يمكن الإشارة إليه هو أن هؤلاء المتصوفة كانت لديهم رسائل سلوكية تربوية، أدبية في بعدها الإيحائي، محملة بقيم الفن الأدبي العثماني، ففيها من

---

1) مصطفى الرماصي، رسالة مصطفى الرماصي إلى أحد بن عامر البرجي، مخطوطة، خزانة الشيخ البشير محمودي، و:1. هناك نسخة أخرى بالمسجد الأعظم بتازة، ضمن مجموع، مكتوبة بخط مغربي، تقع في ورقتين، ذو مقاس 15/22، تتوزع الألوان فيها ما بين الأسود والأحمر، بها اسم الناسخ: أحمد بن الهاشمي، وتاريخ النسخ:28 شوال 1254هـ. ينظر:فهرس مخطوطات الخزانة العلمية بالمسجد الأعظم بتازة، تصنيف عبد الرحيم العلمي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ط1، 2002، ج2، رقم:723، ص:732.

2) رسالة مصطفى الرماصي، المصدر السابق، و:3.

3) المصدر نفسه، و:3.

السجع والكناية والمجاز، ما يشهد ببراعة المتصوف في التحبير والترسل، ولا تكاد تخلو من المواعظ الدينية ومن السلوكات التربوية.

ومن المراسلات الصوفية ذات المنزع التربوي السلوكي، في رسائل بن عبد الله الغريسي[1]، وهي طويلة ضمن حجم كبير، وقد وقف الباحث عليها في خزانة الشيخ البشير محمودي، ضمن ديوان رسائل في التصوف. أما عن موضوعها (الرسائل) فيدور حول التواضع والمحبة والإحسان، وهو موضوع استمد مادته – كاتبه – من مصادر صوفية متعددة كقوت القلوب لأبي طالب المكي، والإحياء للغزالي، وحكم ابن عطاء الله السكندري، إلى جانب الكتاب والسنة.

كما أنّ الرسالة التي بين أيدينا جامعة تجسد ذلك المنحى تماما، وتعكس شخصية متصوف بايلك الغرب، داخل البنية الصوفية لمجتمع القرن الثاني عشر الهجري. حيث خاطب بها الشيخ بن عبد الله الغريسي مريدي طريقيته(الغريسية) بقوله:"...وبعد فإنّ الأستاذ يستجلب الجواب من حضرتكم عاجلا بخيط برقي، على أن تنظروا لنا هل ثمة شيئ لأجل العيد على أن يكون ذلك من الأمانة التي عندكم"[2]. وإذا كانت مثل هذه الأسئلة متواترة عند هؤلاء المتصوفة فلا ريب أن تكون من اختصاصي المتصوفة الفقهاء خلال ذلك العهد. وبن عبد الله الغريسي في هذا الطرح الاستفساري، إنما ينم عن مدى حرص هؤلاء المتصوفة عن قضايا الشرع المختلفة.

1) بن عبد الله الغريسي:ولد بغريس سنة 1827م، لينتقل إلى معسكر عام 1887م، أسس زاويته بمعسكر، وكان له أتباع ومريدون، ولا زالت الزاوية قائمة إلى اليوم. وقد كان الشيخ عالما ورعا تقيا محبا للخير، من آثاره ديوان رسائل صوفية واستفسارية في الطريقة الغريسية وغيرها. أعلام وعلماء، ص:53.

2) بن عبد الله الغريسي، ديوان رسائل، مخطوط بخزانة الشيخ البشير محمودي، البرج، معسكر، و:36.

إنّ مضمون هذه الرسالة إنما هو في الحقيقة خطاب صوفي يهدف إلى تعزيز روح المحبة والإخاء بين مريدي الطريقة الغريسية التي ينتسبون إليها.

الفصل الثالث: الشعر ببايلك الغرب

إذا كان المجال الزمني لهذه الدراسة هو القرنان السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، فإن المجال المكاني لها هو بايلك الغرب[1]. الذي ظل ردحا من الزمن يعيش صراعا مريرا تتسع فوهته تارة وتضيق تارة أخرى بين مسلمي البايلك الغربي ونصارى الإسبان، لتشمل في النهاية ميلاد كيان مستقل محرر من تبعيته للإسبان عام1206هـ/ 1792م.

لقد كان من نتائج هذا الانفتاح أن نشطت الحركة الثقافية، وظهرت مراكز علمية انفردت بجانب من جانب العلم، تجسدت فيما بعد في شكل تيارات ثقافية، ومذاهب فكرية كان أظهرها التيار اللغوي الذي مثلته الجماعة الأندلسية أحسن تمثيل، فانتشر في جهات من الغرب الإسلامي كبايلك الغرب مثلا. وتشبّه به العديد من العلماء والأدباء بواسطة شيوخ من الأندلس كانوا يتقاطرون وباستمرار، على بلدان العدوة المغربية والإفريقية.

كما عرف بايلك الغرب حياة روحية قوية، حيث شاع بين الناس سلوك صوفي رزين، وميل إلى حياة التقشف والزهد في كل شيء إلاّ في الله عزّوجلّ

---

1) بايلك الغرب أو ما يصطلح عليه ببلاد المشرق (الشام) بايليكية الغرب خلال العهد العثماني، وهذا في إحدى حلقات نقاش بقسم التاريخ بدمشق مع الدكتورة بشرى خير بك التي تعتبر هذا المصطلح من أهم المصطلحات التي يمكن للمختص في العهد العثماني استعمالها وتوظيفها وفق الرؤى الشرقية (الشام) لهذا المصطلح.

ورسوله الكريم ρ. وبهذه الطريقة تغلغل التيار الصوفي في نفوس الناس حيث أصبح جلّ حياتهم واهتماماتهم خصوصا بعد انتشاره في البوادي والمدن.

بمعنى آخر أنه كان في البداية تصوفا سلوكيا، ليصبح فيما بعد تصوفا معرفيا، خصوصا مع بداية سطوع شمس العلوم والفنون التي كانت آنذاك بربوع الغرب الإسلامي عموما وببايلك الغرب على وجه الخصوص؛ لتضمحل فيما بعد وينحدر نجم أفولها، وبانحدارها ينحدر المستوى العلمي والثقافي، وهو الحال الذي شهده أواخر العهد العثماني ببايلك الغرب؛ فقد انشغل الناس بالمتون والمختصرات والحواشي والطرر. وهذا هو الواقع الذي عاش فيه شرّاح البردة ومن سار على نهجهم.

وممّا يمكن الإشارة إليه هنا، هو أنّ الباحث في شخصيته الشاعرة حدد الأغراض والمحاور والاتجاهات في أربعة محاور تمثل شخصية الشاعر في نظره:

1. المديح النبوي
2. مديح المتصوفة والعلماء ورثائهم
3. التوسل

وانطلاقا من النظرة الشمولية الجامعة بين الأغراض والموضوعات لدى متصوفة بايلك الغرب، يمكننا أن نحدد الاتجاه الذي سلكته القصيدة المغاربية، دون أن نغفل الصورة التي كانت عليها أيام الفتن والثورات. ومن هنا تناولت قصائد المتصوفة الموضوعات الآتية:

أولا: النبويات والحجازيات

ثانيا:مديح المتصوفة والعلماء ورثاؤهم

ثالثا:المديح الصوفي

1-1 المديح النبوي:

أما عن إسهامات متصوفة بايلك الغرب خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين في هذا اللون الأدبي الرفيع فكثيرة ومتنوعة، وأغلبها سائر على سنن أشعار المتقدمين وآخذة بتلابيبها. إذ قلّ في إنتاجهم الجديد المستطرف الذي يمكن ضمّه إلى ما سنّه شعراء النبويات منذ صدر الإسلام إلى نهاية القرن السابع الهجري، اللهم إذا استثنينا لهم بعض ما أثاروه في أمداحهم النبوية من جزئيات، ولهذا ظلّ الشعراء المتقدمون قدوة فيما بعد بلا منازع. وفي هذا المعنى يقول ابن الجياب[1]:(البحر الطويل)

حُبُّ الرَسُولِ المُصْطَفَى وَسِيلَتِي وَعُدَتِي لِيَوْمِي المَشْهُودِ
وَشَاعِرَاهُ قُدْوَتِي فِي مَدْحِهِ كَعْبٌ وَحَسَانُ أَبُو الوَلِيدِ

ولعلّ من أبرز شعراء هذا اللون الأدبي قبل فترة الدراسة مثلا: ابن مرزوق الحفيد، وأبو زيد عبد الرحمن المكودي، وأبو القاسم التيجيبي، وأبو عبد

---

1) ابن الجياب(673-749ه=1274-1349م) علي بن محمد بن علي بن سليمان، أبو الحسن ابن الجياب: شاعر أندلسي غرناطي أنصاري، من شيوخ لسان الدين ابن الخطيب، له " ديوان شعر " قطعة منه، بالمكتبة الظاهرية بدمشق، تقع في 13 ورقة، ونسخة منها بدار الكتب الظاهرية مرتبة على الحروف. ويقال: إن جامع ". خير الدين الزركلي، الأعلام، ج5، ص:6.

الله بن زمرك[1]، وأبو زيد عبد الرحمن الغبريني[2]، إلى جانب ابن يجبش التازي وغيرهم كثير لا يحصون عددا.

ومن بين ما قاله ابن يجبش[3] مثلا:(البحر الطويل)

فَسَدَ الزَمَانُ وَغَابَ كُلُ رَفِيعِ بِذَهَابِ أَهْلِ الصِدْقِ فِي المَشْرُوع
أَهْلُ الصَّفَا أَهْلُ الوَفَا وَمَنْ بِهِمْ صَلُحَ الوُجُودُ بِبَذْرِهِ المَزْرُوع

لم تحظ قصيدة من قصائد الشعر العربي القديم بمثل ما حظيت به قصيدة البردة للإمام شرف الدين البوصيري[4]، وقصيدة بانت سعاد؛ من الاهتمام بحفظهما

---

1) ابن زمرك (733-نحو793ه=1333-نحو1390م) محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد الصريحي، أبو عبد الله، المعروف بابن زمرك: وزير من كبار الشعراء والكتاب في الأندلس، أصله من شرقيها، ومولده بروض البيازين (بغرناطة) تتلمذ للسان الدين ابن الخطيب وغيره، وترقى في الاعمال الكتابية إلى أن جعله صاحب غرناطة (الغني بالله) كاتم سره، سنة 773ه. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج7، ص: 154.

2) الغبريني(644-704ه=1246-1304م) أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد، أبو العباس الغبريني: مؤرخ، نسبته إلى (غبري) من قبائل البربر في المغرب، ومولده في بجاية، وتولى قضاءها ومات فيها شهيدا. له:عنوان الدراية في من عرف من علماء المئة السابعة في بجاية. عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تح:إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982، ج1، ص:142.

3) محمد بن يجبش التازي، تخميس البردة، مخطوطة الخزانة العامة رقم: 157 د. وأنظر: محمد بن يجبش التازي، نظم الشيخ محمد بن يجبش التازي، ديوان قصائد وأشعار الشيخ البشير محمودي، خزانة البشير محمودي، البرج، معسكر، و:160.

4) البوصيري: (608-696هـ=1212-1296م) محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري، شرف الدين، أبو عبد الله: شاعر، حسن الديباجة، مليح المعاني، نسبته إلى بوصير (من أعمال بني سويف، بمصر) أمه منها، وأصله من المغرب من قلعة حماد من قبيل يعرفون ببني حبنون، ومولده في بهشيم من أعما البهنساوية؛ ووفاته بالإسكندرية. له (ديوان شعر) وأشهر شعره البردة، ومطلعها: (أمن تذكر جيران بذي سلم) شرحها وعارضها كثيرون، والهمزية، ومطلعها: (كيف ترقى رقيك الأنبياء) وعارض (بانت سعاد) بقصيدة، مطلعها: (إلى متى أنت باللذات مشغول). الزركلي، الأعلام، ج6، ص:139.

وروايتهما وتدريسهما ومعارضتهما وتخميسهما واستخلاص ما لهما من فضائل وأحكام.

ولشهرة هذه القصيدة قام كثير من الشعراء بمعارضتها منذ بداية القرن الثامن إلى اليوم، حتى بات عسيرا حصر أولئك الشعراء واستقصاؤهم، كما تزاحم المتصوفة من اللغويين والكتاب والأدباء والفقهاء على شرحها والتعليق عليها، على اختلاف ميولهم ومشاربهم واتجاهاتهم.

ولم يقف هذا الاهتمام بالبردة وقصيدة بانت سعاد؛ عند حد الرواية والحفظ والتدريس والشرح والإقراء، بل تعدوا ذلك إلى الاهتمام بتلحينها وتنغيمها وإنشادها في الموالد والأعياد ومجالس الذكر واحتفالات بركب الحجيج ومواسم الأفراح ومواكب الجنائز. هذا فضلا عمّا يعتقده الناس من مزاعم كثيرة حول البردة، وما روجّه المتصوفة من معتقدات وأحكام حتى غدت في اعتقاد كثير من الناس الوسيلة الأولى المرجو نفعها دنيا وآخرة[1].

ثم إنّ اهتمام متصوفة بايلك الغرب بالبردة وقصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير، وتعلقهم بهما في مجالات مختلفة كان استجابة لدافعين أساسيين، أو لدافع واحد منها على الأقل. أحدهما دافع روحي غيبي متجسدا أساسا في طلب رضى الله تعالى وخدمة الجناب النبوي واستلهام البركة، وثانيهما: دافع علمي تندرج تحته مجموعة من المحفزات كان لها بالغ الأثر في اهتمام متصوفة بايلك الغرب بالبردة والتعلق بها.

من ذلك مثلا الرغبة في محاولة تلبية حاجات بعض الإخوان من الأصحاب والأحباب الذين يرغبون في شرح البردة وقصيدة بانت سعاد، والتنويه بمعانيهما

1) سعيد ابن الأحرش، بردة البوصيري بالمغرب والأندلس خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، آثارها العلمية وشروحها الأدبية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، المغرب الأقصى، ط1، 1998، ص:75.

ومقاصدهما، ومحاولة تذليل سبل قراءتهما وحفظهما، وهو مما دفع بالعديد من العلماء إلى التنافس فيما بينهم حول شرحهما والتعليق عليهما وتبسيط ألفاضهما وعباراتهما.

وقد قادنا البحث، ونحن نتتبع تراث هؤلاء المتصوفة ببايلك الغرب وما صاغته الثقافة الشعبية عن نص البردة وقصيدة بانت سعاد؛ حيث تم الوقوف على العديد من المصنفات والكتب التي وضعت في فضائلهما، فقد اتخذها كثير من المفسرين والشرّاح مصدر استنباطهم لكثير من الفضائل والآداب والمناقب والخصائص.

ومن بين الشعراء الذين أقبلوا على هذا النوع من النظم في النبويات والتي دأب شعراء متصوفة بايلك الغرب على تداولها والحرص على أن لا تفوتهم منها مناسبة دون تسجيلها ضمن أشعارهم، وتخليدها ضمن قصائدهم ومطولاتهم وتدوينها في الدواوين.كأبي راس الناصر المعسكري الذي وضع نظما شرح فيه "قصيدة بانت سعاد"[1].

ولا بأس أن نورد هنا خطبة أبي راس الناصر، وهو يمهد للشرح الذي وضعه على قصيدة بانت سعاد ذاكرا الدواعي والأسباب التي دفعته إلى محاذاة القصيدة، فبعد أن قرض القصيدة وبين مكانتها بين قصائد المديح النبوي قال:" هذا وأني تطفلت على شرحها، وتسورت على شاهق شرحها، مؤملا من سيدي ما أملّه ابن أبي سلمى، المفتتح نسيبه بسعاد وسليمى وسلمى، ومتوسلا به إلى ربه في الآصال والضحى، أن لا أجوع فيها ولا أظمأ ولا أضحى. قال أبو جعفر

---

1) " الإسعاد في شرح بانت سعاد". وقد ذكره أبو راس الناصر في قائمة مؤلفاته تحت اسم" البشائر والإسعاد في شرح بانت سعاد" لكعب بن زهير الصحابي. أنظر: بوعزيز يحي، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1995، ج2، ص:242.

الأبيري[1]، وهذه القصيدة لها الشرف الراسخ والحكم الذي لم يوجد له ناقض ولا ناسخ...حتى سنح لي شرحها بهذا المنوال، البعيد المنال، وفقت لتجبيره بهذا الطراز، الذي فيه مسحة من الإعجاز، فأوضحت تراكيبها المشكلة، وفتحت وصائدها المقفلة...وما أفعل ذلك إلا إظهار الصّواب، وابتغاء للثواب، فإن كلا يثاب بنيته، ويجازى بحسن طويته، ولم أقصد تنديدا من الرد عليه، ولا غضا وازدراء وجرّ نقيضه إليه، أو هضم حقه أو غموض جله"[2].

وهذا النص يترجم بوضوح مدى تأثر متصوفة بايلك الغرب بما أشيع بينهم من فضائل قصيدتي البردة وبانت سعاد، وأحكامهما، وفضائلهما، ومناقبهما وغيرهما من الترهات والحكايات التي لا يقبلها العقل السليم، ولا يرتاح إليها المنطق السديد، رغم ما تفرضه الأولوية الدينية على هذا النوع من الممارسة الوهمية والاعتقادات الخرافية، حيث يختزل عالم الدين تعاطي مثل هذه الأمور في ردة وكفر.

يعد شرح أبي راس الناصر لقصيدة بانت سعاد من بين الشروح الأصيلة؛ والتي نعني بها أنها ضرب من الشروح التي أبدع فيها أصحابها كل الإبداع، وتفننوا في تصنيفها من غير أن يتأثروا فيها بالآثار السابقة عليهم في الموضوع، أو أن ينسجوا على غرار شروح من سبقوهم، وبعبارة أدق أن هذا النوع من الشروح لم يكن شرحا على شرح أو حاشية على تأليف أو تلخيص على شرح

1) نسبة إلى إلبيرة من كور الأندلس، نزلها عبد الرحمن بن معاوية، وهو الذي أسسها وأسكنها موالية، ثم خالطتهم العرب بعد ذلك. وحولها أنهار كثيرة، وكانت حاضرة إلبيرة من قواعد الأندلس الجليلة، والأمصار النبيلة. راجع: أبو الوليد بن يونس الأزدي، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، تح: عزت العطار الحسيني، مطبعة المدني، القاهرة، د ط، 1988، ج1، ص:122.

2) أبو راس الناصر المعسكري، الإسعاد في شرح بانت سعاد، مخطوط خزانة الشيخ البشير محمودي، البرج معسكر، و:2.

مطول كما هو الشأن عند بعضهم. لقد وقف أبو راس عند شرح قول النّاظم:(البحر البسيط)

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبي اليَومَ مَتْبُولُ   مُتيَّمٌ إثْرَها لَمْ يُجْزَ مَكْبُولُ
وَمَا سُعَادُ غَدَاةَ البَيْنِ إذْ رَحَلُوا   إلاَّ أغَنَّ غَضيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ

وقفات طويلة، وجلب من مواد الشرح علوما جمة؛ ويحاول أبو راس رغم صعوبة الموقف بذل كثير من الجهد والمعاناة الشديدة ليستخلص من كلام الشارح القدر المحتاج لإبراز معنى البيتين فيقول:"جرى كعب على عادة فصحاء العرب في افتتاحهم قصائدهم بالنسيب والتشبيب والغزل وذكر المعاهد والمراسم والطلل، وغير ذلك للنشاط والتسلية والتصبر ومقامات الهوى، قال ابن خلكان[1]:" وكان الكاملون من الأولياء يرتاحون للعشق، وقد قال الشيخ أحمد الرفاعي أحد مشايخ الصوفية رحمه الله تعالى وτ:(البحر الكامل)

إذَا جَنَّ لَيلِي هَامَ قَلبِي بِذِكْرِكُمْ   أنوحُ كَمَا نَاحَ الحَمَامُ المُطَوّقُ
سَلُوا أمَّ عَمْرو كَيفَ بَاتَ أسيرُهَا   تُفَكُّ الأسَارَى دُونَهُ وَهُوَ مُوثَقُ
فَلاَ هُوَ مَقتُولُ فَفِي القَتْلِ رَاحَةٌ   وَلاَ هُوَ مَمْنُونٌ عَلَيْهِ فَيُطَلّقُ"[2]

وقال الشيخ محمد بن داوود الظاهري:(البحر الكامل)

أُنَزِّهُ فِي رَوْضِ المَحَاسِنِ مُقْلَتِي   وَأَمْنَعُ نَفْسِي أنْ تَنَالَ مُحَرَّمَا
وَأَحْمِلُ مِنْ ثِقْلِ الهَوَى مَا لَوْ انَّهُ   لو صُبُّ عَلَى الصَّخْرِ الأصَمِّ تَهَدَّمَا

---

1) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1900، ج 1، ص: 172.

2) شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1987، ج40، ص:254.

رَأَيْت الْهَوَى دَعْوَى مِنْ النَّاسِ كُلِّهِمْ فَمَا أَنْ أَرَى حَيًّا صَحِيحًا مُسْلِمَا[1]

ثم يضيف أبو راس كلاما فيقول:" وقد فرق ابن عبد اللطيف بين الثلاثة المذكورين؛ الأول النسيب كأمير وهو مركب من ثلاث معانٍ، إحداهما ذكر حال المرأة في نفسها من خَلْقٍ وخُلُقٍ، والثاني حال الناسب لها من وله وتعب وتتيم، والثالث الأحوال الدائرة بينهما من ضم ووصل وقطيعة؛ والثاني التشبيب وهو ذكر الشاعر خلق النساء وأخلاقهن وتصريف أحوال الهوى معهن، والإعلان بذلك وإشاعته؛ والثالث الغزل بزاي مفتوحة مأخوذ من مغازلة النساء، أي محادثتهن ومراودتهن، يقال غازلها وغازلة وهو الأقوال والأفعال والأحوال الجارية بين المحب والمحبوب" ويضيف أبو راس قوله:" مع هذا ملخص ما للفاضل المحقق أبي محمد عبد الله بن عبد اللطيف البغدادي المذكور"[2]. وقد يقدم أبو راس تفسيرا وتوضيحا لما سبق بقوله:" قلت وبقي عليه العشق الذي هو أصلها"[3].

والحقّ أنّ ما بذله أبو راس من جهد في سبيل إخراج شرح قصيدة بانت سعاد، يشهد له برسوخ قدمه في العلم، ومشاركته القوية في مختلف العلوم والفنون، وتمكنه من أدوات البحث والدرس التي سهلت له اقتحام عالم النصوص واختراق أفقها، مع هذا وذاك فإنّ أبا راس يرى عمله هذا هو من باب التطفل، مجسدا ذلك من خلال قوله:" هذا وأني تطفلت على شرحها، وتسورت على شاهق شرحها"[4]، كما يؤكد ذلك خاتمة قوله:" واعلم أنّ ما حملني على شرح أبرك

---

1) محمد بن سالم السفاريني الحنبلي، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، تح: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2002، ص:73.

2) أبو راس الناصر المعسكري، الإسعاد في شرح بانت سعاد، مخطوط خزانة الشيخ البشير محمودي، البرج معسكر، و:8ظ.

3) المصدر نفسه، و:9و.

4) نفسه، و:8ظ.

القصائد، وأعظم الوسائل والمقاصد، للطالب والقاصد، الراغب في مزيد الرشاد والإسعاد، قصيدة بانت سعاد، إلاّ محبة الممدوح بها ρ، ولوجوب مغفرة ووقاية من عذاب القبر، والبرزخ والمحشر، متصلا بذلك دخول جنات النعيم، فأكون بها أبد الآبدين مقيم"[1].

كما نجد أبو راس يشرح قصيدة العقيقة[2] للمنداسي في مدح النبيρ، التي نالت شهرة كبيرة في عصره، وحتى في العصور التالية له. وكان إنشاؤه لها في بلاط المولى إسماعيل سنة1088هـ/1677م، مشيرا إلى ذلك بقوله:(البحر البسيط)

عام فحش من الطي أبرزتها في شعبان   فاز بها من في بيت السرور يخلو[3]

وأمّا عن مطلع القصيدة؛ فيبتدئ بالتغزل بالأماكن القريبة من مكة على عادة الشعراء المتأخرين، بقوله:(البحر البسيط)

كيف ينسى قلبي عرب العقيق والبان   والعقيق أعيوني باقلا يده انهلوا

ثم مدح النبيρ، وذكر كراماته ومعجزاته بأسلوب قوي، فقد كان يعجب به ويتحدى غيره أن يأتي بمثله، وقد عبر عن ذلك بقوله:(البحر الكامل)

---

1) نفسه، و:35.

[2]) هذه القصيدة في مدح النبيρ كما اشرنا إلى ذلك آنفا، وقد شرحها أبو راس سبعة شروح، وعدد أبياتها (302) بيتا، وقد طبعت في الجزائر سنة 1901، وترجمت إلى الفرنسية من قبل الجنرال فوربيقي (Général Faure Beget) وتحدث عنها بروكلمان في ملحقه (ح ج، ص:676). كما اشار إليها سركيس في معجمه، ص:641. ينظر: فهرس المخطوطات العربية بالرباط، رقم مخطوط العقيقة 1847(1636).

[3]) بخوشة محمد، ديوان المنداسي في الأدب الشعبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1968، ص:41.

ديمة سعيد الوطفا الواكفة لها شأن حين يهطل غيمه يسقي الوعر وسهله
لو لحن بوعثمان اللفظ قط ما شان وجه معنى سال على كل مدخل أهله[1]

ثم بعد هذا، نجد الحاج محمد بن يمينة بن دوخة العمراوي[2]، ممن تعلق بأهداب مدح النبي ρ في قصيدته المعروفة "ذكرني خلا به عهد خلا"، ولذا فإنّ نبويات الحاج بن يمينة وحجزياته تختلف في منحاها وفي بواعثها عن المولديات التي شهدها بداية العهد العثماني، لخلوها من التهنئة المدحية التي كانت تزف إلى السلاطين والأمراء في مثل هذه المناسبات. فالشاعر يتفنن في هذه الحلبة ليحوز فضل السبق بين الشعراء المادحين. ومن قول الحاج بن يمينة العمراوي في إحدى مقطوعاته النبوية الصادقة:(البحر الطويل)

ذَكِرْنِي خَلاَ بِهِ عَهْدٌ خَلاَ أبِمَاضِ سرَا مَنْ سَفْحٍ قَبَا
قَدْ هَبَّتْ مِنْهُ حَرْجَفٌ هَيَّجَ لِي مَدَامِعُ العِشْقِ بِمَأْمَنِهِ سرَا
وَفِي الفُؤَادِ قَدَحَتْ نِيرَانُهُ وَحَرَّمَهَا بَيْنَ الضُلُوعِ وَالحَشَا
جَدِّدْ لِي عَهْدٌ بِمَنْ هَوَيْتُهُ وَمَا نَسِيتُ عَهْدَ أيَام الصِّبَا[3]

إنّ مدائح الحاج بن يمينة العمراوي للرسول ρ كانت تقوم على قصيدة مبدئية، وهي أنّ القصيدة المادحة، إمّا أن تحقق غايتها المثلى في مدح النموذج الاسمي" للإنسان الكامل" الذي هو الرسول الموحى إليه. وهذه الحقيقة التي ينطلق

---

1) سعيد بن عبد الله المنداسي التلمساني، ديوان، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1976، ص:15.

2) الحاج بن يمينة: هو الشيخ محمد بن يمينة بن دوخة العمراوي، درس بالأزهر وأجازه علماؤها سنة 1278هـ، ودخل مدرسا إلى مدرسة تلمسان سنة 1305هـ، وهو الذي كتب مبايعة الأمير عبد القادر، حيث تولى منصب كتابة الإمارة لدى الأمير عبد القادر. من أهم آثاره قصائد في مدح النبي ρ. أنظر:جيلالي جلول، علماء وأعلام مدينة معسكر، مخطوط مرقون، ص:54.

3) الحاج بن يمينة، ديوان أشعار، خزانة الشيخ البشير محمودي، البرج معسكر، و:32.

منها الحاج بن يمينة العمرواي كتصور نقدي خلفي، إمّا يحاول تكسير القاعدة النقدية في مجال التنظير للقصيدة المادحة.(البحر الطويل)

مَا الفَخْرُ إلاَّ الذِّي مَدَحْتُهُ وكُلُ مَمْدُوحٍ سِوَاهُ سَمَهَا
إلاَّ لِمَنْ كَانَ صَفَا مِنْ حِزْبِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ لِسُبُلِهِ اقتَفَا
حَقٌّ لَهُ الفَخْرُ عَلَى مِنْ بَعْدِهِ وكُلُ مَنْ فِي الدَّهْرِ قَبْلَهُ مَضَا[1]

وإذا كان من تعليق على هذه المفارقة في هذه الأبيات الثلاثة السالفة، وبين ما في"شرح بانت سعاد" من فتات شعري قدم في حضرة بعض السلاطين والأمراء فإنّ" أبا راس في مثل هذه الأمداح لا ينهج نهج القصيدة المادحة، بل يؤثر الشرح والتركيز والتعليق، فجاءت مقاطع شعرية توحي بعواطف اتجاه الإنسان الكامل كنموذج كامل يتوفر على أسمى الخصائص والصفات المنشودة في القصيدة المادحة.

بينما الحاج بن يمينة العمراوي، ينطلق من تصور آخر لا يحيد على مجال الحقيقة المحمدية، ولكنه يعتقد أنّ المادح مهما تسامت عبقريته البشرية، فإنه ممّا لاشكّ فيه عاجز عن اكتناه ذلك النور المحمدي، وهو بذلك عاجز أيضا على استيعاب الخصوصيات المثلى التي تجعل الشخصية النبوية فوق كل مدح،" وإنّ المدح في حقّه موصوف بالعجز والقصور"[2]. وماذا عسى أن يقول المادحون أمام ثناء الكبير المتعال، على نبيه محمد ρ وهو وارد في غالبية المدائح النبوية التي عرفها الأدب العربي، حيث يقول الحاج بن يمينة العمراوي:

فَكُلَّمَا تَقُولُ قَدْ مَدَحْتُهُ فَفَوْقَ ذَاكَ المَدْحُ قَدْرُهُ عَلاَ
فَلاَ يُطِيقُ أَحَدٌ إحْصَاءَ مَا أَوْلاَهُ رَبُنَا مِنْ أَنْوَاعِ البَهَا

______

1) المصدر نفسه، و:32ظ.

2) أبو سالم العياشي، شاعرا، نسخة مرقونة، المصدر السابق، ج2، ص:267.

مِنْ نُورِهِ قَدْ خُلِقَتْ وَزُيِنَتْ لِمَنْ يَكُونُ تَابِعًا نَهْجَ الهُدَا[1]

ويقول الحاج بن يمينة العمراوي، من نفس القصيدة مصورا الحقيقة المحمدية في أسمى تجلياتها القدسية فالرسول ρ قدوة كل سابق ولاحق، وقد فاق بذلك كل نسل وفصل، ويتجلى ذلك من خلال قوله:

قُدْوَةُ كُلُّ سَابِقٍ وَلاَحِقٍ فَكُلُّ مَنْ خَالَفَهُ بِهِ سَطَا
قَدْ فَاقَ كُلُّ يَسْلٍ[2] وَبَسْلٍ[3] وَمَنْ يُخَالِفُ أَمْرَهُ فَقَدْ شَقَا

ويستنتج الحاج بن يمينة بأن الشعر عاجز عن أن يستوعب المطلق في الوصف الذي هو الرسول ρ، ومهما كانت قوة الملكة الشعرية في ذات الشاعر :(البحر الطويل)

أَجَنَّةُ الخُلْدِ لِلْوَرَى نُورُهَا وَهَبَ أَنَجْمٌ أَمِسْكُ الغَزَالِ مِنْ غِلاَفٍ انْتَشَرْ
مِنَ السَّمَاءِ قَدْ نُورٌ لَمَعَ أَرَوْضَةٌ سَلْسَبِيلَ نَفْحٌ لَهَا ظَهَرْ
أَبَدْرُ الدُّجَا فِي أُفْقِهِ ضَوْءُهُ سَطَعَ أَشَمْسُ الضُّحَى مِنْ نُورِهِ غَيْهَبَ نَفَرْ[4]
جَوَادٌ كَرِيمٌ لَيْسَ فِي وَصْفِهِ مَلَلٌ صَدِيقُ حَدِيثٍ أَدْهَشَ الشَّمْسَ وَالقَمَرْ
عُلُومٌ لَهُ شَاعَتْ حَوَاهَا مُدَقِّقًا ثُرَيَا لَهُ تُخْضَعُ سَنَاهُ فَاقَ الدُّرَرْ

---

1) الحاج بن يمينة، ديوان أشعار، خزانة الشيخ البشير محمودي، البرج معسكر، و:36.

2) يسل: من السُّلاَلَةِ: المَاءُ يُسَلُّ منَ الظَّهْرِ سَلاًّ، مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج1، ص:7179.

3) بسل: من البسالة بمعنى الشجاعة، وقد بسل بالضم فهو باسل، أي بطل، وقوم بسل مثل بازل وبزل. والمباسلة:المواصلة في الحرب. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1987، ج4، ص:1634.

4) البشير محمودي، ديوان أشعار، قصيدة الحاج بن يمينة، خزانة الشيخ البشير محمودي، البرج معسكر، مخطوط خاص، و:40.

صِفَاتٌ لَهُ اسْتَعْلَتْ فَلاَ مَنْ يُقَارِبُهَا تَغَنّى فُؤَادُهُ يُحَاكِيهِ ذَا المَطَرْ[1]
أَرَضُو لَهُ يَسْعَى فِي شُؤونِ لِغَيْرِهَا لاَ يَرُم وَقَدْ سَمِعْنَا لَهَا أَثَرْ
أَكَعبَةٌ طَوَافٍ مَنْ عَـــلاَهَا خَلِيلُ رَبَّنَا قَدْ دَعَا خُلُقًا إِلَيْهَا مِنَ البَشَرْ

وفي النبوية المادحة الثانية، يمزج الحاج بن يمينة بين المعاني الواردة في الهمزية السالفة، وبين تأثره النفسي، الذي يتوق إلى معرفة النور المحمدي، فهو نور النجوم من السماء، وبدر الدجى في عتمة الظلام، وتتحول القصيدة بهذا من مقام التفاضل بين واقع النفس وحقيقة المثال، إلى تجربة تطهيرية، ممّا يضفي عليها طابع الصدق الذاتي الخالص لوجه النموذج الممدوح، بعيدا عن التأثير الذي كان يفرضه الواقع المولدي قبل العهد العثماني.

وللنظر إلى حفل الختام الذي يطرح فيه الحاج بن يمينة نفسه العليلة، بين الجناب المحمدي الآسي، وروحه الظامئة إلى عين رحمة ربّه والنجاة من النار، وهو ختام يعكس الغاية التي ترتجى من كل قصيدة نبوية مادحة، لذا فكل شاعر صادق، يحتذي حذو من سبقه من فطاحل الشعراء في حلبة النبويات والحجازيات:(البحر الوافر)

كُلُّ قَوِيٍ مِنِي صَارَ وَاهِنًا وَانْقَلَبَتْ جِدَتُهُ إِلَى البَلاَ
فَهَذَا مِنْ بَنَاتِ فِكْرِي مُنْتِجًا مِنْ غَيْرِ عَوْهَقٍ[2] وَطَمْثٍ[3] وَسَلاَ

---

1) المصدر نفسه، و:40.

2) عوهق:يقال: بعيرٌ عَوهقٌ، أي طويل، قال ابن السِّكّيت: العوهق: خيار النَّبْع ولُبابُه، يُتَّخذ منه القِسِيّ. وعَوهقُ: اسم روضة. قال ابن هَرْمة: فكأنّما طُرقت بريًّا روضةٍ من رَوض عَوْهَقَ طَلّةٍ مِعشابِ

بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ط1، 1979، ج4، ص:172.

3) الطَّمْثُ: الفَسادُ، قَالَ عَدِيُّ بنُ زَيْدٍ: طاهِرُ الأَثوابِ يَحْمِي عِرْضَه من خَنَى الذِّمَّةِ أَو طَمْثِ العَطَنْ

لَكِنْ قَدَحْتُ زَنْدَ فِكْرِي مَوَرِّيًا كَالمَرْخِ[1] وَالعِفَارِ[2] تُخْرِجُ الصَّلاَ

إنّ المتمعنّ في المدائح النبوية في هذا العصر، وبخاصة في شعر أبي راس الناصر بالدرجة الأولى، والحاج بن يمينة في الدرجة الثانية، يلحظ أنها قد نشأت في ظل حالة التصوف التي كانت سائدة آنذاك، مما يعكس النظرة الاجتماعية والسياسية التي تميز بها ذلك العصر، فقد كان الشاعر من خلالها، يبث آلامه وشكواه، معبرا عن حالته الفرضية، انطلاقا من منظور شامل، يعكس الموقف العام، هذا الأخير الذي يتسرب من مناحي نفسية كائنة في صلب القصيدة المادحة.

وهذا يجرنا إلى المقارنة بين مدائح أبي راس الناصر والحاج بن يمينة ومعاصريه وبعض المدائح النبوية بالمشرق، خصوصا لدى بعض الشعراء الذين زاوجوا بين حالة التهتك وما أعقبها من حالة التوسل وطلب المغفرة والتذلل إلى الله سبحانه وتعالى، وهي التي نجدها بوضوح في نبويات ابن نباتة المصري، التي صورها لنا صاحب كتاب المدائح النبوية[3]، ملخصا بواعث وحوافز إنشائها، بقوله:" وخلاصة القول أنّ ابن نباتة كان من المولعين بالمدائح النبوية كأهل عصره، وله في ذلك قصائد بعضها جيد وبعضها ضعيف، ويجب أن نتذكر أنّ ابن

بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000، ج9، ص:145.

1) المرخ: شجر سريع الورى. وفى المثل: " في كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار ". المصدر نفسه، ص:431.

2) العفار: هو شجر يتخذ منه الزناد،الزند وهو الأعلى، والمرخ: الزندة وهى الأسفل. قال الشاعر:

إِذَا المَرْخُ لَمْ يُورَ تَحْتَ العِفَارِ وَضُنَّ بِقَدْرٍ فَلَمْ تُعَقَبْ

ابن سيده، المخصص، تح: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1996، ج3، ص:165.(باب الطين).

3) زكي محمد عبد السلام مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، دار الشعب، مصر، ط1، 1971، ص:262.

نباتة كان من المفتونين بالمجون، وفي ديوانه مقطوعات كثيرة...فلن نرى شعره في أصدق مواقفه أقوى من شعره في استغفاره وإنابته، وعودته إلى مدح الرسول ρ من حين إلى حين، تؤكد ميل نفسه إلى هذا الفن، وتدل على رغبته في الخلاص من آصار الذنوب..." [1].

وإذا ما تدبرنا أبيات ابن نباتة المصري، فإنّنا نلحظ ما مدى صدق نقد الدكتور زكي مبارك، وإصابته في ذلك، كما في الأبيات الثلاثة الآتية:(البحر الطويل)

وَلِيَ حَالَتَا دُنْيَا وَأُخْرَى، أَرَاهُمَا ... يَمُرَّانِ بي فِي عَيْشِهِ تَتَمَرَرِ
حَيَاةٌ، وَلَكِنَّ بَيْنَ ذُلٍّ وَغُرْبَةٍ ... فَلاَ العِزُّ يَسْتَجْلِي وَلاَ البَيْن يُقْتَرِ
تَصَبَّرْتُ فِي هَذَا وَذَاكَ كَأَنَّنِي ... مِنَ العَجْزِ وَالبُؤْسِ قَتِيلُ مَصِيرِ

ولنرى ما قبلها من نفس القصيدة، هذا البيت:(البحر الوافر)

إِلَيْكَ رَسُولُ اللهِ مَدَتُ مَطَالِبِي ... عَلَى أَنَّهَا أَضْحَتْ عَلَى الغُورِ تُقْصَرِ

مهما يكن من مفارقة أو مقارنة، فإنّ أبا راس الناصر وصاحبه الحاج بن يمينة لم يسبق لهما أن عاشا حياة التهتك وليالي المجون، وهذا من خلال ما استعرضناه آنفا من قصائد شعرية.

1-2 مدح السلاطين والمتصوفة:

وقد شاع في هذا العصر، مدح السلاطين والمتصوفة والعلماء والفقهاء، على غرار ما كان سائدا قبل، وهذا الاتجاه في أدب المتصوفة إنمّا يقوم على كشف الخصال المميزة في حقل التدريس، والاطلاع والتأليف، وهذا من شأنه

1) زكي محمد عبد السلام مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، ص:262.

يعكس شخصية الممدوح، التي توصف بالعطاء العلمي، وما مدى تأثيرها على الطلبة والمريدين.

فهذا أبو راس مثلا يورد عددا من القصائد التي يمدح فيها الباي محمد بن عثمان الكبير، حيث نجده في بعض منها يقول[1]:(البحر البسيط)

خَلِيلِي قَدْ طَابَ الشَرَابُ المُوَرَّدُ لَمَّا أَنْ صَارَ الأَمِيرُ بِالثَغْرِ يُقْصَدُ
وَأَجْفَتْ رِحَالُ الوَافِدِينَ أُمُّ عَسْكَرٍ وَقَدْ كَانَ مَأْوَى لِلْوُفُودِ وَمَقْصَدُ
تَجَذَبَّتْهُ وَهْرَانَ لَمَّا افْتَتَحَهَا وَقَدْ قَالَتْ جَاءنِي المَلِكُ مُحَمَدُ
فَهَاتِ أَعْقَارًا فِي قَمِيصِ زُجَاجَةٍ كَيَاقُوتَةٍ فِي دُرَّةٍ تَتَوَقَدُ
بِفَتْحِهِ وَهَرَانَ وَاسِطَةُ عِقْدِهِمْ بِهَا طَالَ مُلْكُهُمْ قَدِيمًا مُمَدَّدُ

إلى آخر الدالية، التي جمعت بين الإشادة بالممدوح، وبين الخصال المعهودة في النبويات، فجاءت القصيدة جامعة لعدة أغراض منصهرة بالعفوية والارتجال، وممّا يمكن الإشارة إليه أنّ الظاهرة الجامعة بين باعث الرثاء وقصيدة المديح، قد زاوجت بين التهنئة المادحة، وبين تلك الملامح التي تميزت بها النبويات في ذلك العصر. وقد كان أبي راس من الشعراء الذين أثروا من مديح السلاطين.

كما نجده في قصيدة أخرى مادحا إياه، أين نجده يبرز حقيقة الواقع المديحي، الذي هو في الحقيقة تعبير عن مدى إعجاب المادح لممدوحه، وتبيان طريقة إقرائه وقدرته على انتقاء واستحسان الألفاظ التي يمدح بها:

سُلْطَانُ وَهْرَانَ مَا خَيَّبَ قَاصِدُهُ زَهَتْ بِهِ وَعَالَتْ أَقَالِيمُ الأَمَمِ
شَدَّقُوا عُدَّهَا بِحَزْمِهِ فَغَدَتْ مَكْفُولَةٌ بِهِ لَمْ تُيَتَّمْ وَلَمْ تَئِمِ
يَرِثُهَا أَوْلَادُهُ بَعْدَهُ أَبَدًا كَارِثُ آلُ شَيْبَةَ مِفْتَاحُ الحَرَمِ

---

1) الحاج بن يمينة، ديوان أشعار، خزانة الشيخ البشير محمودي، البرج معسكر، مخطوط خاص، و:46.

فَالدُّنْيَا أَلْبِسَتْ البَهَا بِطَلْعَتِهِ رَشِيدُهَا الثَّانِي جَاءَتْ بِهِ لِلْعِلْمِ
بُشْرَى فَقَدْ أَنْجَزَ الإِقْبَالُ مَوْعِدُهُ بِالكَوْكَبِ السَّعْدِ لَمْ يَقُلْ وَلَمْ يَرُمِ[1]

وفي قصيدة أخرى تستجيب شاعرية أبي راس الناصر لموقف كرم يستحق الوفاء ويستوجب الارتياح، مادحا الباي محمد بن عثمان الكبير بقوله: (البحر البسيط)

يا بن عثمان يا محمد إني مستهامة ودكم يا فتاها
تيم الحب يا خليلي قلبي أنت للنفس دواها وشفاها
ثم نادت لغرسه وتدانت وأجاب أبو السعود نداها
كتب النصر في لواك[2] ظهيرا فاتحا لوهران أو ما ضهاها
وسلاما يفوق نشر نسيم زهر الفتح في رياض جناها[3]

وتتسم هذه الأبيات بسمة البلاغ الإعلامي، فجاءت موجزة مركزة تحمل دلالات مدحية لمن دافع عن ثغور وهران وحمى بيضة الإسلام.

وفي مثل هذه المدائح السلطانية، إن صحّ التعبير، تتكرر تلك الطروس والأقلام، وما يتمتع به الممدوح من قدرة على التنويه بأخلاق الباي المذكور آنفا، وذكر سيرته، والإشادة بمآثره. ومع قصائد ابن زرفة الدحاوي، من ذلك قوله:(البحر البسيط)

---

1) الحاج بن يمينة، ديوان أشعار، المصدر السابق، و:49ظ.

2) يقصد بها: لواءك.

3) البشير محمودي، ديوان أشعار البشير محمودي، البرج، معسكر، و:126ظ.

تطاولت الدنيا بفخر محمد سليل الرضى عثمان ذكره طائر
ونشأته الشهم الزكي الذي غدا يحاذي أباه في الجدا ويناظر[1]

ومع أنه ليس في هذا البيتين من كبير إبداع، لما تطغى عليهما من نثرية فيها أثر الصنعة، يبدو أن ابن زرفة الدحاوي، حافظ على المعنى المدحي، فيختار ما يناسب الممدوح حسب مركزه. لذا نراه يمدح الباي بن عثمان بالفخر وأنه من سلالة عثمان رضي الله عنه، وهو في ذلك يشبه أباه في الجدية والمناظرة بين العلماء.

وفي أبيات أخرى نجده يقول:(البحر البسيط)

وافر الحسن والمجادة لما سار يقفي الفلا ويعلو رباها
نادى سعده أين تحدوا يا هذا بالركائب ظاعنا لمناها
حطّ رحلك في ديار كريم طائر الذكر والمعالي حواها
سيد عزيز المكارم حتّى ذروة المجد نالها وسماها
زرع الخير في العوالم إذ ما أنبتت دررا ثنا فجاءها[2]

ولا تخلو هذه الصور المدحية من بعض الأثر الفني. وإن كانت استمرارا لصور التراث الشعري العربي، ساقها الشاعر في هذه القصيدة وحاول أن يركب فيها نمطا مدحيا. ويبدو أنّ كلا من ابن زرفة وأبي راس مدحا هذا الأمير(الباي) بسخاء، حيث كانت المبالغة تضفي على الصور الشعرية شعور الشاعر بمدى جود ممدوحه. فلم يجد بدّاً – وقد تقبل العطاء- من تكريمه بمدحه، فأتاح لسجيته جودها.

---

1) ابن زرفة الدحاوي، الرحلة القمرية في السيرة المحمدية، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم:2597، و:24و.

2) ابن زرفة الدحاوي، الرحلة القمرية، المصدر السابق، و:25و.

كما شاع أيضا في هذا العصر، مدح العلماء والفقهاء ورثاؤهم، الذي من شأنه تحقيق التواصل الثقافي والمعرفي بين علماء العصر الواحد، وهكذا اتسعت دائرة الاتصال العلمي بين متصوفة هذا العصر. وفي هذا السياق نجد الشيخ مصطفى بن عبد الله بن دحو مثلا يمدح أبا راس الناصر أحد علماء عصره بقوله:

ليت شعري هل أرى من نصير   منصف لمجد الكرام الأفاضل
يطنب القول في امتداح فقيه   لاح نوره في سماء الفواضل
«أبا راس» للعلماء أنت عماد   أنت نجم الهدى شفاء العراقل
لم تزل عاضد الفقه منذ زمان   ككوكب سعد منه حين تناضل[1]

وفي قصيدة أخرى للشيخ السنوسي بن السنوسي مادحا أبا راس بقوله:(البحر الوافر)

وأيّ شيء كالعلم قدرا ورفعة   تراه مخيما بأرجاء ثاويا
يبثه مولاي «أبو راس» الرضى   فيعطرني به ويعطر ناديا
مؤلف هذا العصر غير مدافع   وساقي زلال العلم من كان صاديا
مؤرخه نحويه وإمامه   وحافظه الذي له السّبق باديا[2]

وفي قصيدة أخرى لإبراهيم الرياحي يمدح فيها أبا راس:(البحر الطويل)

واسلم بنفسك لا تجعل لها سبباً   إنّ الهوى فهو للإنسان فتّان
وسلّم الأمرَ تسليم الورى لــ«أبي   راس»، ودن مثل ما دانوا فيزدان

---

1) أبو راس الناصر، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1990، ص:73.

2) أبو راس الناصر، فتح الإله ومنته، الم صدر السابق، ص:75.

حبر تفيض بعرفان جوانبه   إن لم تقل فهو للتحقيق عرفان[1]

كما نلمس في قصيدة مدح أخرى لأبي راس في حق شيخه ابن عمار الجزائري، حيث نجده يتعامل مع الأبيات التالية، بطريقة متسلسلة عبر إيقاع يتكرر، ليرسم الدلالات التي تعبر عن القوة الروحية لدى المادح وتوجيهها من ثم نحو الممدوح:(البحر الكامل)

العالم العلم الذي أحيا لنا   ما قد أمات الدّهر من نعمائه
لعب بأطراف الكلام لسانه   والفضل موقوف على تبيانه
فامنح إليه السّمع عند حديثه   تسمع فصيح القول من سحبانه[2]
أوجل بذهنك في محاسن نظمه   تظفر ببحر الشعر من حسّانه[3]
ما خاض يوما نطقه في حكمة   إلاّ اختفى سقراط بين دنانه
وطلعت في أفق الفضائل كوكبا   يسطو بجن الضرّ أو شيطانه
فافخر أبا عبد الإله وجرّ من   حلل البيان فأنت من فرسانه

---

1) المصدر نفسه، ص:111.

2) سحبان بن زفر:(...-54هـ=...- 674م): سحبان بن زفر بن إياس الوائلي، من باهلة: خطيب يضرب به المثل في البيان، يقال (أخطب من سحبان) و(أفصح من سحبان)، اشتهر في الجاهلية وعاش زمنا في الإسلام. وكان إذا خطب يسيل عرقا، ولا يعيد كلمة، ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ.أسلم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجتمع به، وأقام في دمشق أيام معاوية، وله شعر قليل، وأخبار. الزركلي، الأعلام، ج3، ص:79. ينظر ترجمته: بلوغ الإرب للآلوسي،ج3، ص:156، وشرح المقامات للشريشي، ج1، ص:253، وتهذيب ابن عساكر، ج6، ص: 65 وخزانة الأدب للبغدادي، ج4، ص:347، ومجمع الأمثال، ج1، ص:167، وفي الإصابة، الترجمة، رقم:3658.

3) حسان بن ثابت: (000-54هـ=000-674م) حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد: الصحابي، شاعر النبي صلى الله عليه وسلم وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام. عاش ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في الإسلام، وكان من سكان المدينة، واشتهرت مدائحه في الغسانيين، وملوك الحيرة، قبل الإسلام، وعمي قبيل وفاته. لم يشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم مشهدا، لعلة أصابته. الزركلي، الأعلام، ج2، ص:175.

فالعلم أنت اليوم خائض بحره   والشعر أنت اليوم ربّ عنانه
لازلت ذا شرف وعزّ باذخ   يضفي عليك الدّهر ظلّ أمانه[1]

لقد جمع أبي راس في هذه القصيدة بين التحسر والفخر مراعيا حسن التخلص، وهو في قصيدة الرثاء من أدق الضروريات البديعية. فمن شيم المرثي إبراز الصفات النفسية التي يحاول التعبير عنها والعويل عليها في قصيدته. فقد نلحظ في هذه القصيدة جوانب إبداعية، رغم ما يطبعها من تلقائية في بث المشاعر. ولعل ما في القصيدة من فخر قوي وتحد كبير، مما جلّ لغتها تتراوح بين المدح المبدع والفخر المعلن.

1-3 شعر الرثاء:

ومما يبحث في هذا الفصل غرض الرثاء لدخوله في فن المدح، ولاحتوائه الصفات النفسية والفضائل الإنسانية التي ينشدها الشاعر في الممدوح المرثي. وقد حفل أدب متصوفة بايلك الغرب بالمراثي تقديرا لأهل العلم والدين، ولمن ينشر العدل والسلام. وهذا أبو راس يرثي شيخه عبد القادر بن عبد الله المشرفي بقصيدة رائعة منها:

لقد كان للإسلام كهفا وملجئا   تراه في أقل الشؤون يبادر
له الباع في كلّ العلوم بأسرها   سريع الجواب عنها ليس بضائر
فيا لو رأيته بدرسه جالسا   وحوله حلقات الأسود الهواصر
كأنه قمر الأفق في غيهب الدّجى   من بين كواكب النجوم الزواهر
فيتلوا فرائدا عليهم نفيسة   بحسن بيان واختتام عواطر
فتلقاها أنوار القلوب بديهة   كنقش فصوص للخواتم باهر

1) أبو راس الناصر، فتح الإله ومنته، المصددر السابق، ص:48.

يذلل صعاب العلوم لهم كما   يقرب قاصيات عنهم نوافر[1]

وهناك مرثية أخرى لأبي راس الناصر لشيخه منصور، ممّا جاء فيها:(البحر الكامل)

لَعَمْرِي لَقَدْ أَتَى الزَّمَانُ بِصَدْمَةٍ   وَأَمْرٌ فَظِيعٌ لاَ يُقَاسُ بِهِ سَخَطُ
بِمَوْتِ إِمَامِ الوَقْتِ فِي أَرْضِ غَرْبِنَا   وَبَحْرِ عُلُومٍ لاَ يُبَيَّنُ لَهُ شَطُّ
أُسْتَاذُنَا مَنْصُورُ المُنِيبُ لِرَبِّهِ   كَكَوْكَبُ سَعْدٍ سَاطِعٌ نُورُهُ يَسْطُو
لقد فجع الأنام من أجل فقده   ولاسيمّا الجدار والمغرب الوَسَطُ[2]

وممّا جاء فيها أيضا قوله:(البحر الوافر)

أَيَامِي رَمَتْنِي بِالخُطُوبِ وَأَرْسَلَتْ   سِهَامًا لَهَا فِي قَلْبِ مَنْ قَدْ رَمَتْ وَخَطٌّ
فطورا تراني من غزارة دمعتي   تخدّد أخدودا بخدي إذ تخطو
على أشياخ أضحت مراسمهم بلا   وصاروا بعادا في المنازل قد شطّوا[3]

وهي قصيدة طويلة كما يقول أبو راس" ولولا خوف الإطالة لأوردناهما على طولهما، لكن خير الأمور أوساطها"[4]. كما نجد أبو راس في قصيدة أخرى يمدح فيها شيخه مرتضى الزبيدي الذي يعد من أهم شيوخه، بقوله:

وَقُدْوَتِي مُرْتَضَى[1] وَشَيْخِي وَمَوْرِدِي   إِمَامُ الأَنَامِ الزَّاهِدِ المُتَعَبِّدِ
دَلِيلُ طَرِيقِ السَّالِكِينَ إِلَى العُلاَ   عَلَى حَضْرَةٍ يُحْظَى بِهَا كُلُّ مَسْعَدِ

1) أبو راس الناصر، فتح الإله ومنته، المصدر السابق، ص:55.

2) ديوان البشير محمودي، و:132. راجعها في:أبو راس الناصر، فتح الإله ومنته، ص:56.

3) ديوان البشير محمودي، المصدر السابق، و:132. راجعها في: فتح الإله ومنته، المصدر السابق، ص:57.

4) الصواب أوسطها، أبو راس الناصر، فتح الإله ومنته، المصدر السابق، ص:57.

أَبُو الفَيْضِ ذُو الإِفْضَالِ وَالسَّعْدِ وَالعَطَا   إِمَامِي وَأُسْتَاذِي وَشَيْخِي وَسَيِّدِي[2]

وهذه قصيدة مصطفى بن عبد الله الدحاوي يرثي بها الطاهر بن حوا[3]، بقوله:(البحر البسيط)

كَيْفَ السَّلْوُ عَنْ صَفْوَةِ الإِخْوَانِ   والشوق من تذكاره أضنان[4]
إني يطيق الصّبر من ألف الكرى   من فرط ما يلقاه من أشجان
والقلب يرنو والضمير مولّه   وفي الفؤاد حرارة البلان[5]
والشّاذي يشدو بالغازي وذكرها   وبن حوا الفارس الدمغان
حاز الفضائل لم تفته كريمة   لا يستمل من قرى الضيفان
ساد الزّمان بشيمة نبوية   فهو الجواد الفائق الأقران

---

1) مرتضى الزبيدي(1145-1205ه =1732-1790م): محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسينى الزبيدى، أبو الفيض، الملقب بمرتضى: علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من كبار المصنفين. أصله من واسط (في العراق) ومولده بالهند (في بلجرام) ومنشأه في زبيد (باليمن) رحل إلى الحجاز، وأقام بمصر، فاشتهر فضله وانهالت عليه الهدايا والتحف، وكاتبه ملوك الحجاز والهند واليمن والشام والعراق والمغرب الأقصى والترك والسودان والجزائر، وزاد اعتقاد الناس فيه حتى كان في أهل المغرب كثيرون يزعمون أن من حج ولم يزر الزبيدى ويصله بشيء لم يكن حجه كاملا ! وتوفى بالطاعون في مصر. من كتبه (تاج العروس في شرح القاموس) عشرة مجلدات، و(إتحاف السادة المتقين) في شرح إحياء العلوم للغزالي. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج7، ص:70.

2) قصيدة طويلة أنظرها في ديوان الشيخ البشير محمودي، و:132. وفتح الإله ومنته، ص:59.

3) هذه القصيدة للعلامة مصطفى بن عبد الله الدحاوي من تلاميذ أبي راس الناصر، الذي كان قاضيا بمحلة الباي محمد بن عثمان الكبير، حيث رثى بها الطاهر بن حواء وأحمد نكروف في حصار وهران 1791م – 1205هـ. ديوان الشيخ محمودي البشير، مخطوط خاص، و:118و.

4) للضرورة الشعرية حذف الياء، وأصبحت القافية نونية.

5) البلان: كشداد أهمله الجوهري، وقال ابن الأثير هو (الحمام)؛ ومنه الحديث"ستفتحون بلادا فيها بلانات" أي حمامات قال والأصل بلالات فأبدلت اللام نونا (وذكر في اللام)، ويطلق الآن في عرف العامة على الدلاّك في الحمام. ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1996، ج11، ص:63.

بحر العلوم ومن إليه زمانها ألقت إليه مقاليد العرفان[1]

بهذا التقديم الشعري، حاول مصطفى بن عبد الله الدحاوي أن يقدم لنا مرثية، " كفارس لا يشق له غبرا، في حلبات المنون والفنون. فتنصاع له وتنقاد، إلاّ أنّ الفارس سقط صريع الموت"[2]، تاركا وراءه علوما كثيرة، وفضائل جمة، وشجاعة لا ترنوها شهامة في ساحة الوغى.

أمّا باقي أبيات القصيدة، فهي رثاء صادق للمتوفى، بكى فيه مصطفى بن عبد الله الدحاوي، خصال العالم الباحث، والفقيه النحرير، وصاحب الجود والكرم. والدحاوي في الأبيات، بعد الثلاثة الأولى، يعدد فيها الفضائل العلمية التي حازها المرثى، فهو بذلك يشارك مرثاه حسا ومعنى.

وقبل أن نلتمس المعالم الهيكلية للنص، بغية إبراز القسم المحوري فيه، فإنه لابد من استنطاق هذه الأبيات التي توزع فيها الخطاب بين الوقوف على الأطلال، ووحشة الصحب والديار، وبين معاني الحسرة والرثاء، في قصيدة لمصطفى الرماصي[3] يرثي بها شيخه محمد عمرو التراري المشرفي[4]، بقوله:(البحر الوافر)

1) ديوان الشيخ محمودي البشير، المصدر السابق، و:119.

2) عبد الله كنون، أدب الفقهاء، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دط، دت، ص:180.

3) مصطفى الرماصي: هو أبو الخيرات محمد بن عبد المؤمن الرماصي، نسبة إلى رماصة(قرية من قرى الوطن الراشدي)عالم من علماء القرن الثاني عشر الهجري، له عدة مؤلفات منها: الهداية في تاريخ الراشدية، حاشية على الشيخ التتائي، وشرح على عقيدة السنوسي. زاره عبد الرحمن الجامعي الفاسي بمعهده برماصة. أنظر: عبد الرحمن الجامعي، شرح أرجوزة الحلفاوي التلمساني، مخطوط خزانة الشيخ البشير محمودي، و:15.

4) عمرو التراري المشرفي:من علماء الوطن الراشدي، وقاضي القضاة وشيخ الجماعة، ولقد كان القضاة عند تخرجهم يؤدون يمين القسم على يديه، وهو من شيوخ مصطفى الرماصي.الزاوي الجيلالي، نافذة على بعض علماء معسكر، رثاء الشيخ مصطفى الرماصي لشيخه عمرو التراري المشرفي، "المجلة الجزائرية للمخطوطات"مخبر المخطوطات وهران، ع3/2، 2005/2004، ص ص:85-100.

خَلِيلِي عَوَجَا[1] بي عَلَى طَلَلٍ عَفَا مَعَالِمُهُ قَدْ غُيرَّتْ وَمَعَاهِدُهُ
وَأَسَفَتْ عَلَيْهِ السَافِيَاتُ بِعِيدِنَا دقَاقُ الحَصَى فَانْحَطَّ مِنْهَا أَجَالِدُهُ[3]
فَعَادَ نَوَاهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ غِبْطَةً وَصَارَ مَقَرَّ الوَحْشِ فِيهِ أَوَابِدُهُ[4]
كَأَنْ لَمْ يُكُنْ لِلنَّاسِ مَغْنًا وَمَالقَا[2] تَلاَعَبَ فِيهِ خَوْدُهُ[5] وَخَرَائِدُهُ[6]

إنّ هذه الأبيات بالرغم من دورانها في فلك المعارضة، فإنّ الرماصي قد حوّل معانيها من مجال المقدمة الطللية، إلى مجاري الذات المنهوكة بوحشة الصّحب والدّيار. ويستعرض الطاهر بن حوا في قصيدته منوها ببعض علماء من سبقوه من منطقة مستغانم، بقوله:(البحر الطويل)

آها على ورثة الرسول آها على الحقائق العدول
آها على أشياخها الحمال ألوية العلوم والأعمال
آها على أوعية العلوم آها على ثواقب الفهوم

1) عوجا:من العائج: الواقف. وقال: عجنا على ربع سلمى أي تعريج وضع التعريج موضع العوج، إذ كان معناهما واحدا. وذكر ابن الأعرابي: فلان ما يعوج عن شيء، أي ما يرجع عنه. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1987، ج1، ص:331.

2) ديوان الشيخ محمودي البشير، المصدر السابق، و:27.

3) أجالده:من (الأجلد) بمعنى الأرض الغليظة الصلبة. إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، تح: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، الرياض، ج1، ص:129.

4) الأوابد: من الآبدة بمعنى الأمر العجيب يستغرب له؛ والداهية يبقى ذكرها، جمع أوابد وأوابد الكلام غرائبه وعجائبه وأوابد الطير التي تقيم بأرضها شتاءها وصيفها وأوابد الوحش التي توحشت ونفرت من الإنس ويقال فرس قيد الأوابد يقيد طريدته لسرعته فلا تفلت منه. المصدر نفسه، ج1، ص:2.

5) الخَوْد: الفتاةُ الحَسناء الخَلق الشابة. أبو الحسن بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 2000، ج4، ص:25.

6) خرائده: ج خريدة: ابن الأعرابي: لُؤْلُؤَةٌ خَرِيدةٌ: لم تُثقَبْ. قال: وكلُّ عذراءَ خريدةٌ. ابن سيده، المخصص، تح: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1996، ج1، ص:344.

آها على خيارها الذين كانوا على المنهاج سالكين[1]

1- 4 شعر التوسل بالأولياء والصالحين:

إنّ ظاهرة التوسل برجال الله من طرف أوليائه الصالحين، " لها ارتباط جسمي وجدلي بإحباطات الإنسان وعجزه، عن مقاومة العواصف التي تهب عليه من حين لآخر خاصة في المجتمعات المنكوبة بالقهر والهزات، وما في مجراهما من سيطرة القوي واستسلام الضعيف"[2]. فالتوسل برجال الله مضنة حصول الخير والبركة من أبرز مميزات وخصائص ذلك العهد.

وكون هذه الظاهرة حاصلة بتأثير فاعل؛ يزكيه التراكم الثقافي الوافد من الشرق كما من الغرب الإسلامي، والذي جاء مصاحبا للتيارات الصوفية وغيرها. وقد خاض في هذا الموضوع غير واحد من المتقدمين كصاحب "حلية الأولياء"[3]، وصاحب "جامع كرامات الأولياء"[4]، وصاحب "جمهرة الأولياء" إلى جانب كتاب

1) الطاهر بن حوا، سبيكة العقيان فيمن حل بمستغانم من الأعيان، ديوان الشيخ البشير محمودي، خزانة الشيخ البشير محمودي، البرج، و:103.

2) إبراهيم بدران، سلوى الخماش، الفصل الثاني عن (الأولياء)، دراسات في العقلية العربية – الخرافة، دار الحقيقة، بيروت، ط2، 1979، ص:111.

3) أبو نعيم(336-430ه=948-1038م): أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، أبو نعيم: حافظ، مؤرخ، من الثقات في الحفظ والرواية. ولد ومات في أصبهان، من تصانيفه (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) في عشرة أجزاء، و(معرفة الصحابة) مجلد كبير. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج1، ص:157.

4) النبهاني (1265-1350ه=1849-1932م) يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني: شاعر، أديب، من رجال القضاء؛ نسبته إلى " بني نبهان " من عرب البادية بفلسطين، استوطنوا قرية " إجزم " التابعة لحيفا في شمالي فلسطين، وبها ولد ونشأ، وتعلم بالأزهر بمصر (سنة 1283 – 1289 م) وذهب إلى الآستانة، فعمل في تحرير جريدة " الجوائب " وتصحيح ما يطبع في مطبعتها. له كتب كثيرة، منها(جامع كرامات الأولياء).ج8، ص:218.

"تذكرة الأولياء"[1]، والمسرد يطول نختمه بصاحب "ختم الولاية" للحكيم الترميذي، وهو تأليف مهم وخير ما ألف في هذا الباب[2].

وما يمكن الإشارة إليه هو أنّ هذه المصادر كان لها باع في بلورة الفكر المعرفي والصوفي لدى متصوفة إيالة الجزائر والأقصى على حدّ سواء، وهو ما يحيلنا إلى أن للظاهرة أصول وجذور، ليس هذا معرض حديثنا عنها هنا.

واستئناسا بهذه الصورة العامة عن ظاهرة التوسل بالأولياء الصالحين، يسهل علينا أن نورد بعض النصوص التوسلية، والتي يمكن التعامل معها، في إظهار البعد الذاتي الواحد. حيث يستعرض أحد متصوفة بايلك الغرب في الأبيات الأولى بعض الكرامات التي كانت نابعة عن أحد أقطاب ذلك العصر وهو الشيخ بلقندوز، المشهود له بالولاية وبالصلاح، بقوله:(البحر البسيط)

أَلاَ يَا بْنَ قُنْدُوزٍ هَلْ تَرَى مَا أَلَمَّ مِنْ التَّفَرُقِ وَالبَوَارِ
رِجَالٌ تَفَرَّقُوا فِي كُلِّ وَادٍ وَضَاقَ الأَمْنُ مِنْ عَدَمِ اليَسَارِ
فَمِنْهُمْ مَنْ يَجُولُ بِالبَوَادِي وَمِنْهُمْ مَنْ غَادَرَ لِلصَّحَارِي
بِمَنْ يَتَوَسَّلُونَ إِنْ لَمْ تَغْشَهُمْ وَتَدْعُوَ اللهَ فِي جَبْرٍ وَانْكِسَارِي

---

1) فريد الدين العطار الهمذاني: محمد بن إبراهيم بن مصطفى بن شعبان فريد الدين العطار الهمذاني الصوفي ولد سنة 512 وتوفي شهيدا سنة 627 سبع وعشرين وستمائة. من تصانيفه أسرار نامة. اشتر نامة. النهي نامة. بلبل نامة. بند نامة. بيسر نامة. تذكرة الأولياء. القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري، دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، تح: وتعريب للفارسية: حسن هاني فحص دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000،ج4، ص:127.

2) ختم الولاية، للحكيم الترمذي (..- نحو 320ه=..- نحو932م):محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي: باحث، صوفي، عالم بالحديث وأصول الدين، من أهل (ترمذ) نفي منها بسبب تصنيفه كتابا خالف فيه ما عليه أهلها، فشهدوا عليه بالكفر. من مؤلفاته: (ختم الولاية وعلل الشريعة)، (غرس الموحدين) و(الرياضة وأدب النفس) و(غور الأمور) و(المناهي) و(شرح الصلاة). خير الدين الزركلي، الأعلام، ج6، ص:272.

إِلَى مَتَى يَبْقَى الحَالُ عَلَى هَذَا وَأَنْتَ مِمَّنْ يَتَوَسَّلُ بِهِ بِلاَ افْتِخَارِي[1]

إنّ هذا الخطاب التوسلي بما يحويه من استنطاق دلالي لمعجم القصيدة ومضامينها، إنما هي في الحقيقة استحضار لشرط الأحداث التي صور فيها هذا المتصوف سجل الأحداث، الذي ضمّنه خطابا توسليا موصلا حمولة لفظية تحاول بلوغ المرام.

الخاتمة

1) مؤلف مجهول، قصيدة توسل بالشيخ بلقندوز، ديوان شعر الشيخ البشير محمودي، و:110.

خاتمة

لقد تناولت هذه الدراسة موضوع المساهمة العلمية لمتصوفة بايلك الغرب خلال القرنين(11-12هـ-17-18م)، وهي فترة اتسمت بالاضطرابات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، كانت لها تأثير كبير على الناحية العلمية والثقافية ببايلك الغرب خاصة وبإيالة الجزائر بصفة عامة. بل وحتى في رسم معالم الحركة العلمية الصوفية ببايلك الغرب.

يتضح من خلال ما سبق أنّ متصوفة بايلك الغرب كانوا على نوع من الاهتمام البالغ بالعلم، حيث لم تصرفهم الأحوال السياسية المضطربة عن تحصيله فاشتغلوا بالفقه وإليهم انتهت رئاسته، ليتمكنوا بعدها من تحصيل الكثير من العلوم والفنون، ولم يقفوا عند هذا الحد بل تعدوه إلى التأليف والتدوين. فقد ساعدتهم إرادتهم القوية التي مكنتهم من التفوق في العلم.

كما أنّ روح التكافل الاجتماعي بين حواضر بايلك الغرب من جهة وبين المتصوفة والطلبة من جهة ثانية، كان له الأثر البالغ في شخصية هؤلاء الطلبة، وكل هذا كان كفيلا بأن يكون عاملا مشجعا على نشر العلم ومن ثم التفرغ للتأليف

والتدوين. وهذا بطبيعة الحال الدور الريادي الذي لعبه بعض بايات بايلك الغرب. رغم الوضع السياسي المضطرب آنذاك.

وممّا يلفت للانتباه هو أن متصوفة بايلك الغرب كانت الفئة الأولى التي أوكلت لها مهمة ربط العلاقات في المجال الإداري بين السلطة العثمانية وبين سكان الرعية. فقد كانت استفادة السلطة العثمانية من متصوفة بايلك الغرب واضحا، وهذا من خلال منح بعضهم مناصب عالية بالبايلك كمنصب القضاء والافتاء، لما لهؤلاء المتصوفة من مكانة وحظوة لدى الرعية ومعاملتهم الحسنة لهم. فهم كانوا أحد أفراد المجتمع وظلوا يحسّون بما يحسّ به مجتمعهم ويتأثرون بما يتأثر به محيطهم.

وخلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين (17–18م) عرف بايلك الغرب حركة انبعاث ثقافي في ظل إرادة سياسية عثمانية على يد الباي مصطفى بوشلاغم ومن بعده الباي محمد بن عثمان الكبير، الذي كان له دور ايجابي ســيادي بيضاء في النهوض بالحركة الثقافية والفكرية وتنشيطها بفضل السياسة التي اتبعها.

ورغم انشغال إيالة الجزائر بالشؤون السيسياية والاقتصادية، إلاّ أنّ هذا لم يمنع من بروز حواضر ومدارس علمية، بلغت شهرتها الآفاق، مما أدى إلى ظهور عدد من المتصوفة الذين أثروا الحياة العلمية ببايلك الغرب بمؤلفاتهم المختلفة، حيث لزال جزء منها يشكل مصدرا مهما في كتابة تاريخ الجزائر الحديث.

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ العناية بالعلوم الشرعية والعلوم المساعدة لها كاللغة والنحو والبيان وغيرها، قد ظلت محل عناية من طرف المتصوفة من جهة ومن طرف المؤسسات الثقافية بالحواضر العلمية، حيث أدى التركيز عليها إلى ضعف العناية بالعلوم الأخرى. ولم يكن هذا القصور محصورا على مؤسسات

العلم والثقافة بحواضر بايلك الغرب، بل هو حال إيالة الجزائر عموما. وهذا ما أدى إلى ضعف وضعية العلوم العقلية خلال تلك الفترة، وليس أدلّ على ذلك من قلة المشتغلين بالطبّ والكيمياء، والفلك، والحساب، الجبر وغيرها من العلوم الطبيعية والتجريبية.

والجدير بالذكر أنّ بعض المتصوفة ببايلك الغرب ممن مارسوا مهمّة التعليم والتدريس بمختلف المؤسسات الثقافية، قد تطرقوا أثناء مجالسهم العلمية لبعض العلوم العقلية كالحساب والفرائض والفلك، ولكن دراستها كانت سطحية، ولم تكن إلاّ على سبيل الاستفادة منها في الحياة اليومية. وبالتالي فعدم اهتمام متصوفة بايلك الغرب بهذه العلوم، دفع بالكتاب الأوربين إلى نقد التعليم بإيالة الجزائر عموما، وهو الأمر الذي لا يخلو من الصواب.

ومن هنا فقد تبوأت حواضر بايلك الغرب بمدارسها المختلفة مكانة مرموقة في الفقه المالكي وفي العقائد، حيث أصبحت كل مدرسة مختصة بنوع من العلوم، الأمر الذي أدى إلى منافسة علمية وفكرية في أوساط المتصوفة والطلبة، والتي دلت على أنّ مستوى الفكر الفقهي والعقائدي ببايلك الغرب كان معمقا، وهو ما تدل عليه مؤلفات المتصوفة العلمية في تلك العلوم. والملاحظ عموما على تلك الفترة طغى عليها الاهتمام بالدراسات الفقهية أكثر من العقائدية. فقد كثرت وتعددت الرسائل والتعاليق والحواشي الفقهية التي كانت مرجعا أساسي في إصدار الفتاوى والنوازل المعمول بها في الحياة اليومية آنذاك.

إضافة إلى ذلك كان لمتصوفة بايلك الغرب في مسيرتهم العلمية عوامل حفّزتهم على تصدر مراتب النبوغ العلمي، مما جعلهم يندفعون إلى التأليف والتصنيف في مختلف العلوم والفنون، تمثلت أساسا في احتكاكهم بالعلماء والفقهاء من مختلف الأمصار إلى جانب الزيارات فيما بينهم بغرض تبادل المعلومات والأفكار والفتاوى والآراء والنوازل الفقهية، إلى جانب مشاركتهم في رباط وهران

الذي انتهى بفتحها عام 1206هـ/1792م. حيث لعب متصوفة بايلك الغرب عموما دورا رياديا في النهضة الفكرية والثقافية وفي حركة الجهاد ضد الإسبان.

ومن أهم النتائج كذلك نلاحظ مساهمة المتصوفة العلمية في فنون شتى،(التاريخ، الأدب، الفقه، الحديث، التفسير، العقيدة،...). ودور بعض الحواضر العلمية في تشجيع هؤلاء المتصوفة، سعيا منا في إثراء الدراسات التاريخية الجزائرية حول بايلك الغرب خصوصا، وإيالة الجزائر عموما.

ولقد كان موضوع الجهاد ضد النصارى الإسبان الشغل الشاغل لمتصوفة بايلك الغرب ومثقفي الحواضر العلمية بالبايلك، إذ سجلوا مشاركاتهم في حركة الجهاد أفرادا وجماعات وخاضوا المعارك، وكانت مؤلفاتهم العلمية وأشعارهم تلهب حماس العامة لمقاومة الاحتلال الإسباني، وقد كان رباطهم قرب وهران شاهد على حربهم ضد الإسبان.

وقد كانت مجالس الدروس وحلقات العلم التي كان يعقدها متصوفة بايلك الغرب في المدارس والمساجد والزوايا تبعث روح الحماسة وتدعو إلى الجهاد والرباط بوهران، ويتجلى ذلك من خلال تلك الخطب الحماسية والمناظرات الفكرية بين متصوفة بايلك الغرب والطلبة في أفضلية باب الجهاد وحكمه. وقد كان حضور متصوفة بايلك الغرب وطلبة العلة وحملة القرآن واضحا برباط وهران.

ومن خلال ما سبق يتّضح أنّ سياسة الباي محمد الكبير الثقافية تمثلت في ضرورة تفعيل العملية التعليمية والاهتمام بالمتصوفة من الفقهاء والأدباء إدراكا منه أنها أساس رقي المجتمعات ونهوضها، كما تفطّن للدور الريادي الذي تلعبه هذه الفئة في تفعيل الحياة العلمية والثقافية بإيالة الجزائر عموما وببايلك الغرب خصوصا. وبعث الرباطات الطلابية به، حيث استطاع الباي محمد الكبير أن يجمع شتات متصوفة الحواضر العلمية ببايلك الغرب.

وإذا كان الباي محمد الكبير قد وُفق إلى حد كبير في إحياء الحركة الثقافية والعلمية ببايلك الغرب من خلال نشر التعليم بواسطة الاكثار من هياكله وترسيم موظفيه وتحديد أوقافه وبعث حركة نسخ المخطوطات النادرة والنفسية، وتكليف فئة معينة باختصار الكتب الأدبية والفقهية المطولة وجمع الرسائل العلمية وتخليد مآثره العسكرية والتي دلّت على اهتمامهم بالعلم، فإنه أخفق في ضبط أو إيجاد برنامج موحد ومتنوع يوازن بين العلوم النقلية والعقلية، كما أغفل في منهجية التدريس وتكييف التلعيم مع الواقع المُعاش، كما لم يدفع بالمتصوفة والطلبة إلى البحث عن القواعد العلمية لمواجهة مشاكل البايلك الإقتصادية والإجتماعية، مثلما دفعهم إلى ساحة قتال العدو برباط وهران ومن ثمّ فتحها سنة 1206هـ/1792م.

وعلى العموم فلقد شهدت حاضرة الراشدية(معسكر) نهضة علمية وفكرية كبيرة خلال القرنين 17و18م(11-12هـ). إذ وجدت بها مدارس ومعاهد ذات شهرة واسعة ومساجد جامعة وزوايا صوفية عريقة، نبغ بها متصوفة أجلاء وفقهاء وشعراء ومحدثون ومؤرخون نبغوا في ميدان الدراسات التاريخية. أمثال: مصطفى الرماصي، أبو راس الناصر المعسكري، مصطفى بن عبد الله ابن زرفة الدحاوي، عبد القادر المشرفي، الطاهر بن حوا، محمد بوجلال، ابن هطال التلمساني، ابن سحنون الراشدي، محمد بن يوسف الزياني، مسلم بن عبد القادر الوهراني، الذين كانوا جميعا من المتصوفة العلماء.

وقد لعبت حاضرة مازونة أدوارا طلائعية في تكوين الطلبة وتخريج العديد من المتصوفة الذين كانت لهم أيادي بيضاء في إغناء تراث الحضارة الاسلامية عموما وإيالة الجزائر خصوصا خلال العهد العثماني، وعلى هذا الأساس برزت نخبة من الفقهاء النابغين في ميدان علوم الحديث والشريعة والفتوى على مذهب الإمام مالك، مما جعلت شهرتهم تذكر في الآفاق.

لقد اعتبرت معاهد العلم والثقافة بحاضرة مازونة ومناهج التعليم بها، من أهمّ مراكز الإشعاع الثقافي آنذاك بدليل أنها كانت نقطة تحوّل حاسمة في حياة الطلبة الذين اجتهدوا في طلب العلم والرقيّ إلى درجة العلماء والفقهاء، ولعلّ من بين تلك المعاهد المدرسة الفقهية التي اشتهرت بالحديث وعلم الكلام وخاصة بالفقه حتى قيل مازونة بلد الفقه بالقطر الجزائري.

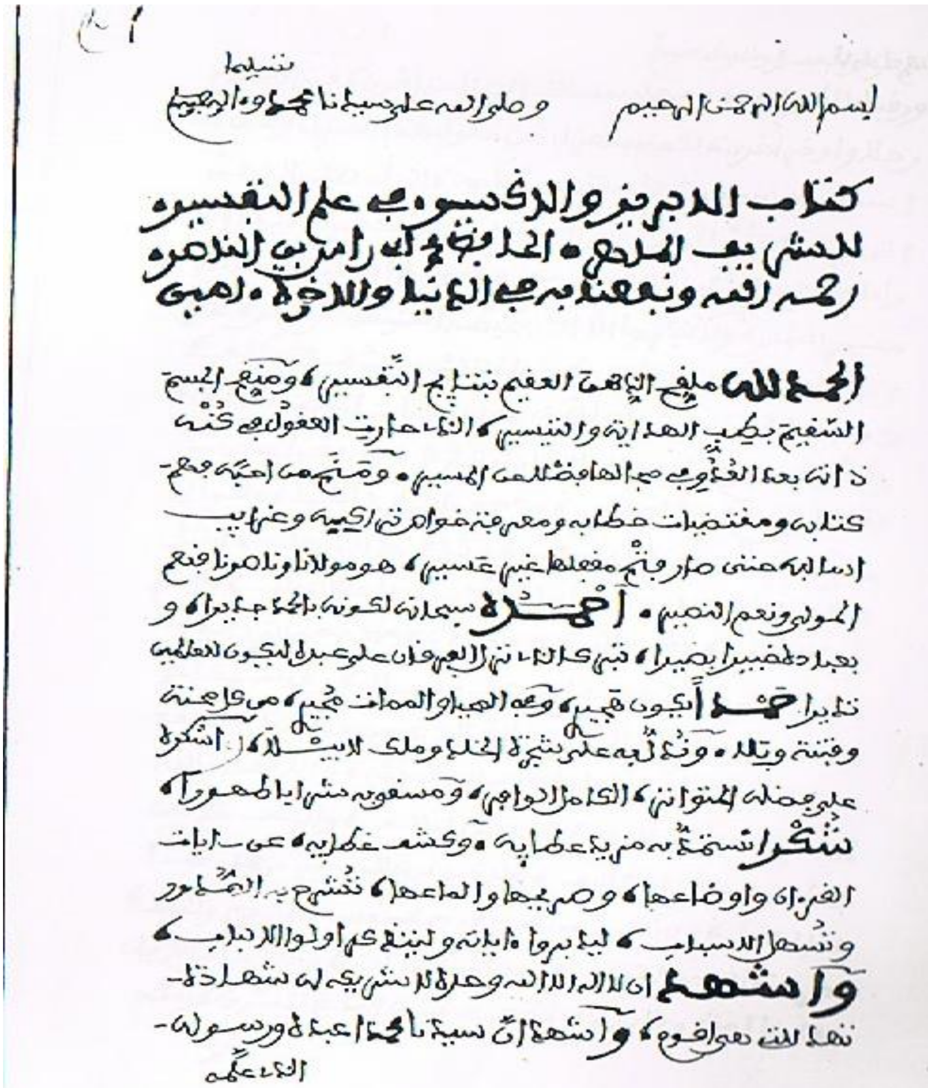
كما شهدت حلقات الدروس بتلك الحواضر العلمية ازدهارا كبيرا، من خلال حركة التعليم بها، والبرامج الدراسية المتبعة، إلى جانب كثرة المجالس العلمية ونجابة طلبتها.

كما حاولت الدراسة أن تعرض صورا من أشكال مساهمة متصوفة بايلك الغرب العلمية في العديد من الفنون كعلوم الشريعة. غير أن إساهمات المتصوفة في مجال التاريخ والتراجم والأنساب، كانت واضحة المعالم ومردّ ذلك إلى الحدث العظيم الذي شمل بايلك الغرب ألا وهو فتح وهران الثاني. بينما جانب علوم اللغة وفنون النثر الأدبي كان أقل.

وفي الأخير لابد من التأكيد على أنه وبالرغم من ذلك تبقى حياة متصوفة بايلك الغرب يشوبها بعض الغموض الذي لا يمكنه أن ينجلي إلاّ بالتعرض لمؤلفات هؤلاء المتصوفة بالدراسة والتحقيق وكشف الغبار عنها وجعلها في متناول الباحثين والمهتمين بتاريخ الجزائر الحديث عموما وبإيالة الجزائر على وجه الخصوص.

الملاحق

الملحق الأول



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

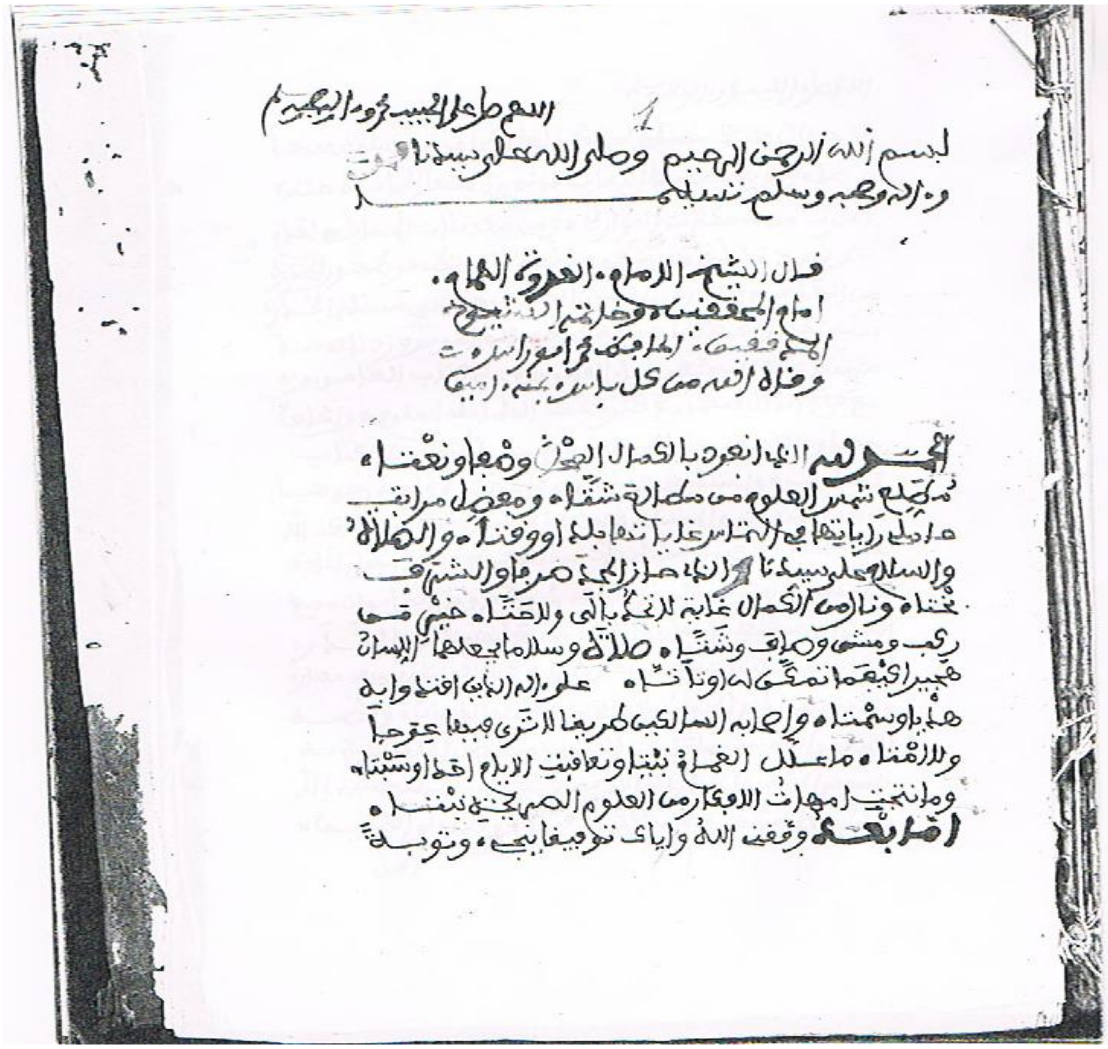
كتاب الابريز والاكسير في علم التفسير
للشيخ سيدي الحاج محمد ابي راس بن الناصر
رحمه الله ونفعنا به في الدنيا والآخرة آمين

الحمد لله ملهم الأئمة العظيم بنتائج التفسير، ومنعم الجسم الشفيع بطيب الهداية والتيسير، الذي حارت العقول في كنه ذاته بعد الغوص في الحقائق المستنير،

الورقة الأولى

أبوراس الناصر المعسكري(ت1823م)، الابريز والاكسير في علم التفسير، خزانة الشيخ بوكعبر بلقرد، معسكر.

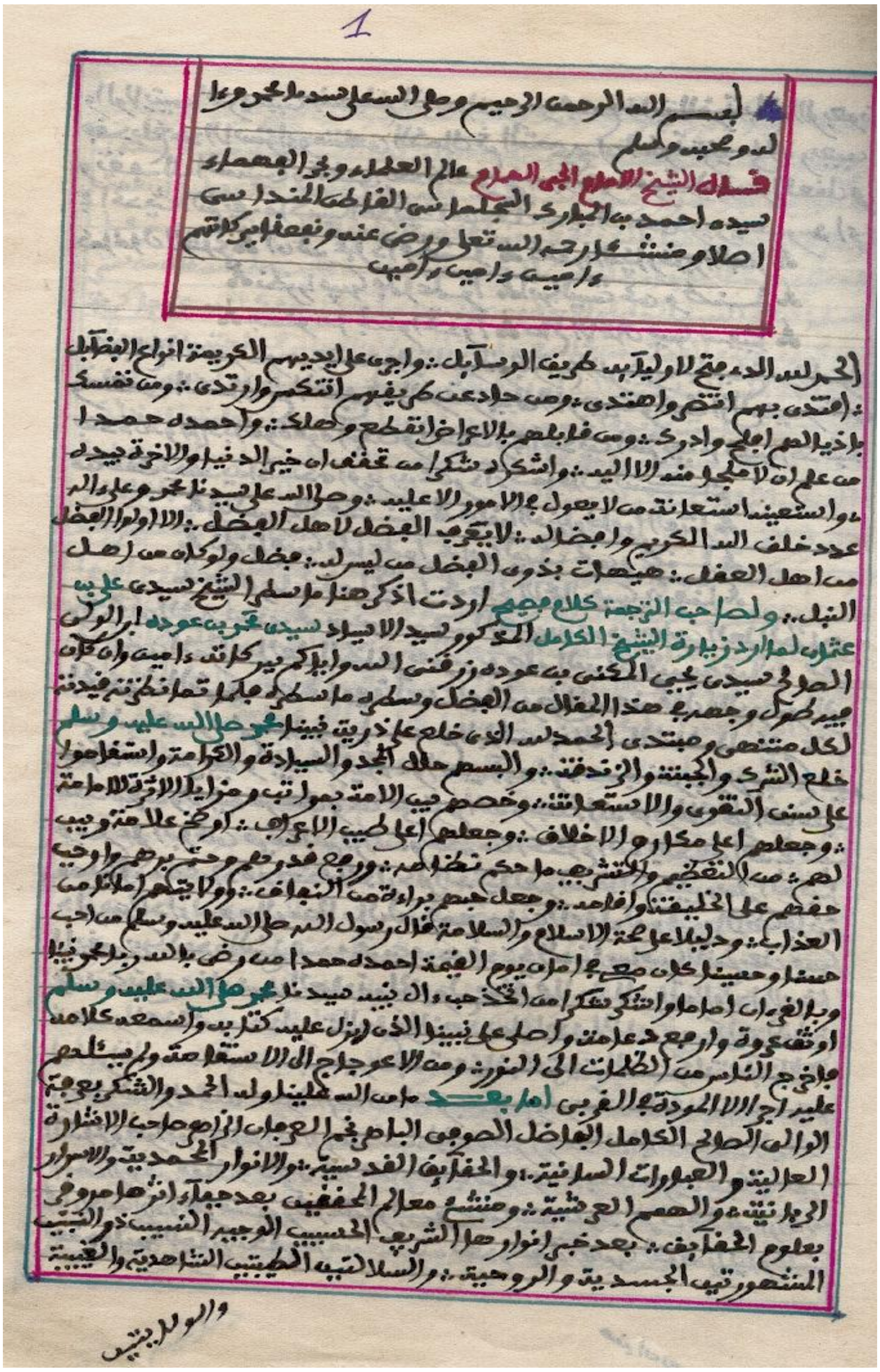
الملحق الثاني



الورقة الأولى

أبوراس الناصر المعسكري(ت1823م)، الكوكب الدري في الكلام عن الجدري، خزانة الشيخ بوكعبر بلقرد، معسكر.

الملحق الثالث



1

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم

قال الشيخ الإمام الحبر الهمام عالم العلماء وبحر الفهماء سيدي احمد بن المبارك السجلماسي الفاطمي المتداعي اصلا ومنشا رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا ببركاته ءامين ءامين ءامين

الحمد لله الذي فتح لأوليائه طريق الوسائل وأجرى على أيديهم الكريمة أنواع الفضائل

الورقة الأولى

أحمد بن المبارك السجلماسي، تحفة الهدى في مناقب سيدي امحمد بن عودة، خزانة الشيخ البشير محمودي، البرج، معسكر.

الملحق الرابع

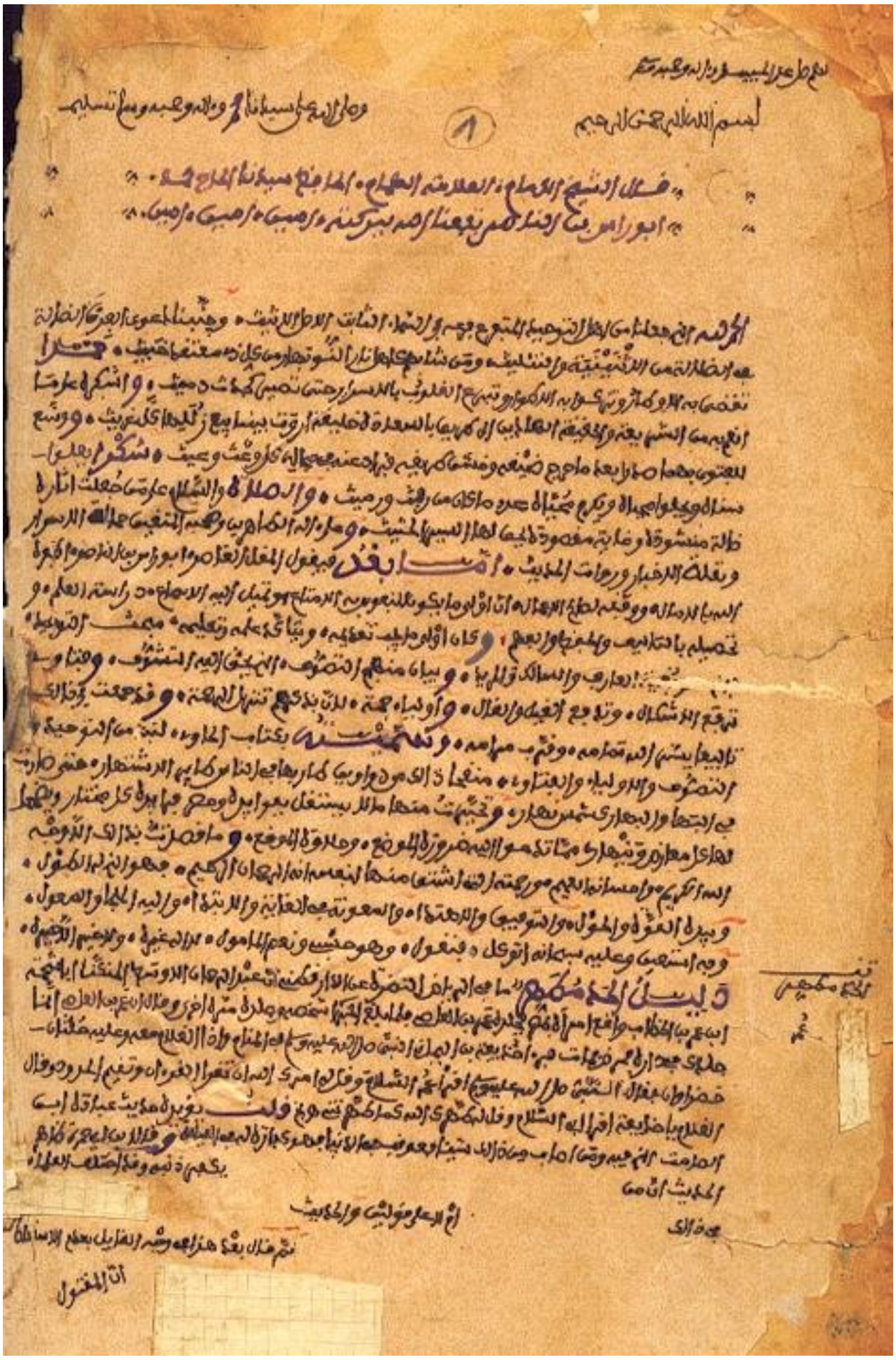

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

شرح الكبرى لمولانا سيدي محمد السنوسي نفعنا الله به

الورقة الأولى

أبوراس الناصر المعسكري(ت1823م)، شرح الكبرى للسنوسي، خزانة الشيخ البشير محمودي، البرج، معسكر.

الملحق الخامس



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

الورقة الأولى

أبوراس الناصر المعسكري(ت1823م)، الحاوي لنبذ من التوحيد والتصوف والأولياء والفتاوي، خزانة الشيخ بوكعبر بلقرد، معسكر.

الملحق السادس



الورقة الثانية

أبوراس الناصر المعسكري(ت1823م)، زهر الشماريخ في علم التاريخ، الخزانة العداوية، تيارت.

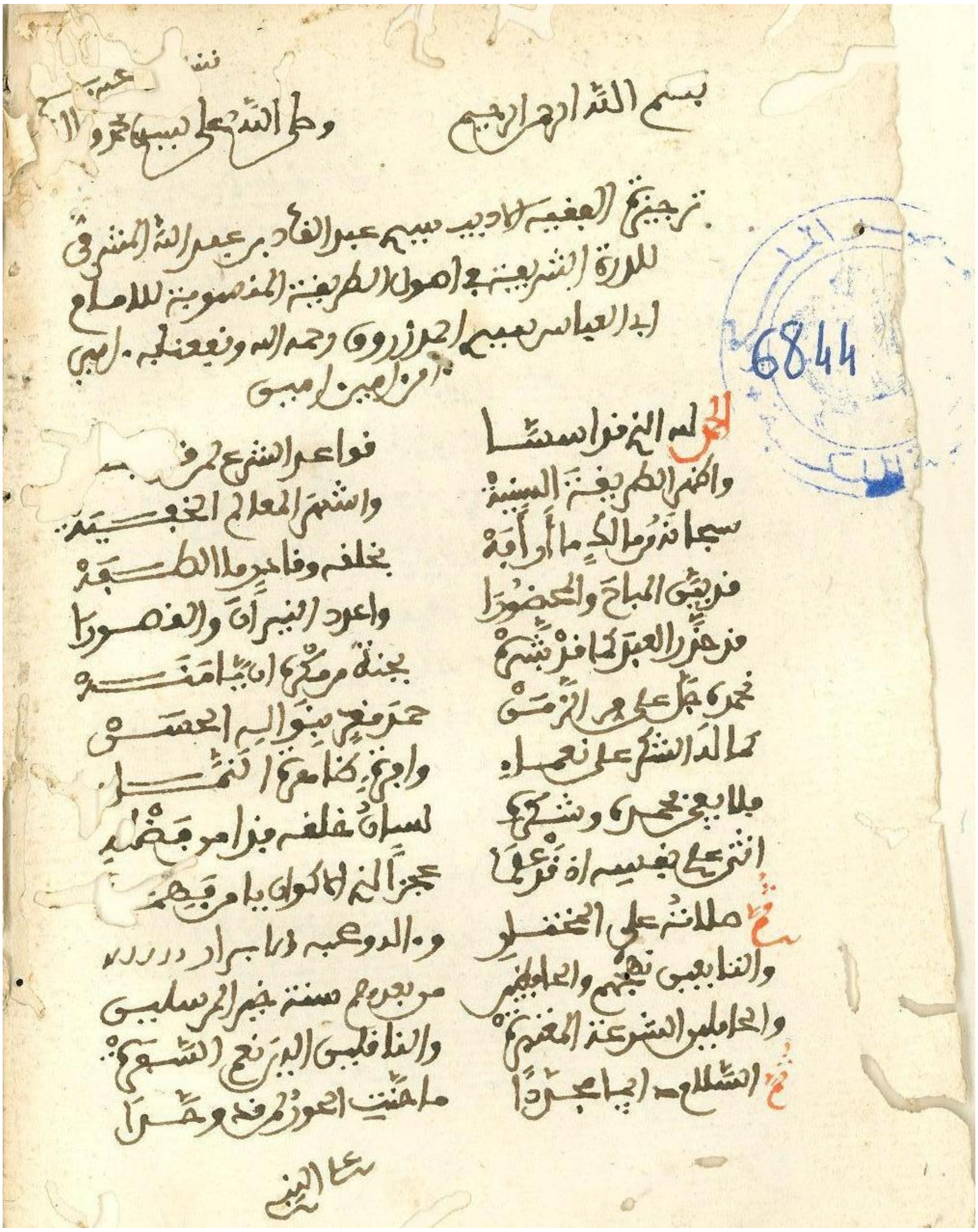
الملحق السابع


بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
وهذا كتاب الدر المهدي لغوثية أبي مهدي
شرح العالم العلامة الحبر الفهامة
الشيخ سيدي محمد بن أبي راس الناصر
الولي الصالح الشيخ سيدي
أبي مهدي عيسى
بن موسى
الحمد لله الذي جعل من عباده أهل إغاثته

الورقة الأولى

أبوراس الناصر المعسكري(ت1823م)، الدر المهدي لغوثية أبي مهدي، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم:3326.

الملحق الثامن



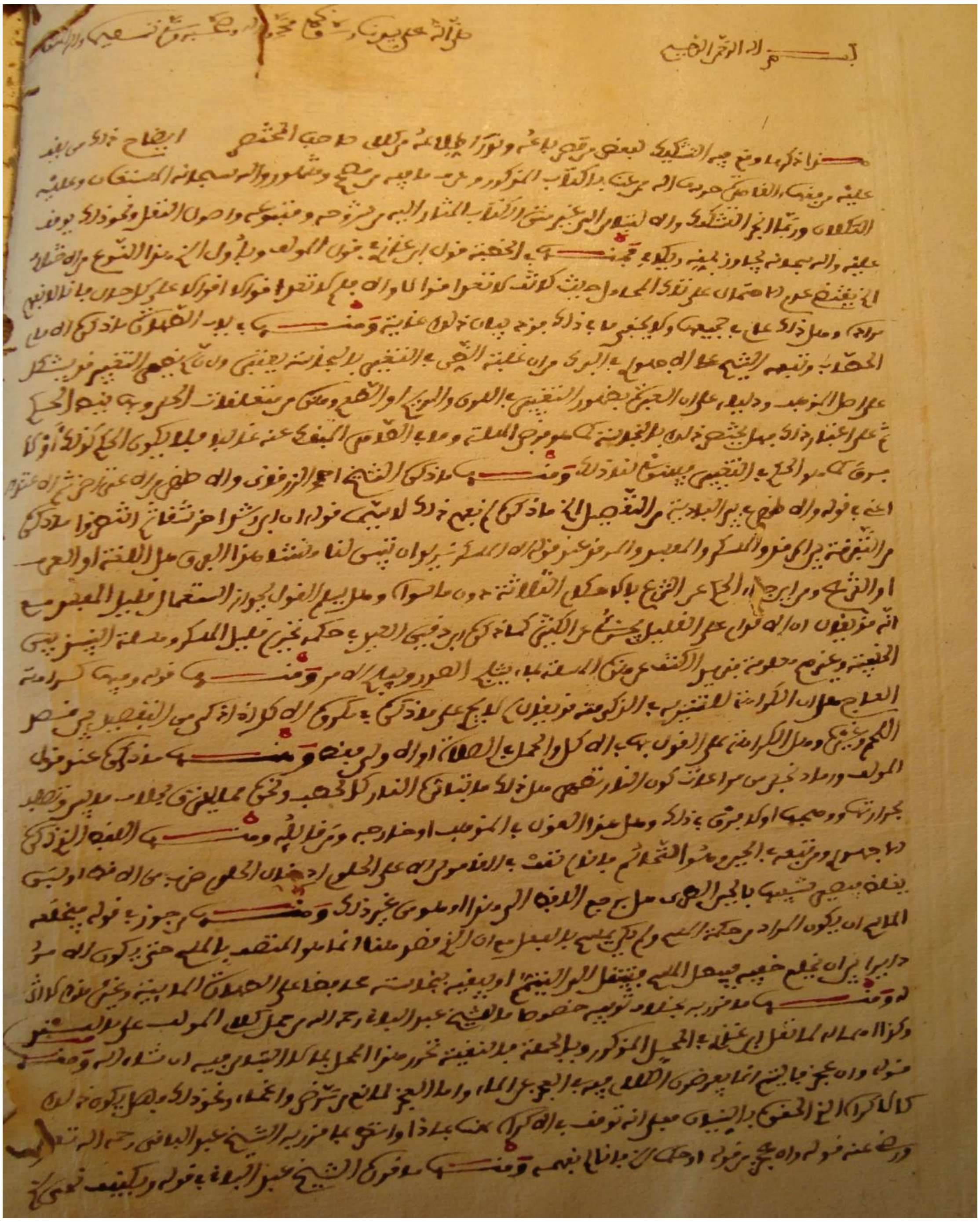
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

ترجيزة الفقيه الأديب سيدي عبد القادر بن عبد الله المشرفي للدرة الشريفة في أصول الطريقة المنسوبة للإمام أبي العباس سيدي أحمد زروق رحمه الله ونفعنا به. آمين آمين آمين

الورقة الأولى

عبد القادر بن عبد الله المشرفي، ترجيزة الدرة الشريقة في أصول الطريقة، خزانة القصر الملكي،الرباط، المغرب الأقصى.

الملحق التاسع



الورقة الأولى

مصطفى الرماصي(ت1724م)، أجوبة الرماصي فيما وقع التشكك فيه من كلام صاحب المختصر(ضمن مجموع)، خزانة علال الفاسي، الرباط، المغرب الأقصى.

الملحق العاشر



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
هذه رسالة الشيخ مصطفى الرماصي الذي رد فيها على سيدي احمد بن عامر الذي كان
قاضيا وجعل حكما على غير صواب رحم الله الجميع بمنه آمين

عبيد الله سبحانه تعالى محمد المصطفى الى ولدنا احمد بن عامر السلام على من
نفسه وازال بجميل الاوصاف بخسه وراض نفسه وهذب وتخلق بخلق
الكرام وتادب أما بعد فكثيرا ما يرد علينا كتابك بتوجب عليه جوابا
وتكون عند كثيرا ما عتابك مرارا ولم تعتنك لك مرارا مع علمنا
ان المسامحة في الخفاء مداهنة ارتكبنا ما هو ما ينبغي لنا ذلك سهل ارتكابه
ابقاء مودة الائتلاف وحسما لمادة الشقاق والاختلاف وصيانة الشتات
وخوفا من كلام الوشاة وجاء ان تفيق من سكرتك وتنتبه من رقدتك
فابيت الا التمادي على ذلك حتى وقفت على كتابك تقول فيه بعد وقوفك
على ما كتبناه وعلمك بما سطرناه وعزوناه لابي الحسن والقلشاني وصاحب
الدرر ما سوى هذا جور ومجور فان عنيت الاجل لك الخصم فهو لم يقل شيئا
ينسب فيه للجور والفجور وانما ادلى بما كتبناه وان عنيتنا بالجور والفجور فنحن محله
ونسأل الله العصمة على انا لم ننقل من عندنا شيئا وانما قلنا كلام من تقدم
والنافل بنجاة وقد قال مالك ادّ ما سمعت وحسبك وان كذبتنا فيما نقلناه
فالكتب موجودة بايدينا تشهد لنا وتنفي عنا وصم الكذب وان عنيت الائمة
الذين نقلنا عنهم وهو مثال كلامك لانحصار الكلام في ذلك فهو كلام والعياذ
بالله يقرب من الكفر وهو الكفر بعينه والجرأة على من هم الائمة المؤيدين
بانوار البصيرة الحاملين للمذهب على كواهلهم وهذا ابو الحسن المغربي عليه
اعتماد الائمة في جميع الاعصار في كل الامصار في حل مشكلات المذهب
وتقييد مطلقاتها وتخصيص عموماتها وتاويل ظواهرها اذا خالفت هذا ما
بصدقوها والقلشاني معلوم في جملة المذهب وناهيك به انه تلميذ
ابي عبد الله صاحب الدرر وهو الحافظ سيدي موسى بن عيسى حامل المذهب تلميذ
ابن مرزوق عالم الدنيا وتلميذ سيدي سعيد العقباني امام المغرب وابو الامام
وغيرهم من التلمسانيين المحققين حتى ك على محال العتمهم وقوفك على شيء من كلام

ابن رشد لم تعرج

الورقة الأولى

مصطفى الرماصي(ت1724م)، رد الرماصي على أحمد بن عامر البرجي، رسالة مخطوطة، خزانة الشيخ البشير محمودي، البرج، معسكر.

الملحق الحادي عشر


بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

خطبة الاستسقاء تستغفر الله سبعا ثم تقول

الورقة الأولى

مصطفى الرماصي(ت1724م)، خطبة الاستسقاء، رسالة مخطوطة، خزانة الشيخ البشير محمودي، البرج، معسكر.

الملحق الثاني عشر



الورقة الأولى

مصطفى الرماصي(ت1724م)، حاشية الرماصي على التتائي على مختصر خليل، مخطوط خزانة الشيخ البشير محمودي، البرج، معسكر.

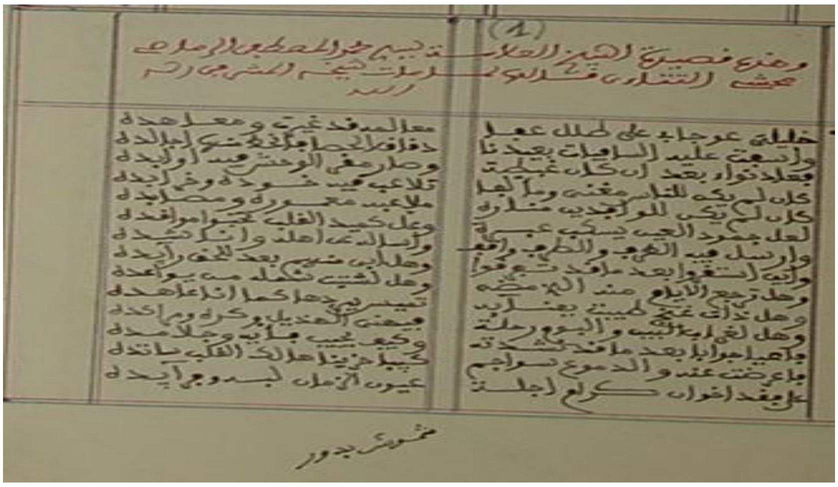
الملحق الثالث عشر



الورقة الأولى

مصطفى الرماصي(ت1724م)، شرح الرماصي على صغرى السنوسي، مخطوط خزانة الشيخ البشير محمودي، البرج، معسكر.

الملحق الرابع عشر





الورقة الأولى

مصطفى الرماصي(ت1724م)، قصيدة رثاء الرماصي لشيخه عمرو التراري المشرفي، ديوان أشعار، خزانة البشير محمودي، البرج، معسكر.

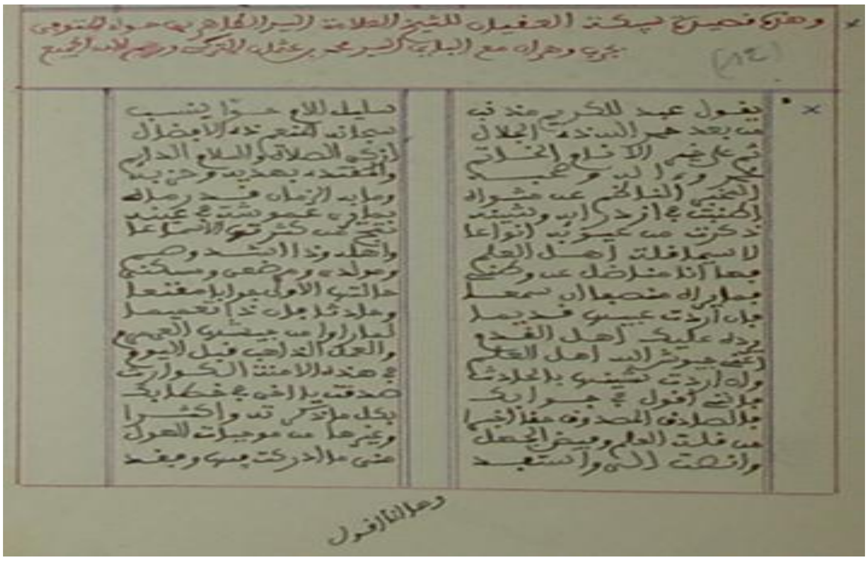
الملحق الخامس عشر

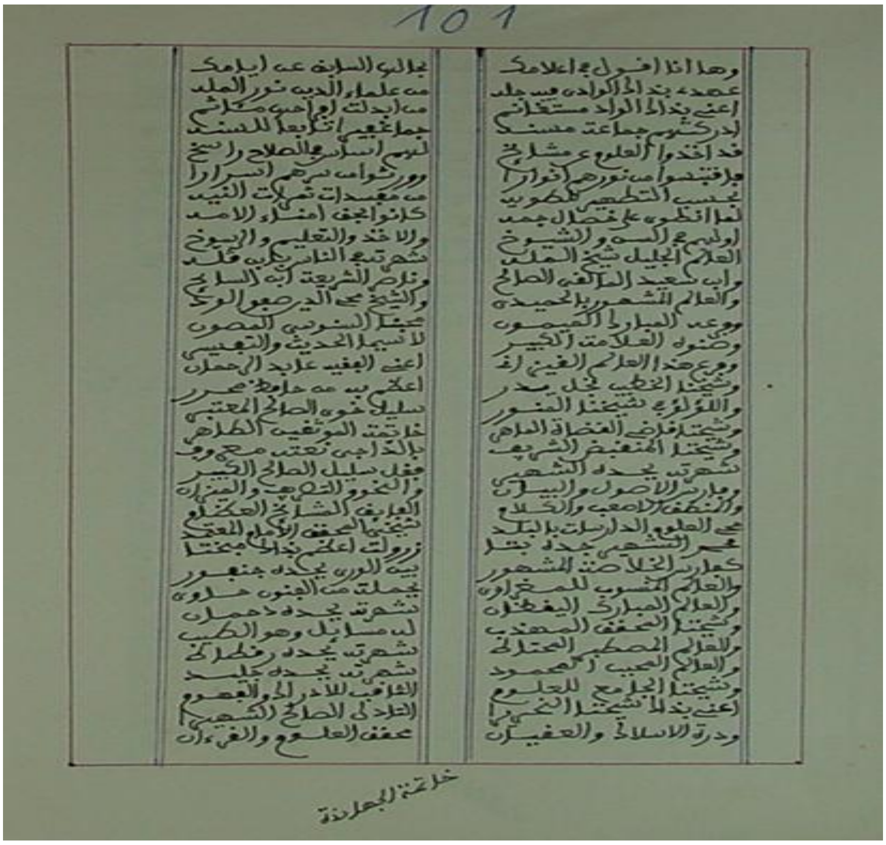


الورقة الأولى

مسلم بن عبد القادر(ت 1248هـ/1822م)، قصيدة في دخول الكفار الاسبان الجزائر، ديوان أشعار، خزانة البشير محمودي، البرج، معسكر.

الملحق السادس عشر

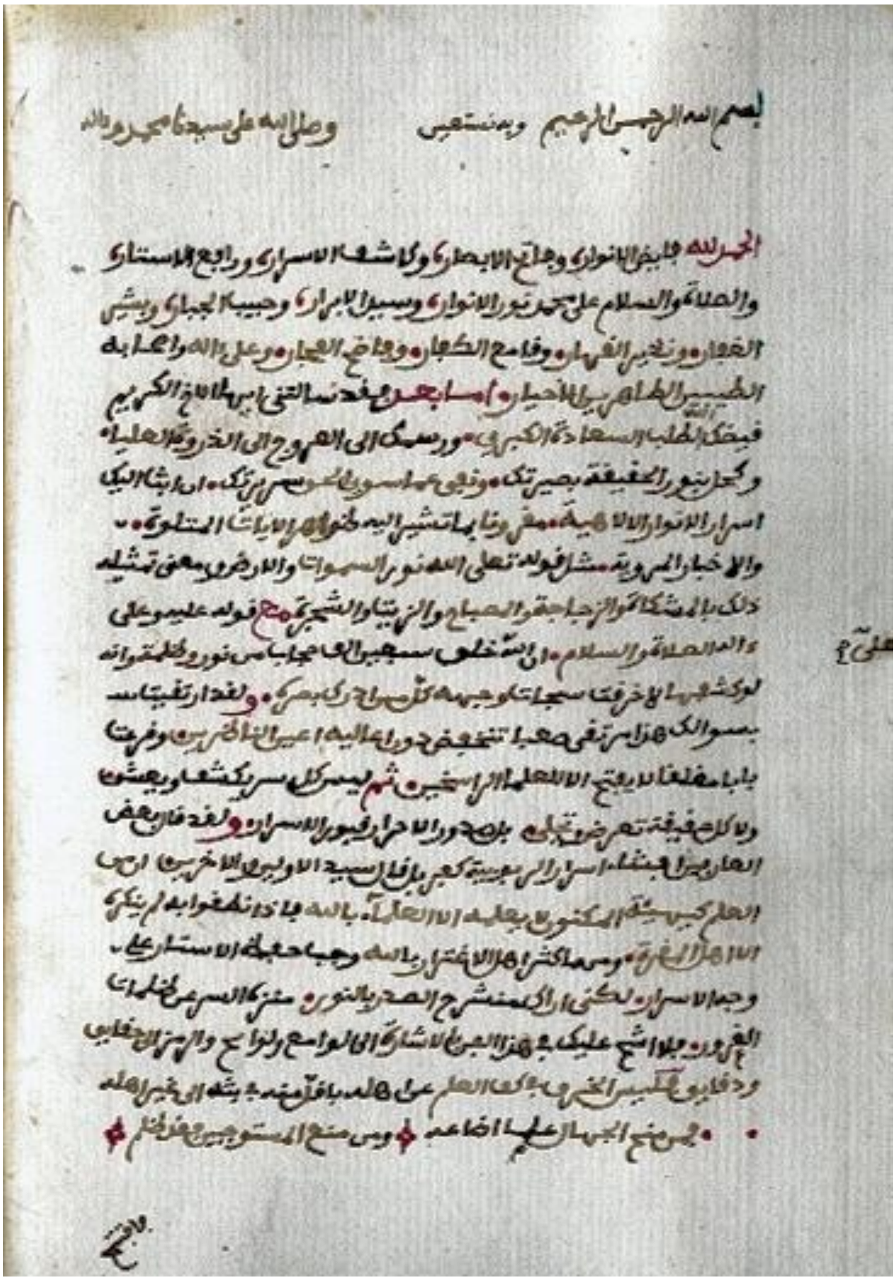




الورقة الأولى

الطاهر بن حوا(ت 1248هـ/1822م)، قصيدة سبيكة العقيان فيمن حل بمستغانم من العلماء والأعيان، ديوان أشعار، خزانة البشير محمودي، البرج، معسكر.

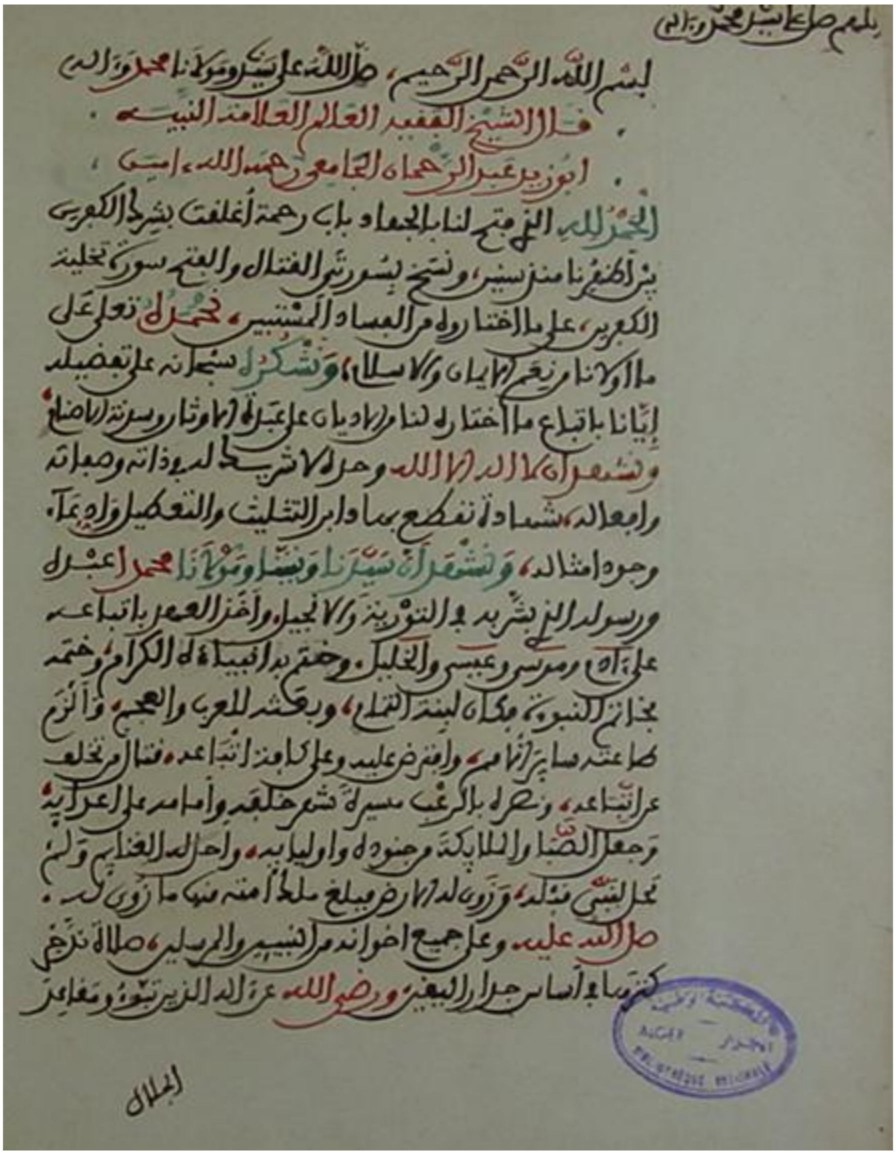
الملحق السابع عشر



الورقة الأولى

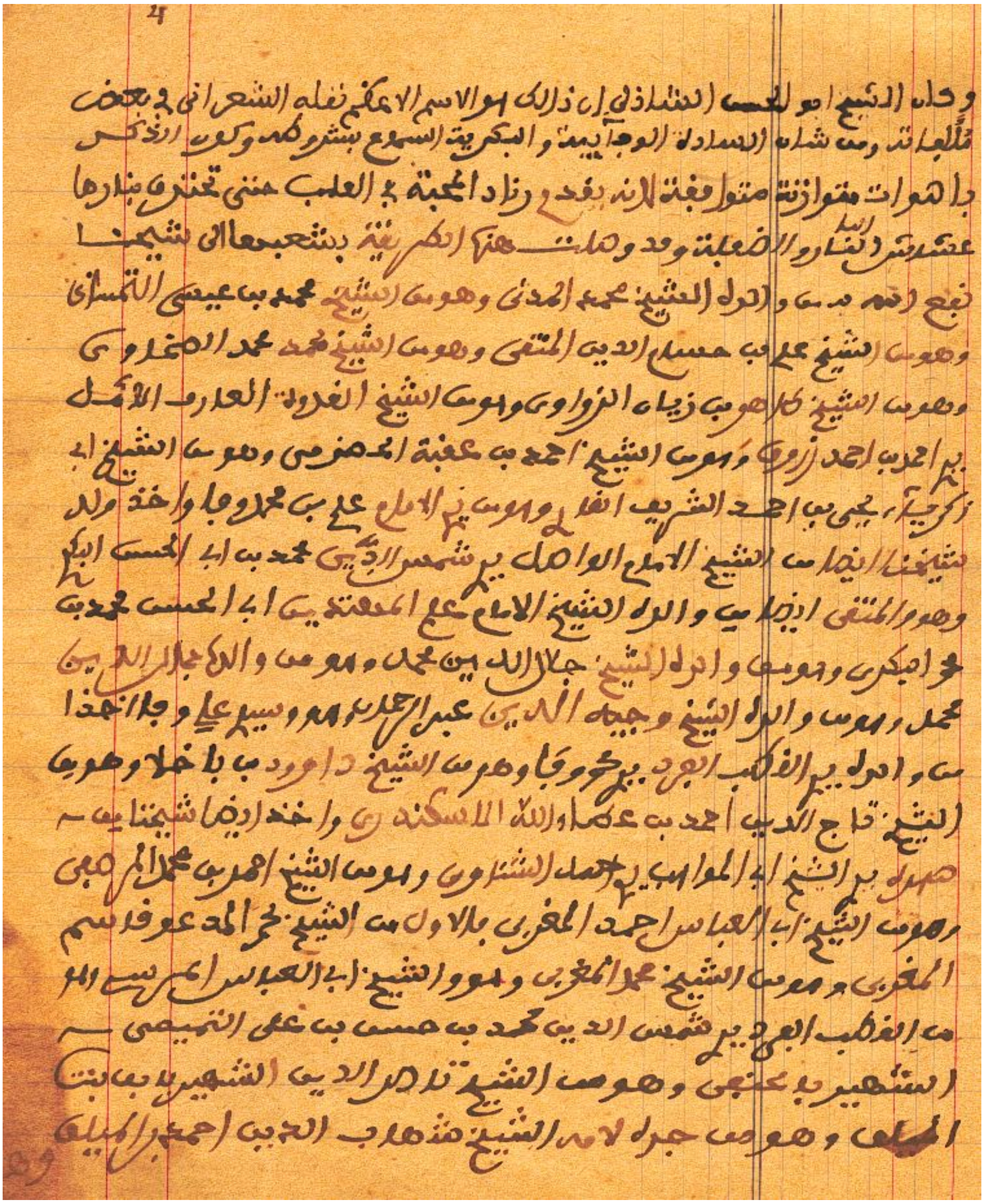
أبو حامد العربي المشرفي(ت1895م)، الآيات والحوادث، خزانة أبي عبد الله شراك، مسجد الشريفية، وهران.

الملحق الثامن عشر


اللهم صل على سيدنا محمد وآله
بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله
قال الشيخ الفقيه العالم العلامة النبيه
أبو زيد عبد الرحمن الجامعي رحمه الله آمين
الحمد لله الذي فتح لنا بالجهاد باب رحمة أغلقت بشرك الكفرة
بين أظهرنا منذ سنين، ونسخ بسورتي القتال والفتح سورة تخلية
الكفرة على ما اختاروه من الفساد المستبين، نحمده تعالى على
ما أولانا من نعم الإيمان والإسلام، ونشكره سبحانه على تفضيله
إيانا باتباع ما اختاره لنا من الأديان على عبدة الأوثان وسدنة الأصنام
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ذاته وصفاته
وأفعاله، شهادة تقطع بها دابر التثليث والتعطيل وادعاء
وجود أمثاله، ونشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا محمدا عبده
ورسوله الذي بشر به في التوراة والإنجيل، وأخذ العهد باتباعه
على آدم وموسى وعيسى والخليل، وختم به أنبياءه الكرام، وختمه
بخاتم النبوة، فكان لبنة التمام، وبعثه للعرب والعجم، وألزم
طاعته سائر الأمم، وافترض عليه وعلى كل من اتبعه قتال من تخلف
عن اتباعه، ونصره بالرعب مسيرة شهر خلفه وأمامه على أعدائه
وجعل الصبا والملائكة من جنوده وأوليائه، وأحل له الغنائم ولم
تحل لنبي قبله، وزويت له الأرض فيبلغ ملك أمته منها ما زوي له،
صلى الله عليه وعلى جميع إخوانه من النبيين والمرسلين، صلاة ندخرها
كنزا في أساس جدار اليقين، ورضي الله عن آله الذين تبوءوا مغانم
الحلال

عبد الرحمن الجامعي الفاسي(كان حيا 1719م)، شرح أرجوزة الحلفاي التلمساني، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر.

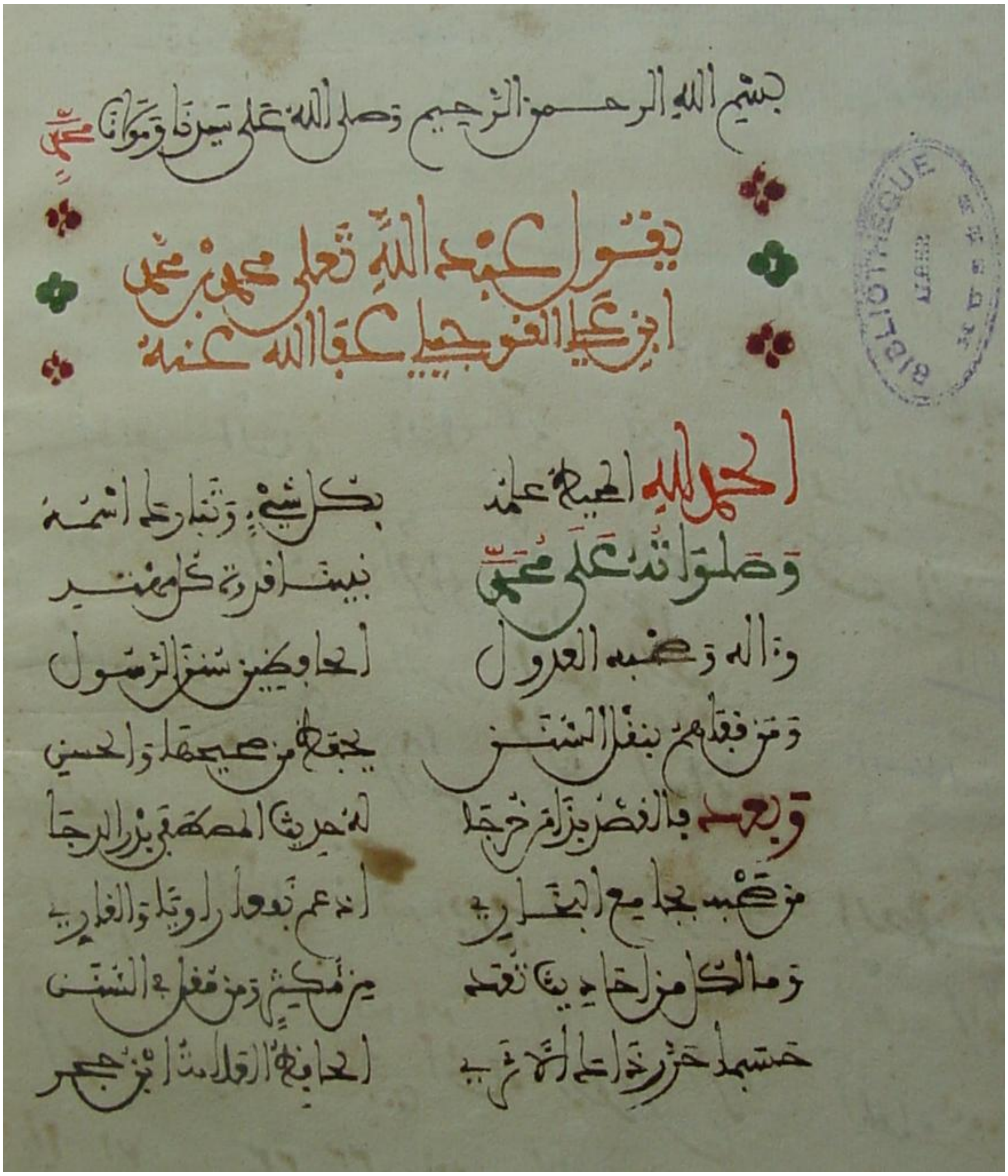
الملحق التاسع عشر



الورقة الرابعة(مبتور الأول)

عبد القادر بن المختار الخطابي الجزائري، الكوكب الثاقب في أسانيد الشيخ أبي طالب المازوني(ت1233ه)، خزانة عبد القادر بلحميسي، مازونة، غليزان.

الملحق العشرون



الورقة الأولى

محمد بن علي القوجيلي البرجي(ت1669م)، عقد الجمان اللامع المنتقى من قعر بحر الجامع، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر.

الملحق الواحد والعشرون

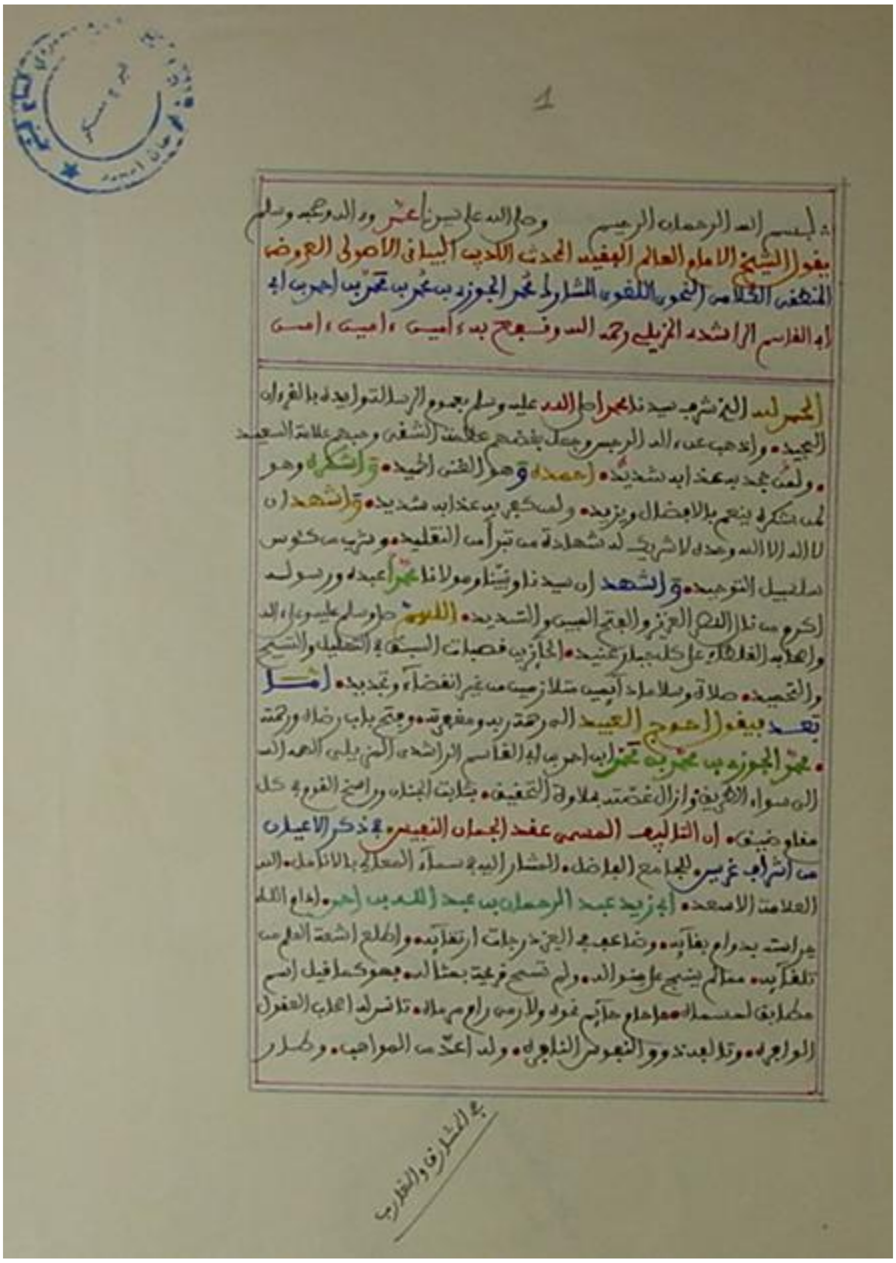

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
وهذا كتاب سميته عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان
من أشراف غريس تأليف سيدي عبد الرحمان بن عبد الله التجيني رحمه
الله ورضي عنه ونفعنا به آمين

وسميته عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس

الورقة الأولى

عبد الرحمن بن عبد الله التجيني(ت17م)، عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس، خزانة الشيخ البشير محمودي، البرج معسكر.

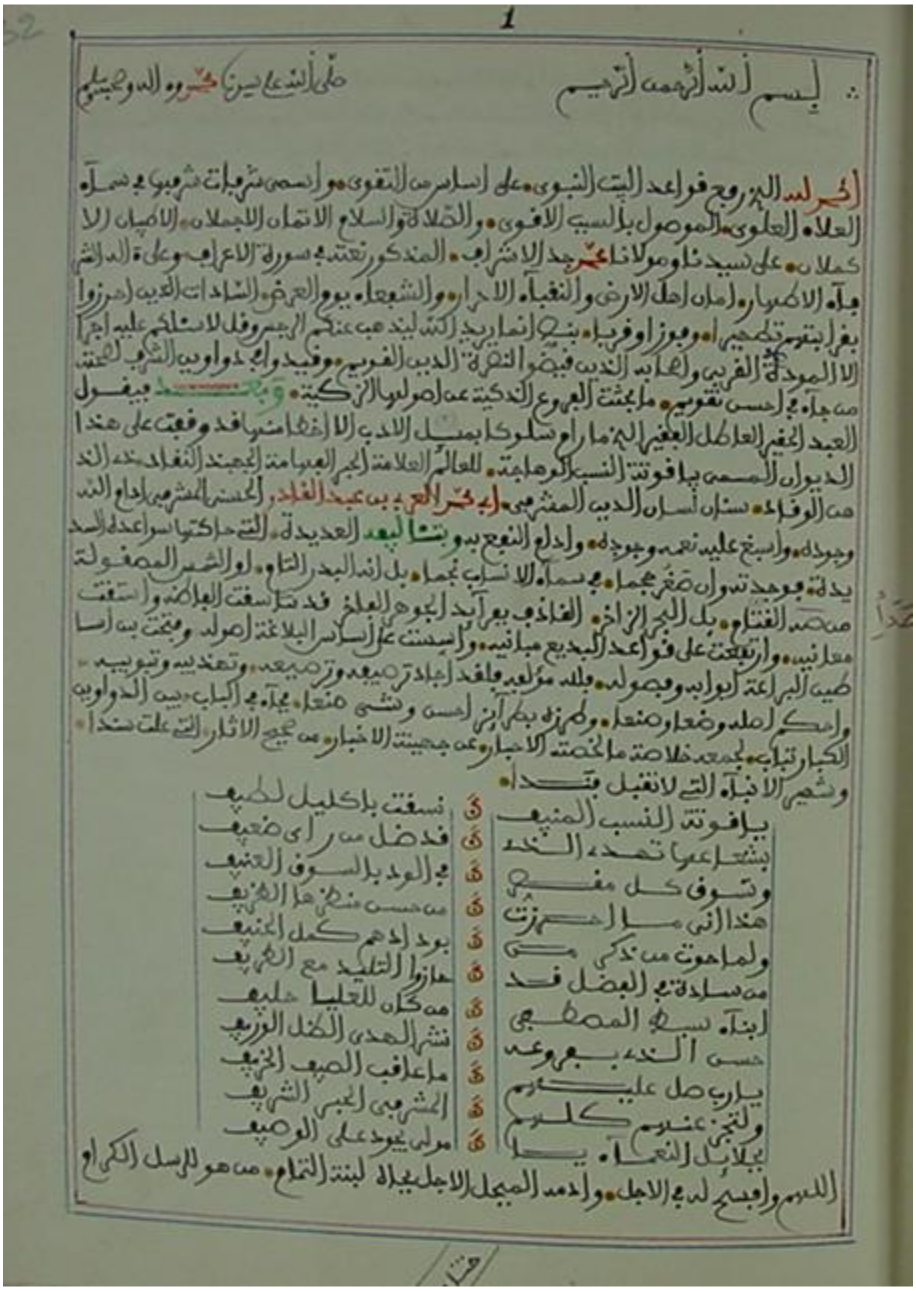
الملحق الثاني والعشرون



الورقة الأولى

محمد بن أبي القاسم الجوزي الراشدي المزيلي(18م)، فتح الرحمن على شرح عقد الجمان، خزانة الشيخ البشير محمودي، البرج معسكر.

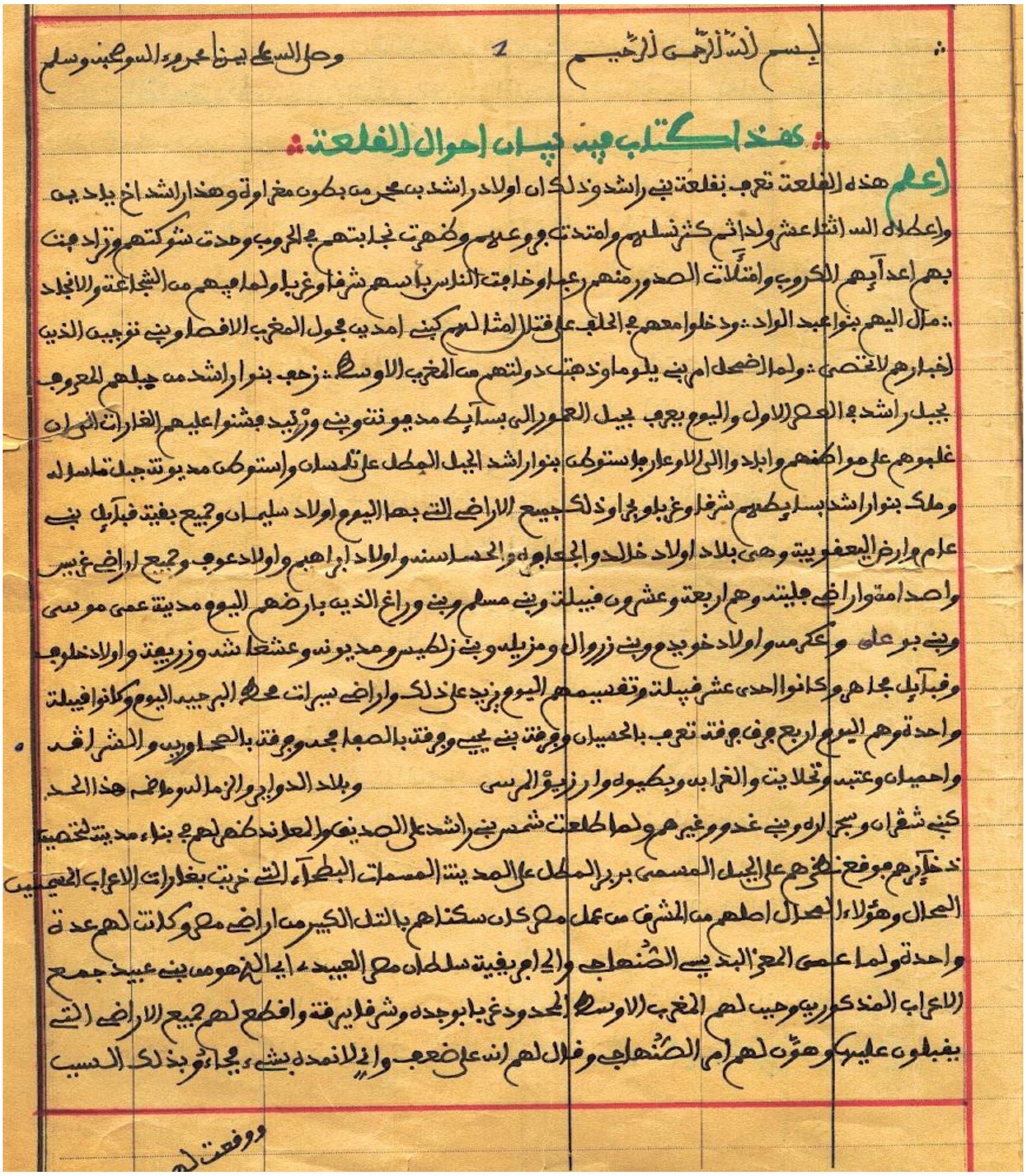
الملحق الثالث والعشرون


بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الورقة الأولى

أبو حامد العربي المشرفي(ت1895م)، ياقوتة النسب الوهاجة في التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر.

الملحق الرابع والعشرون



بسم الله الرحمن الرحيم 1 وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم

هذا الكتاب فيه بيان أحوال القلعة

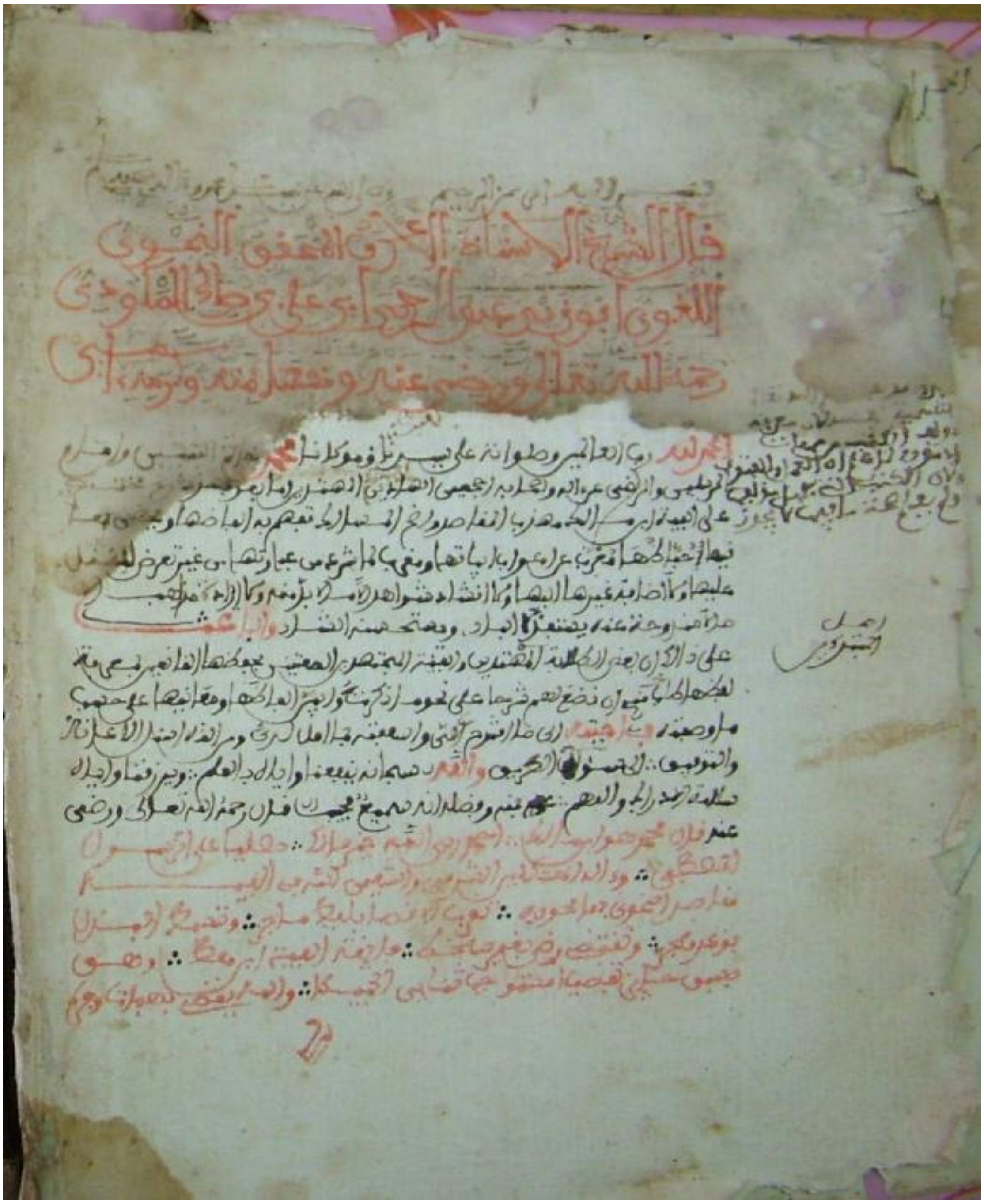
اعلم هذه القلعة تعرف بقلعة بني راشد وذلك ان اولاد راشد بن محمد من بطون مغراوة وهذا راشد اخ يلدين
واعطاه الله اثنا عشر ولدا ثم كثر نسلهم وامتدت فروعهم وظهرت نجابتهم في الحروب وحدت شوكتهم وزادت فيه
بهم اعداؤهم الكروب وامتلأت الصدور منهم رعبا وخافت الناس باسهم شرقا وغربا ولما فيهم من الشجاعة والانجاد
مال اليهم بنو عبد الواد ودخلوا معهم في الحلف على قتال امثالهم كبني امديه بحول المغرب الاقصى وبني توجين الذين
اخبارهم لا تحصى ولما اضمحل امر بني يلومي وذهبت دولتهم من المغرب الاوسط زحف بنو راشد من قبلهم للغروب
بجبل راشد في العصر الاول واليوم يعرف بجبل العمور الى بسائط مديونة وبني وزنيد فشنوا عليهم الغارات الى ان
غلبوهم على مواطنهم وابادوا والى الاوعار فاستوطن بنو راشد الجبل المطل على تلمسان واستوطن مديونة جبل تاسالة
وملك بنو راشد بسائطهم شرقا وغربا وجنوبا وذلك جميع الاراضي التي بها اليوم اولاد سليمان وجميع بقية قبائل بني
عامر وارض العفوربية وهي بلاد اولاد خالد والجعامرة والحساسنة واولاد ابراهيم واولاد عوف وجميع اراضي غريس
واصدامة واراضي فليته وهم اربعة وعشرون قبيلة وبني مسلم وبني وراغ الذين بارضهم اليوم مدينة عمي موسى
وبني بو علي وعكرمة واولاد خويدم وبني زروال ومزيلة وبني زلطيس ومديونة وعشعاشة وزريقة واولاد خلوف
وقبائل مجاهر وكانوا احدى عشر قبيلة وتقسيمهم اليوم يزيد على ذلك واراضي سيرات محال البرجية اليوم وكانوا قبيلة
واحدة وهم اليوم اربع فرق فرقة تعرف بالحسيان وفرقة بني يحيى وفرقة بالصفا وفرقة بالحوارية والشرافة
واحميان وعتبة ونخلايت والغرابة وبطيوة وارزيو المرسى وبلاد الدوايم والى المالسو ما ضم هذا الحد
كبني شقران وبحاية وبني غدو وغيرهم ولما طلعت شمس بني راشد على الصديق والعاند كلفهم في بناء مدينة لتحصين
ذخائرهم موقع اختيارهم على الجبل المسمى بربر المطل على المدينة المسماة البطحاء التي خربت بغارات الاعراب الحصيين
الهلال وهؤلاء الهلال اصلهم من المشرق من عمل مصر كان سكناهم بالتل الكبير من اراضي مصر وكانت لهم عدة
واحدة ولما عصى المعز ابن باديس الصنهاجي والي افريقية سلطان مصر العبيدي ابا الحسن هو من بني عبيد جمع
الاعراب المذكورين وحبب لهم المغرب الاوسط المحدود غربا بوجده وشرقا بافريقية واقطع لهم جميع الاراضي التي
يقبلون عليها وهون لهم امر الصنهاجي وقال لهم انه على ضعف واني لا نمده بشيء فجاءوا بذلك السبب

ووقعت لهم

الورقة الأولى

مؤلف مجهول، كتاب فيه بيان أحوال القلعة(قلعبة بني راشد)، خزانة الشيخ البشير محمودي، البرج معسكر.

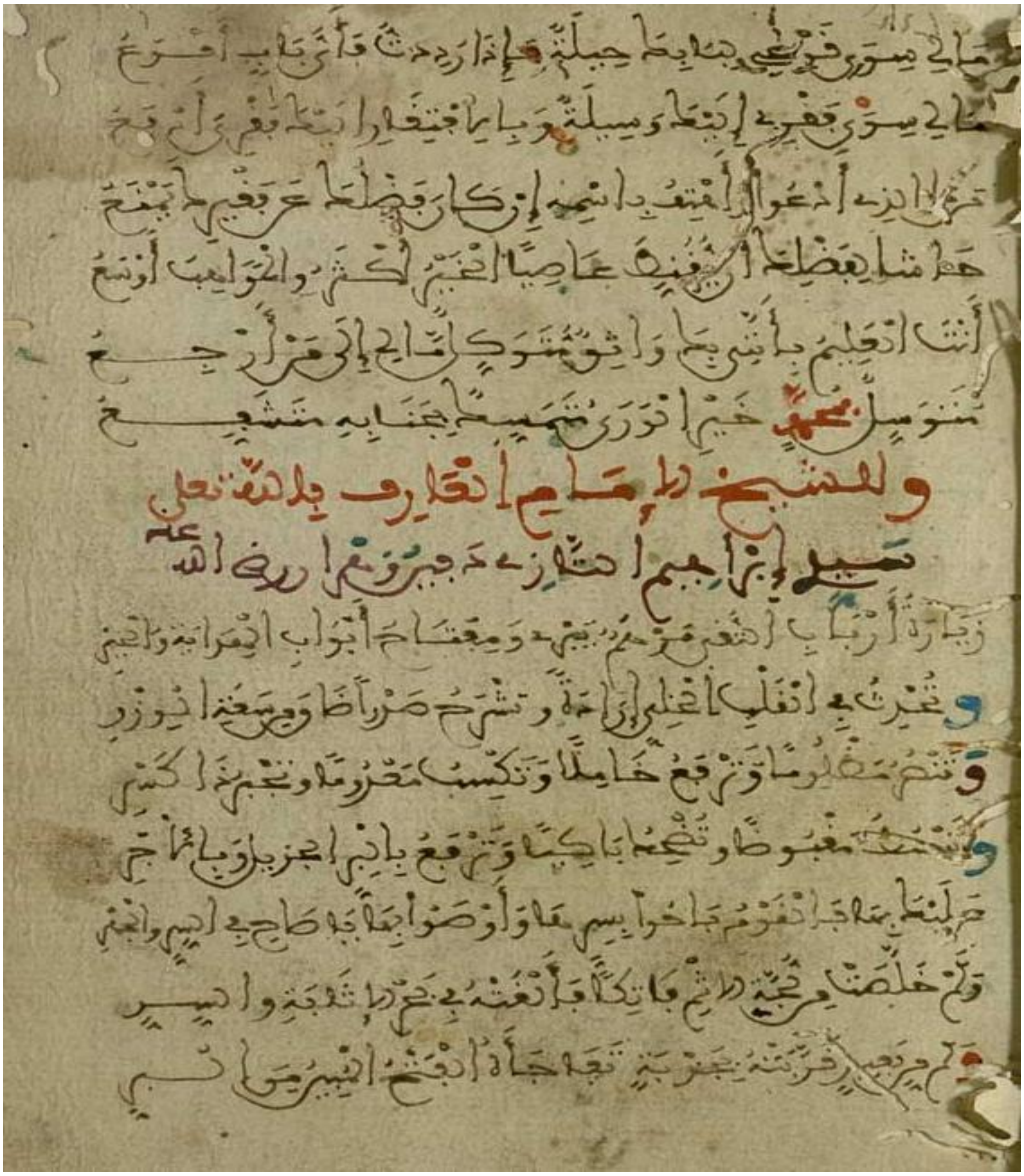
الملحق الخامس والعشرون



الورقة الأولى

مصطفى بن عبّ المشرفي(أواخر18م)، شرح ألفية المكودي، خزانة مسجد الكرط، معسكر.

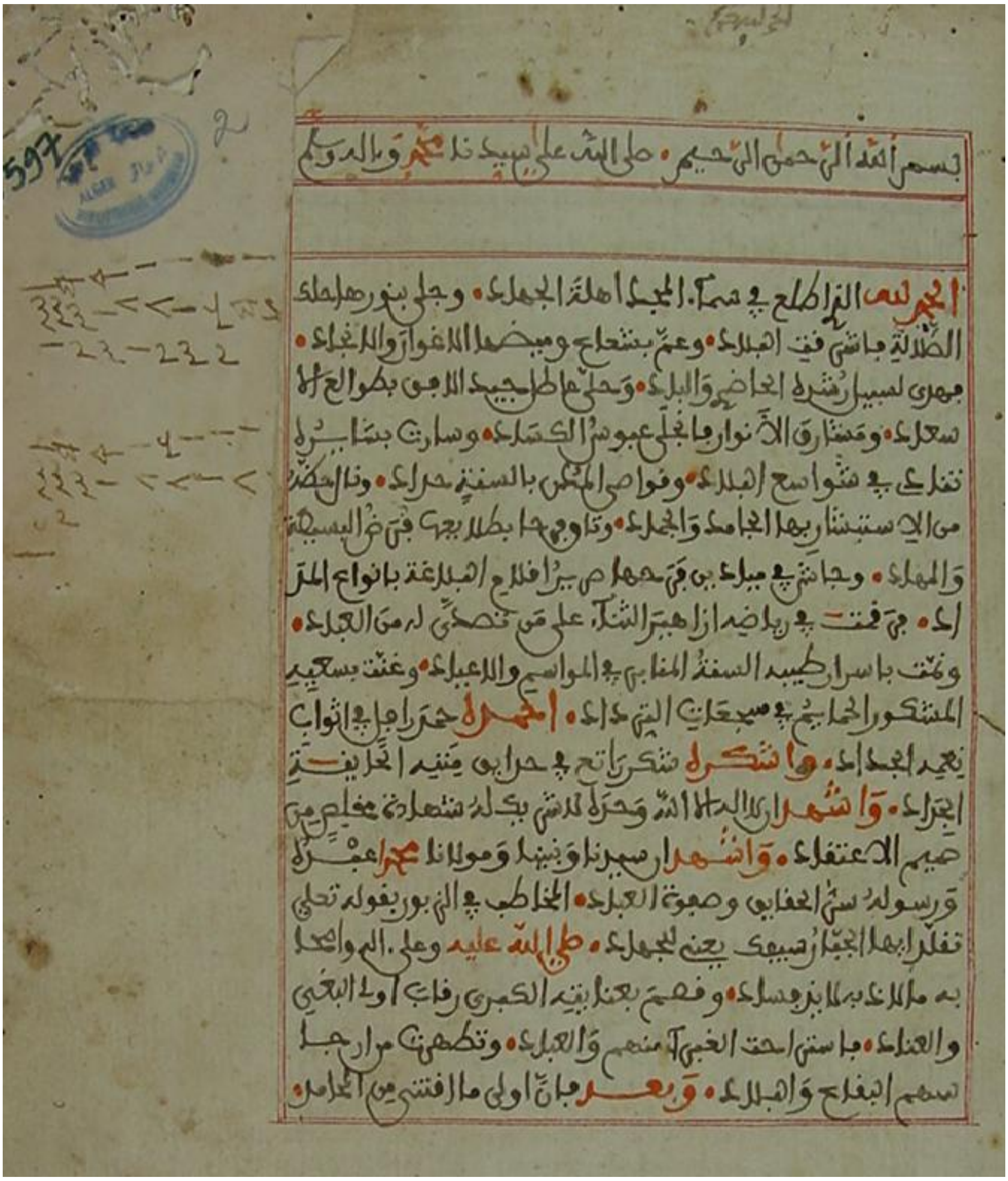
الملحق السادس والعشرون


وللشيخ الإمام العارف بالله تعالى
سيدي إبراهيم التازي دفين وهران رضي الله عنه

الورقة الأولى

ابراهيم التازي(كان حيا1813م)، منظومة ابراهيم التازي، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود بالدار البيضاء، المغرب الأقصى.

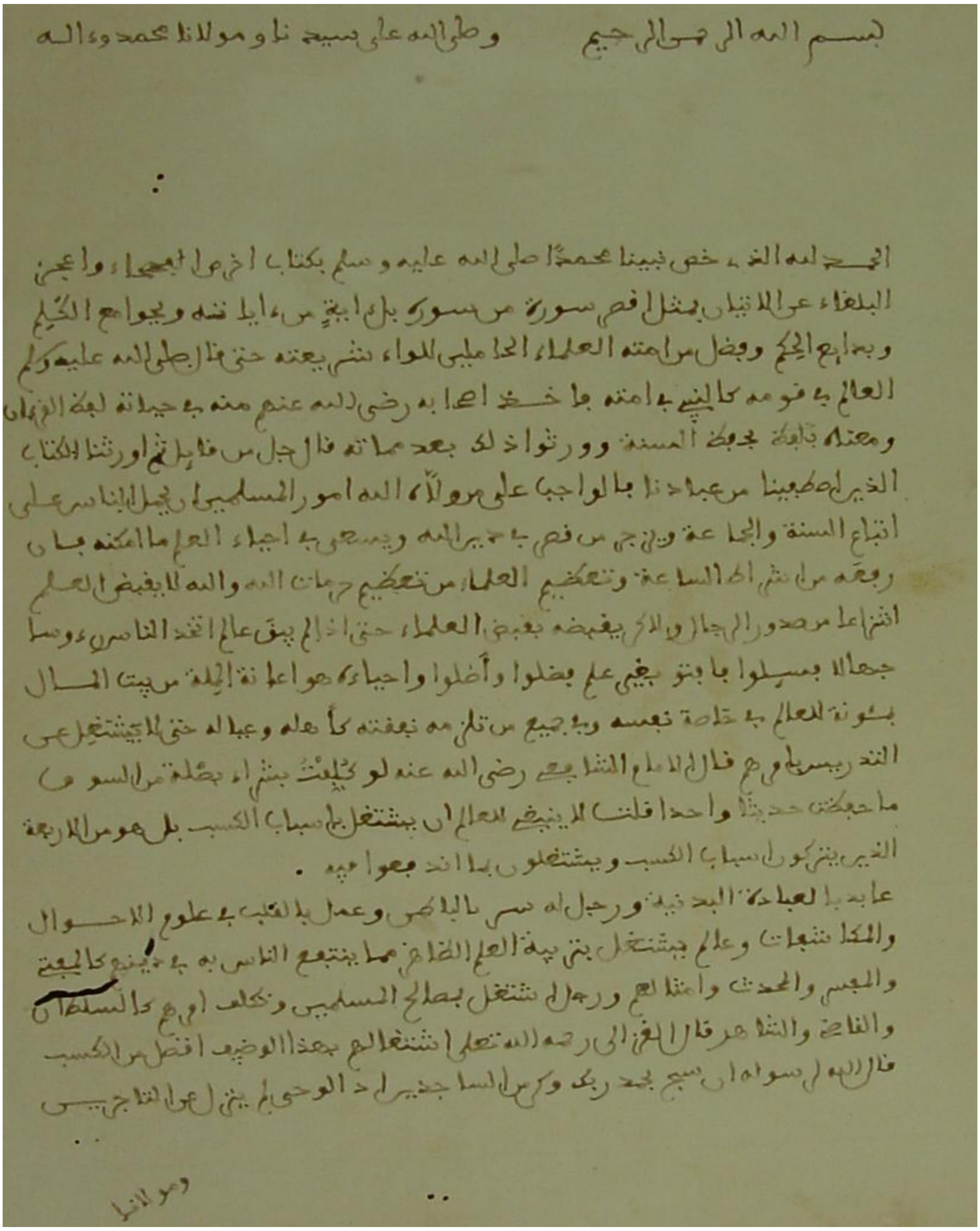
الملحق السابع والعشرون


بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

الورقة الأولى

محمد بن مصطفى بن زرفة الدحاوي(18م)، الرحلة القمرية في السيرة المحمدية، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر. تحت رقم:597.

الملحق الثامن والعشرون



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

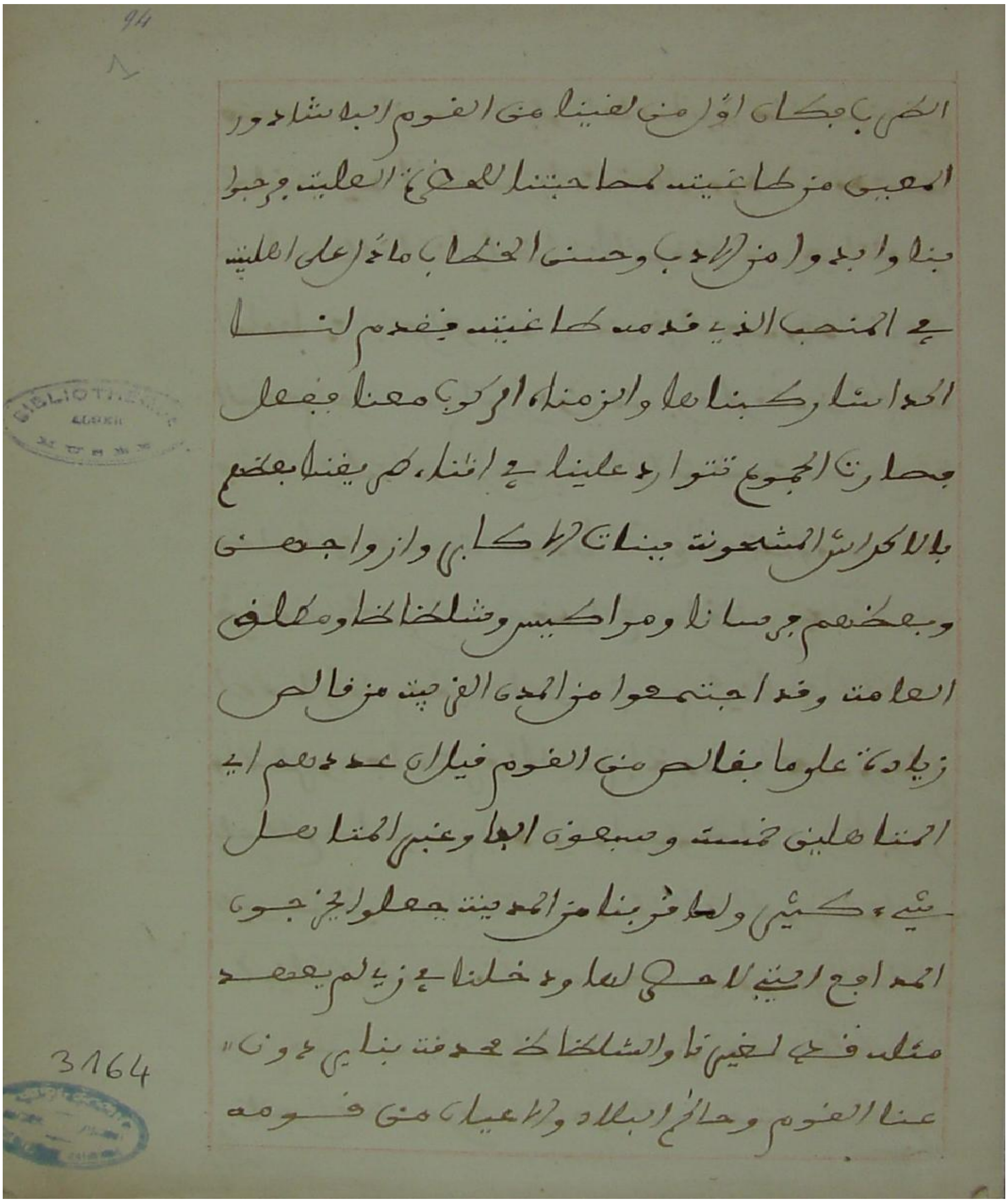
الحمد لله الذي خص نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بكتاب أخرس الفصحاء وأعجز
البلغاء عن الإتيان بمثل أقصر سورة من سوره بل بأقصر من آياته وبجوامع الكلم
وبدائع الحكم وفضل من أمته العلماء الحاملين لواء نشر بعثته حتى قال صلى الله عليه وسلم
العالم في قومه كالنبي في أمته فاختص أصحابه رضي الله عنهم منه في حياته بحفظ القرآن
ومعرفة تابعيه بحفظ السنة وورثوا ذلك بعد مماته قال جل من قائل ثم أورثنا الكتاب
الذين اصطفينا من عبادنا فالواجب على من ولاه الله أمور المسلمين أن يحمل الناس على
اتباع السنة والجماعة ويزجر من خرج عن دين الله ويسعى في إحياء العلم ما أمكنه فإن
رفعه من أشراط الساعة وتعظيم العلماء من تعظيم حرمات الله والله لا يقبض العلم
انتزاعا من صدور الرجال ولكن يقبضه بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسا
جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا وإحياؤه هو إعانة أهله من بيت المال
بمؤونة العالم في خاصة نفسه وفي جميع من تلزمه نفقته كأهله وعياله حتى لا يشتغل عن
العلم بسبب لوازمه قال الإمام الشافعي رضي الله عنه لو كلفت بشراء بصلة من السوق
ما حفظت حديثا واحدا قلت لا ينبغي للعالم أن يشتغل بأسباب الكسب بل هو من الأربعة
الذين يتركون أسباب الكسب ويشتغلون بما اندفعوا فيه.
عابد بالعبادة البدنية ورجل له سير بالباطن وعمل بالقلب في علوم الأحوال
والمكاشفات وعالم يشتغل بتربية العلم الظاهر مما ينتفع الناس به في دينهم كالمفتي
والمفسر والمحدث وأمثالهم ورجل اشتغل بمصالح المسلمين وتكفل أمورهم كالسلطان
والقاضي والشاهد قال الغزالي رحمه الله تعالى اشتغال هؤلاء بهذا الوظيف أفضل من الكسب
قال الله لرسوله أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين ولم يوح إليه أن كن من التاجرين

ومولانا

الورقة الأولى

أبو حامد العربي المشرفي(ت1895م)، رحلة المشرفي إلى المغرب الأقصى أواخر القرن12ه/18م، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، تحت رقم:3013.

الملحق التاسع والعشرون

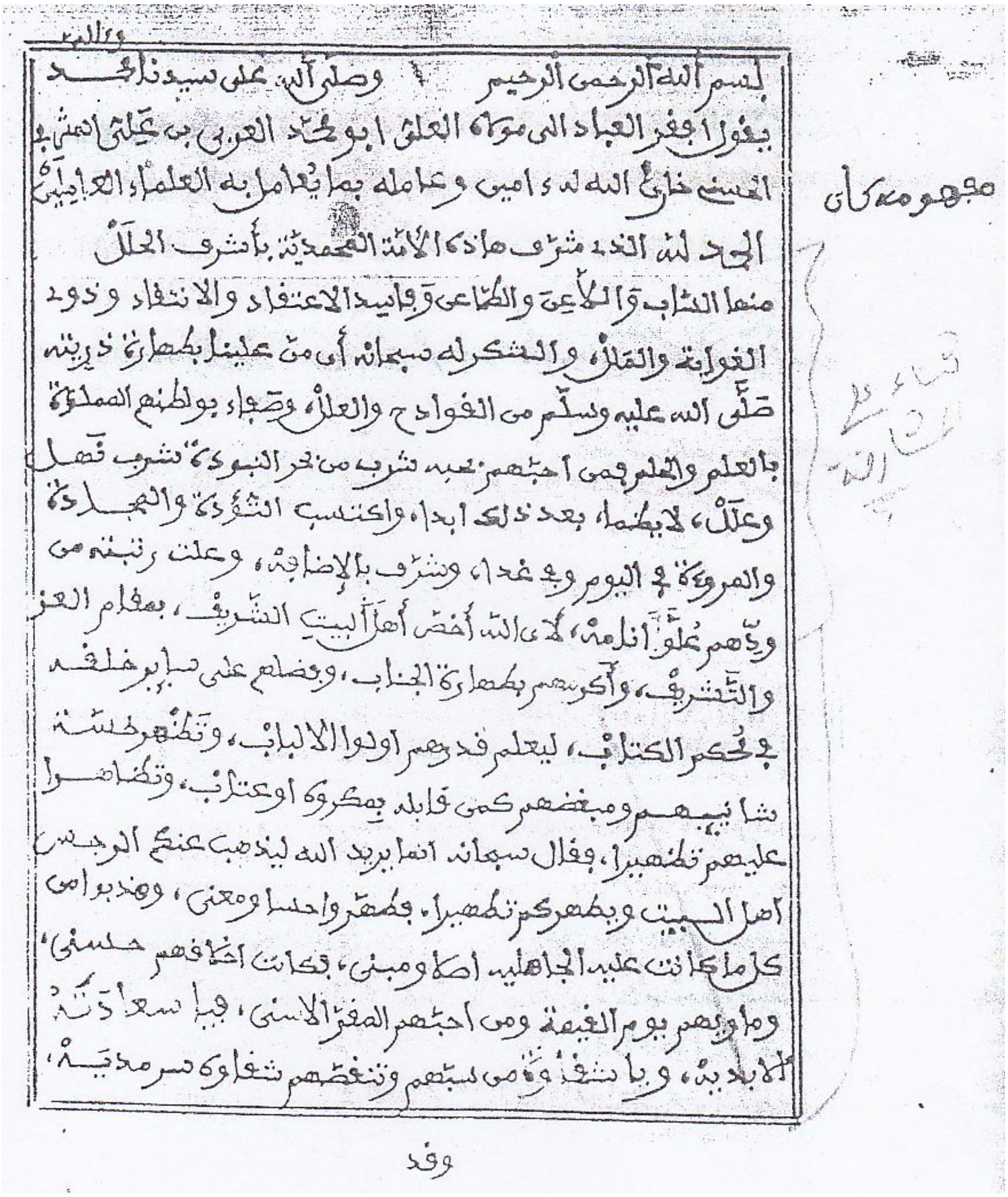


الظهر فكان أول من لقينا من القوم الباشادور
المعين من طاغيته لمصاحبتنا للحضرة العلية فرحبوا
بنا وأبدوا من الأدب وحسن الخطاب ما دل على اللبيب
في المنصب الذي قدمه طاغيته فقدم لنا
الدواب فركبناها وألزمناه أن يركب معنا [illegible]
[illegible] الجموع تتوارد علينا في أثناء [illegible]
بالأكراش المشحونة [illegible] وأزواجهن
وبعضهم [illegible] ومراكيب [illegible]
العامة وقد اجتمعوا من المدن التي فيه من [illegible]
زيادة على ما بقي من القوم فيقال إن عددهم أي
[illegible] خمسة وسبعون ألفا وغير [illegible]
شيء كثير ولما قربنا من المدينة جعلوا [illegible]
[illegible] لم يعهد
مثله [illegible] والشلاطا محدقة بنا [illegible]
عند القوم وحاكم البلاد والأعيان من قومه

الورقة الأولى

أبو حامد العربي المشرفي(ت1895م)، رحلة إلى مدن المغرب الأقصى، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، تحت رقم:3164.

الملحق الثلاثون



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد
يقول أفقر العباد إلى مولاه الخلق أبو حامد العربي بن علي المشرفي
الحسني غفر الله له آمين وعامله بما يعامل به العلماء العاملين
الحمد لله الذي شرف هذه الأمة المحمدية بأشرف الحلل
منها الثبات في الأمر والطاعة وتأييد الاعتقاد والانقياد ودون
الغواية والضلال، والشكر له سبحانه أن من علينا بطهارة ذريته
صلى الله عليه وسلم من الفواحش والعلل، وحباء بواطنهم المملوءة
بالعلم والحلم فمن أحبهم فحبه شرب من بحر النبوة شرب نهل
وعلل، لا يظمأ بعد ذلك أبدا، واكتسب السؤدد والسعادة
والمروءة في اليوم وفي غدا، وشرف بالإضافة، وعلت رتبته من
ودهم على أمثاله، لأن الله أخص أهل البيت الشريف، بمقام العز
والتشريف، وأكرمهم بطهارة الجناب، وفضلهم على سائر خلقه
في محكم الكتاب، ليعلم قدرهم أولوا الألباب، وتظهر خسة
شانئيهم ومبغضهم كمن قابله بمكروه أو عتاب، وتظاهروا
عليهم تظهيرا، وقال سبحانه إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
أهل البيت ويطهركم تطهيرا، فطهروا حسا ومعنى، وهذبوا من
كل ما كانت عليه الجاهلية أصلا ومبنى، فكانت أخلاقهم حسنى،
ومأويهم يوم القيامة ومن أحبهم المقر الأسنى، فيا سعادة
الأبدية، ويا شقاوة من سبهم وتنقصهم شقاوة سرمدية،

وقد

الورقة الأولى

أبو حامد العربي المشرفي(ت1895م)، الرد على أبي راس الناصر حول النسب، خزانة الشيخ بلقرد بوكعبر، معسكر.

الملحق الواحد والثلاثون


بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما

الورقة الأولى

إجازة ابن شقرون لابن دحّ المشرفي، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، تحت رقم:339

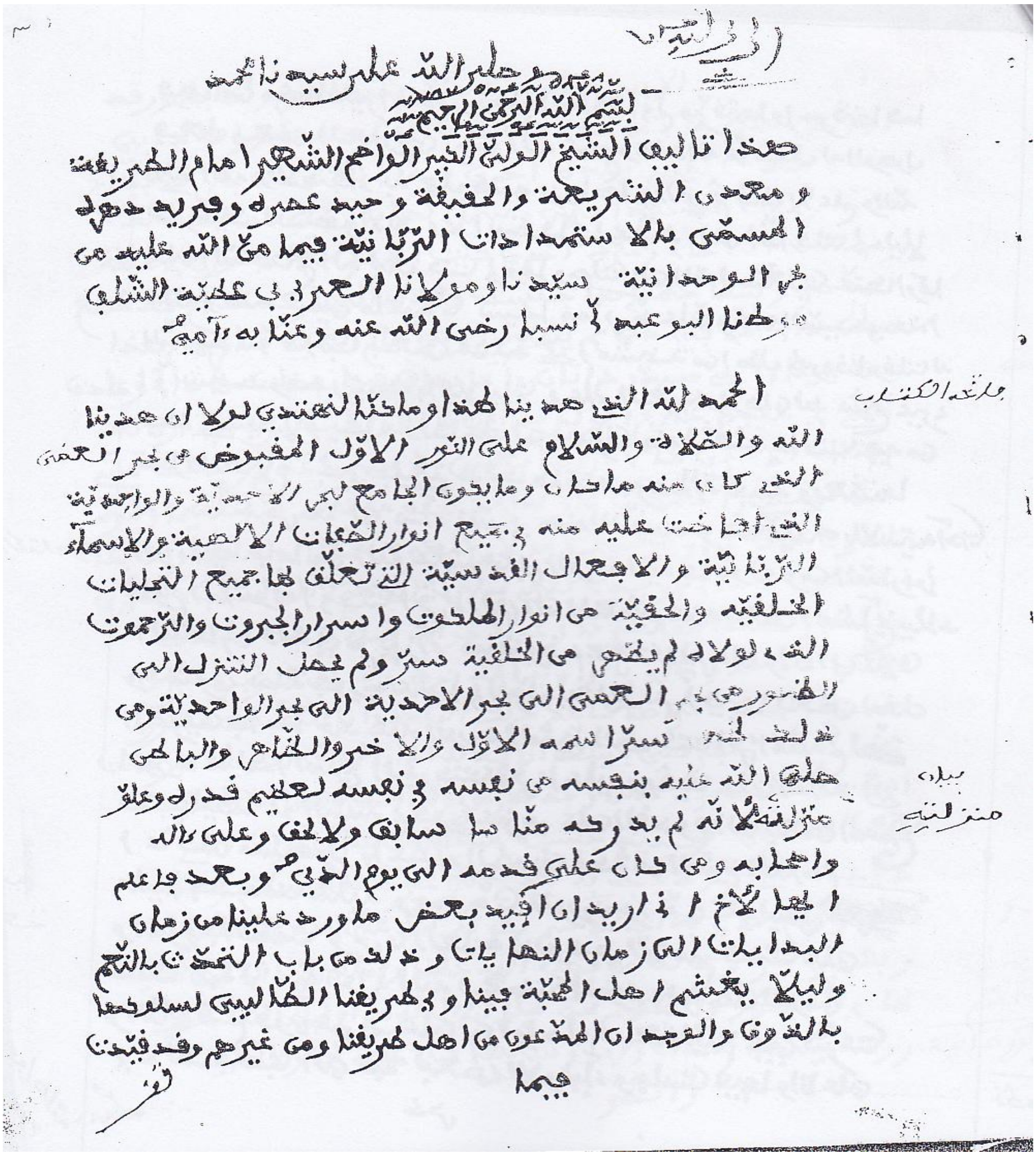
الملحق الثاني والثلاثون



الورقة الأولى

إجازة ابن شقرون للطاهر المشرفي، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، تحت رقم:

الملحق الثالث والثلاثون


وصلى الله على سيدنا محمد
بسم الله الرحمن الرحيم
هذا تأليف الشيخ الولي الكبير الواضح الشهير امام الطريقة
ومعدن الشريعة والحقيقة وحيد عصره وفريد دهره
المسمى بالاستمدادات الربانية فيما من الله علينا من
بحر الوحدانية سيدنا ومولانا العربي بن عطية الشلفي
وطنا البوعبدلي نسبا رضي الله عنه ونفعنا به آمين

خطبة الكتاب
الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا
الله والصلاة والسلام على النور الأول المقبوض من بحر العمى
الذي كان منه ما كان وما يكون الجامع لبحر الأحدية والواحدية
التي أفاضت عليه منه في جميع أنوار الصفات الالهية والأسماء
الربانية والأفعال القدسية التي تعلق بها جميع التجليات
الخلقية والحقية من أنوار الملكوت وأسرار الجبروت والرحموت
الذي لولاه لم يخرج من الخلقية سر ولم يحصل التنزل الى
الظهور من بحر العمى الى بحر الأحدية الى بحر الواحدية ومن
ذلك له تسمى باسمه الأول والآخر والظاهر والباطن
صلى الله عليه بنفسه من نفسه في نفسه لعظيم قدره وعلو
منزلته لأنه لم يدركه منا لا سابق ولا لاحق وعلى آله
وأصحابه ومن كان على قدمه الى يوم الدين وبعد فاعلم
أيها الأخ إذا أردت أن أفيد ببعض ما ورد علينا من زمان
البدايات الى زمان النهايات وذلك من باب التحدث بالنعم
ولئلا يغشهم أهل المحبة فينا وفي طريقنا الطالبين لسلوكها
بالذوق والتجرد أن المدعون من أهل طريقنا ومن غيرهم وقد قيدت
فيما

الورقة الأولى

مولاي العربي بن عطية الشلفي، الاستمدادات الرّبانية فيما منّ الله علينا من بحر الوحدانية، مخطوط خزانة أبي عبد الله شراك، مسجد الشريفية وهران.

قائمة

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية الإمام ورش عن نافع.

الحديث النبوي الشريف.

المصادر:

المصادر المخطوطة:

1- البرنوسي أبو العباس أحمد الفاسي الشهير بزروق: الخلاصة المرضية من الدرة الراضية، كاتبه عبد القادر الجلاني بن محمد لقب البكاي بن علي بن عزوز بن عيسى الصحراوي. خزانة الكرط، ولاية معسكر.

2- الجامعي عبد الرحمن: شرح أرجوزة الحلفاوي التلمساني في فتح مدينة وهران، نسخة الشيخ محمودي البشير، البرج، ولاية معسكر، ونسخة المكتبة الوطنية الجزائرية. رقم:

3- دولفان جورج: القول الأوسط في الكتب المتداولة في المغرب الأقصى والأوسط، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم:3185.

4- الدحاوي، المصطفى بن زرفة: الرحلة القمرية في السيرة المحمدية، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية. تحت رقم:2597.

5- زكريا يحي المازوني،ت(883هـ/1478م): الدرر المكنونة في نوازل مازونة، مخطوط بخزانة الشيخ بلعرج، تغنيف، ولاية معسكر.

6- بن حوا محمد، سبيكة العقيان فيمن حلّ بمستغانم من العلماء والأعيان، مخطوط بخزانة الشيخ البشير محمودي. البرج، ولاية معسكر.

7- الملياني أحمد بن يوسف: روضة الأزهار في كيفية أسماء الغفار، مخطوط بخزانة مؤسسة علال الفاسي، الرباط، تحت رقم:ع197.

8- الملالي محمد بن أحمد: المواهب القدسية في المناقب السنوسية، مخطوط خزانة الشيخ محمودي البشير. البرج، ولاية معسكر.

9- المشرفي أبو محمد العربي بن عبد القادر الحسني: ياقوتة النسب الوهاجة وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة، مخطوط بحوزة الشيخ أبو عبد الله شراك، إمام بمسجد الشريفية. ولاية وهران.

10- // // أقوال المطاعين في الطعن والطواعين، الخزانة الملكية بالرباط، المغرب، تحت رقم:2054.

11- // // استغاثة بسور القرآن العظيم، مخطوط بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، المغرب، تحت رقم: 369-12.

12- // //، ورقات في رواج السكة بالزيادة، مخطوط مكتبة تطوان، المغرب، تحت رقم:343/1.

13- //   // الحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعرفي الناطق بخرافات الجعسوس السيء الظن الكنسوس، الخزانة العامة بالرباط، المغرب، رقم:2276 ك.

14- //   //   مدح السلطان الحسن الأول، مخطوط بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، المغرب، تحت رقم: 369-8.

15- //   //   في ختان السلطان عبد العزيز بن الحسن الأول، رائية المشرفي في الختان السعيد، مخطوط بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، المغرب، تحت رقم: 369-13.

16- //   //   مدح السلطان الحسن الأول، مخطوط بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، المغرب، تحت رقم:369-9.

17- //   // ما وقع من الحوادث والسياسات الاصطلاحية منذ بويع مولاي الحسن ابن سيدي محمد بن عبد الرحمن، مخطوط بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، المغرب، تحت رقم: 369-12.

18- //   //   نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار تهب عن المتكاسل الوسن، في مناقب أحمد بن محمد وولده الحسن، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم: ك579.

19- //	//	قصيدة ثلاثية الروي والقافية في مدح السلطان الحسن الأول، مخطوط بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، المغرب، تحت رقم: 369-16.

20- //	//	رحلة الى شمال المغرب، الرحلة السوسية، مخطوط بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، المغرب، تحت رقم: 369-12.

21- //	//	ذكر أحداث وقعت في المغرب الأقصى خلال القرن13هـ، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم:3013.

22- //	//	طرس الاخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار في عتو الحاج عبد القادر وأهل دائرته الفجار، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 496 ك، المغرب. ونسخة المكتبة الملكية بالرباط 1476. ونسخة المكتبة الملكية بالرباط، المغرب، رقم:6533.

23- المشرفي الطاهر بن عبد القادر بن عبد الله، شرح ابن دح المشرفي على نظم الدرة الشريفة في أصول الطريقة، مخطوط بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، المغرب، تحت رقم: 339-5.

24- //   //   قصائد ابن دح المشرفي الجزائري، مخطوط بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، المغرب، تحت رقم:339-4.

25- //   //   شرح التصلية على النبي المختار المروية عن عبد القادر الجيلي، مخطوط بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، المغرب، تحت رقم: 339-6.

26- //   //   الدرة الشريقة في أصول الطريقة، مخطوط خزانة القصر الملكي بالرباط، المغرب، تحت رقم:6844.

27- //   //   أقوال المطاعين في الطعن والطواعين، مخوط مكتبة القصر الملكي، الرباط، تحت رقم:2054.

28- //   //   نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار تنفي عن المتكاسل الوسن في مناقب العلامة الشيخ أحمد ابن محمد وولده الشيخ الحسن، مخطوط المكتبة الملكية بالرباط المغرب، رقم:5616، ونسخة الخزانة العامة بالرباط، المغرب. رقم:579.

29- //   // رد المشرفي على أبي راس الناصر في النسب، مخطوط خزانة الشيخ بلقرد بوكعبر، معسكر.

30- المكودي أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح: شرح مختصر على ألفية ابن مالك، كاتبها عبد القادر بن محمد بن عبد الله المشرفي، مخطوط بخزانة الكرط. ولاية معسكر.

31- المزيلي، محمد بن أبي القاسم:عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس، نسخة المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم:2314، ونسخة بخزانة الشيخ محمودي البشير، البرج ولاية معسكر.

32- محمد الشريف، روضات الأزهار في التعريف بآل محمد المختار، مخطوط بخزانة الشيخ محمودي البشير. البرج ولاية معسكر.

33- محمودي البشير بن دوبة: مجموعة قصائد مختلفة لمؤرخين، مخطوط مجموع به بخزانه الشيخ محمودي البشير. البرج ولاية معسكر.

34- المعسكري، أبو زيان محمد، كنز الأسرار في مناقب مولانا العربي الدرقاوي وبعض أصحابه الأخيار، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، رقم:2339. ونسخة مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، المغرب الأقصى.

35- مؤلف مجهول: تاريخ قلعة بني راشد، ناسخه محمودي البشير بن دوبة، مخطوط بخزانه الشيخ محمودي البشير. البرج ولاية معسكر.

36- مؤلف مجهول: مكتبة الأمير عبد القادر، مجموع به، المكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم:09.

37- الناصر، محمد أبو راس ت(1238هـ/1823م): الإبريز والإكسير في علم التفسير، مخطوط بخزانة الشيخ بلقرد بوكعبر، ولاية معسكر.

38- // // الحلل السندسية فيما جرى بوهران والعدوة الأندلسية، وإن شئت قلت نفيسة الجمان فيما جرى بالأندلس ووهران، مخطوط الشيخ محمودي البشير. البرج، ولاية معسكر، ونسخة وادي الحمام، ولاية معسكر.

39- // // ، درء الشقاوة في حروب الترك مع درقاوة، مخطوط خاص.

40- // // ، وثائق مخطوطة في القضاء، خزانة الشيخ البشير محمودي. البرج ولاية معسكر.

41- // // ، زهر الشماريخ في علم التاريخ، مخطوط الخزانة العداوية. ولاية تيارت.

42- // // ، لقطة العجلان في شرف سيدي عبد القادر بن زيان، مخطوط بخزانة أبي عبد الله شراك. ولاية وهران.

43- // // ، عجائب الأخبار ذات التأسيس فيما وقع أو سيقع للمسلمين مع الفرانسيس، مخطوط خزانة أبي عبد الله شراك. ولاية وهران.

44- //   //   ، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، نسخة رقم: 1632، 1633، 2003، 1/3322، 2/3323، 3327، نسخ البشير محمودي، البرج ولاية معسكر.

45- //   //   ، الكوكب الدري في الكلام على الجدري، مخطوط بخزانة الشيخ بلقرد بوكعبر، ولاية معسكر.

46- //   //   ، الخبر المعرب عن الأمر المغرب الحال بالأندلس وثغور المغرب، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم:3182. ونسخة الشيخ محمودي البشير.البرج، ولاية معسكر.

47- //   //   ، الدر المهدي لغوثية أبي مهدي، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم: 4/3326. ونسخة الشيخ محمودي البشير.البرج، ولاية معسكر.

48- //   //   ، الدرة الأنيقة في شرح العقيقة، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم: 1/3336.

49- //   //   ، الحلل الحريرية أو(المقامات الحريرية)، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، ونسخة رقم:1893، و1894.

50- //   //   ، الحاوي لنبذ من التوحيد والتصوف والأولياء والفتاوى، مخطوط بخزانة الشيخ بوكعبر بلقرد، ولاية معسكر.

51- // // ، شرح بانت سعاد، مخطوط مصور بحوزة الشيخ محمودي البشير. البرج ولاية معسكر.

52- // // ، الشقائق النعمانية في شرح الروضة السلوانية، مخطوط خزانة الشيخ بلقرد بوكعبر. ولاية معسكر.

53- السجراري ابن حماد وش بن عبد القادر: الدرر في أخبار كتاب السيد الإمام أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء، بخزانة الشيخ محمودي البشير. البرج ولاية معسكر.

54- السجراري ابن حمادوش بن عبد القادر، خلاصة في النسب. بخزانة الشيخ محمودي البشير. البرج ولاية معسكر.

55- سكيرج أحمد ابن العباس العياشي: الرحلة الحبيبية الوهرانية الجامعة للطائف العرفانية، مخطوط خزانة الشيخ أبي عبد الله شراك، مسجد الشرايفية. وهران.

56- عبد الوهاب سيدي محمد عبد الوهاب، كتاب الدواء، مخطوط بخزانة زاوية الكرط، ولاية معسكر.

57- عدة بن غلام الله، رسالة الكراس لزوال الشك والالتباس، مخطوط الخزانة العداوية بتيارت.

58- ابن عطية مولاي العربي، الاستمدادت الربانية فيما منّ الله علينا من بحر الوحدانية، مخطوط خزانة أبي عبد الله شراك، مسجد الشريفية، وهران.

59- الفاسي عبد الرحمن، سؤال وجواب عن أحوال المريدين، مخطوط بخزانة القصر الملكي بالرباط، المغرب، تحت رقم:9352.

60- ابن الفخار محمد بن العربي: روضة الجنان في شرح رسالة بن عبد الرحمن، كاتبها عبد القادر بن الجلاني بن محمد لقب البكاي بن علي بن عزوز بن موسى بن عيسى الصحراوي،مخطوط بخزانة الكرط ولاية معسكر.

61- القوجيلي محمد بن علي، عقد الجمان اللامع المنتقى من قعر البحر الجامع، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر. رقم:488.

62- الرماصي مصطفى، خطبة الاستسقاء، مخطوط بخزانة الشيخ محمودي البشير، البرج ولاية معسكر.

63- // //، رسالة مصطفى الرماصي يوبخ فيها أحمد بن عامر البرجي، مخطوط بخزانة الشيخ محمودي البشير، البرج ولاية معسكر.

64- // //، حاشية على أم البراهين للسنوسي المسماة بصغرى السنوسي، مخطوط خزانة الشيخ البشير محمودي، البرج معسكر. ونسخة الخزانة العامة بالرباط، تحت رقم: ك 2499، ضمن مجموع.

65- حاشية على شرح التتائي لمختصر خليل، خزانة الشيخ البشير محمودي البرج معسكر، ونسخة خزانة القرويين بفاس، ونسخة الخزانة العلمية الصبيحية، ونسخ الخزانة الحسنية الملكية بالرباط، المغرب، تحت رقم:2357، 3469، 3587، 4368، 5569، 7814، 8244،

8245، 8517، 8668، 8690، 8690، 8957، 10471، 11573، 12987، 13874. ونسخة المكتبة الوطنية للمملكة المغربية الرباط، المغرب، تحت رقم:12456، ونسخة بمكتبة علال الفاسي بالرباط، المغرب، تحت رقم: 245، ونسخ أخرى بالخزانة العلمية بالمسجد الأعظم بتازة، المغرب، تحت رقم:247، 248، 695.

66- الشقراني الحاج أحمد، القول الأوسط في أخبار من حل بالمغرب الأوسط، ناسخه سيدي محمد بن عامر البرجي، مخطوط بخزانة الشيخ محمودي البشير، البرج ولاية معسكر.

67- التونسي ابن عبد الجليل: الجوهرة الكبرى (في علم الأنساب)، مخطوط مصور بخزانة الشيخ محمودي البشير. البرج ولاية معسكر.

68- التيجيني عبد الرحمن بن عبد الله: عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشرف غريس، مخطوط بخزانة الشيخ محمودي البشير. البرج ولاية معسكر.

69- التميمي عبد الجليل محمد ابن عبد العظيم :كتاب الاعتبار وجواهر الاختيار والتعريف بذرية النبّي المختار صلى الله عليه وسلم، ناسخها السجراري، ابن حماد وش بن عبد القادر. خزانة الشيخ البشير محمودي. البرج ولاية معسكر.

المصادر المطبوعة :

70- إسماعيل ابن الأحمر(ت808هــ/1405م) روضة النسرين في أخبار دولة بني مرين، تحقيق عبد الوهاب ابن المنصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2،1991.

71- الإدريسي: أبو عبد الله محمد بن محمد، (ت560هــ/1166م): المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق.تحقيق محمد حاج صادق، مركز المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1983.

72- الأصفهاني أبو الفرج:(ت967م) كتاب الأغاني، تحقيق عبد الستار أحمد الفراج، دار الثقافة، بيروت لبنان،ط8، 1990.

73- ابن الأثير عز الدين علي بن أبي الكرم، (ت 630هــ/1233م): الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفدا عبد الله القاضي،دار الكتب العلمية بيروت، ج1، ط1، 1987.

74- البخاري: أبو عبد الله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي، (ت256هــ/869م)، كتاب التاريخ الكبــير، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت.

75- الجزنائي علي: جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن المنصور، الرباط، المغرب، ط2،1991.

76- الهاشمي ابن بكار: مجموع الحسب والنسب والفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب، مطبعة ابن خلدون، تلمسان،1961.

77- ابن هطال أحمد: رحلة محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي، تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، مطبعة مخيمر، القاهرة، مصر، 1969.

78- الونشريسي أبو العباس أحمد: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، إعداد محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ج 7،6،5، 4، ط1،1983.

79- الوهراني مسلم بن عبد القادر: أنيس الغريب والمسافر، تحقيق رابح بو نار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

80- الزياني محمد بن يوسف: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

81- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي، (ت456هـ/1033م)، جمهرة أنساب العرب،راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، 1998.

82- ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني،ت(852هـ/1448م): فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الفكر، دمشق سورية،1959.

83- //   //   الإصابة في تميز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل بيروت لبنان، ج6، ج7، ط1، 1992.

84- الحسن الوزان بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي، ت(944هـ/1537م): وصف إفريقيا،.ترجمة: محمد حجي، محمد الخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج2، ط2، 1983.

85- الحميري أبو عبد الله، ت(727هـ/1326م): صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار.نشره ليفي بروفنسال.القاهرة. 1937.

86- ابن حوقل أبو القاسم محمد بن علي، ت(368هـ/978م) كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان. د ت.

87- الطرطوشي أبو بكر محمد بن الوليد القرشي الفهري المالكي، (ت520هـ/1126م): سراج الملوك، تحقيق محمد فتحي أبو بكر، دار المطبعة اللبنانية، بيروت لبنان.

88- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير، (ت310هـ/920 م): تاريخ الرسل والملوك تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف مصر، ج1 .1966.

89- المشرفي عبد القادر: بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، الجزائر، د ط، 1984.

90- المقري، أحمد بن محمد التلمساني، ت(1041هـ/1632م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، ج5، ط1، 1988.

91- ابن مريم محمد ابن أحمد: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.

92- المزاري، الآغا بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر. تحقيق يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1990.

93- مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974.

94- ابن ميمون محمد: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1972.

95- الناصر محمد أبو راس الجزائري، ت(1238هـ/1823م) :فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته،" حياة أبي راس الذاتية والعلمية " المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.

96- الناصري ابن خالد: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة المرينية، دار الكتاب، الدر البيضاء المغرب الأقصى، ج4. د ط.

97- السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن،ت(902هـ/1496): الضوء اللامع في أخبار القرن التاسع، تحقيق حســام الدين القدسي، ج4،5،6، 1355هـ/1936.

98- السيوطي جلال الدين: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، دار الفكر العربي، تحقيق محمد أب الفضل إبراهيم، ج1، 1998.

99- السنوسي محمد بن علي الخطابي: الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، مطابع الدار الكتاب اللبناني، بيروت، 1968.

100-ابن سعد محمد الواقدي: الطبقات الكبرى، تقديم إحسان عباس، دار صادر بيروت، ج2، 1960.

101-ابن سودة عبد السلام بن عبد القادر: دليل مؤرخ المغرب الأقصى، دار الكتاب، دار الفكر، بيروت، ط1،1997.

102-عياض القاضي أبي الفضل اليحصبي، ت(544هـ): الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق عبد السلام محمد أمين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج1 ،ج2، ط1، 2000.

103-علي ابن أبي زرع الفاسي، (ت741هـ/1340م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط. 1973.

104-أبو الحسن بن علي الحسني العلمي، كتاب النوازل، تح: المجلس العلمي بفاس، منشورات وزارة الأوقاف المغربية، الرباط، المغرب، ط1989، ج3.

105-ابن عبد ربه،عمر بن أحمد الأندلسي،ت(327هـ/938م): العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين، دار الكتب للطباعة والنشر، القاهرة مصر، د ط، 1996.

106-أبي عبيد الله البكري محمد بن أحمد، ت(487هـ/1094م): المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب.جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى ببغداد، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1857.

107-ابن عساكر الدمشقي أبو القاسم علي بن الحسن ت(571هـ/1175م): تاريخ دمشق، تحقيق محمد أحمد دهمان، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، سورية. 1397هـ/1977.

108-الفاسي محمد البشير، قبيلة بني زروال، مظاهر حياتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، مطبوعات المركز الجامعي للبحث العلمي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1962.

109-صالح عباد، الجزائر خلال العهد الحكم التركي، (1514-1830م)، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، ط1، 2005.

110-عبد المنعم القاسمي الحسني، المؤلفات الصوفية في الجزائر، منذ ظهورها إلى غاية الحرب العالمية الأولى دراسة إحصائية تحليلية، دار الخليل للنشر والتوزيع، بوسعادة، الجزائر، ط1، 2005.

111-الراشدي ابن سحنون: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، د ت، 1973.

112-التمبكتي أحمد بابا:ت(عاش في القرن11هـ/17م) نيل الابتهاج بتطريز الديباج، وضعت هوامشه بإشراف عبد الحميد الهرامة، منشورات كلية الدعوة، طرابلس، ط1،1986.

113-التنسي: أبو عبد الله محمد بن عبد الله، ت(899هـ/1493م): نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان، تحقيق محمود بوعياد.المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر. 1985.

114-خوجة حمدان بن عثمان: المرآة، تقديم وتعريب محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.

115-ابن خلدون عبد الرحمن:ت(808هـ-1405م) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج6،ج7، ط1، 1992.

116-ابن خلدون يحي، ت(780هـ/1378م): بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الوادي، تحقيق عبد الحميد حاجيات،المكتبة الوطنية، الجزائر، ج1، 1986.

117-ابن خلكان شمس الدين أحمد بن محمد، ت(681هـ/1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت ،ج1 ، ج8. د ت.

118-الشارف القاضي حشلاف: سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، المطبعة التونسية، تونس، 1929.

المراجع باللغة العربية:

119-بوعزيز يحي: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، د ط، 1995.

120-// // ، الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ج2، ط 1999.

121-//   //   ، علاقات الجزائر الخارجية مع دول ومماليك أوربا 1500-1830م،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،(د ت).

122-//   //   ، الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1999.

123-بوعناني مختار: مؤلفات أبو راس الناصر المعسكري، أستاذ بقسم اللغة العربية و آدابها، جامعة وهران، 2001.

124-بركات مصطفى، الألقاب والوظائف العثمانية، دار غريب للباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، ط2000.

125-جوليان شارل أندري: الجزائر بين الماضي والحاضر،ترجمة اسطنبولي رابح، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

126-الجزائري محمد بن عبد القادر: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، تعليق ممدوح حقي، دار اليقظة العربية، بيروت، ط2، 1964.

127-جلول جيلالي، معسكر رجال وتاريخ، منشورات دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، 2006.

128-هلال عمار، العلماء الجزائريون في البلدان العربية إسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين(3هـ/14م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1975.

129-وليام سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر، تعليق عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

130-الزركلي: خير الدين بن محمود الدمشقي، كتاب الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، بيروت، ج6، ط4، 1979.

131-حاج صادق محمد، مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، ط1989.

132-الحفناوي: أبو القاسم محمد، تعريف الخلف برجال السلف،مؤسسة الرسالة، المكتبة العتيقة، بيروت لبنان، ط2، 1985.

133-طيبي محمد: الجزائر عشية الاحتلال، جامعة وهران السانيا، وهران، 1992.

134-المستغانمي عبد القادر بن عيسى: مستغانم وأحوازها عبر العصور، تاريخيا وثقافيا وفنيا، المطبعة العلاوية، مستغانم، ط1،1991.

135-نور الدين عبد القادر:صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها الى انتهاء العهد التركي، نشر كلية الآداب الجزائرية، مطبعة البعث، قسنطينة، 1967.

136-سابق السيد: فقه السنة، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان،ج3، ط13،1997.

137-السنوسي مصطفى: كتاب المقتبسات النيرة في ذكر دور الزوايا ورجالاتها العلمية عبر العصور والأيام، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.

138-سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ج2، ط1981.

139-// // أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ج1، ط2، 1981.

140-سعيدوني ناصر الدين: الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،1986.

141-// //، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1 1999.

142-//   //، النظام المالي للجزائر في الفترة (1800-1830م) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، ط1979.

143-//   //، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية1800-1830،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، د ط ،1982.

144-سيمون بفايفر: مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تقديم وتعريب أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، 1974.

145-عبد الغني يسرى عبد الله: معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1991.

146-عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 1986.

147-عمالك أحمد بن محمد، جوانب من تاريخ الزاوية الناصرية، من النشأة إلى وفاة الشيخ محمد الحفني(1052-1325هـ/1642-1907م)، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2006.ج1، ج2، ج3.

148-فارس محمد خير: تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي، مطابع ألف باء الأديب، دمشق، 1969.

149-الصغير عبد المجيد، تجليات الفكر المغربي، دراسات ومراجعات نقدية في تاريخ الفلسفة والتصوف بالمغرب(المكتبة الفلسفية)، شركة اللنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000.

150-// //، إشكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرنين 19/18م، أحمد بن عجيبة ومحمد الحراق، دار الآفاق الجديدة، المغرب، ط2، 1994.

151-الخطيب محمد عجاج: لمحات في المكتبة والبحث والمصادر،مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط19، 2000.

152-الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، المطبعة الجديدة، فاس، ج1، 1347هـ.

153-مريوش أحمد، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954. الجزائر.

154-نويهض عادل: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى منتصف القرن العشرين، منشورات المكتب التجاري لطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،ط1971.

155-شاهدي الحسن، التصوف والأدب الصوفي، مطبعة الأمنية، الرباط، 2006.

الموسوعات والمعاجم:

156-إبراهيم زكي خورشيد: دائرة المعارف الإسلامية، دائرة الشعب، القاهرة، مصر، ط2، 1996.

157-الحموي أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، ت(626هـ/1228م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ج3،ج4،ج5.

158-الحميري محمد بن عبد المنعم :الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي مع فهارس شاملة، تحقيق إحسان عباس، مكتبة بيروت، لبنان، ط2،1984.

159-الموسوعة العربية الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، العربية السعودية، ط2، 1999.

160-محمد سليمان الطيب: موسوعة القبائل العربية،بحوث ميدانية وتاريخية، دار الفكر العربي،مصر، ط2، 1997.

161-ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي البصري،ت(711هـ/1311م)، لسان العرب، دار الفكر، بيروت، لبنان، ج1. 1992.

المراجع باللغة الفرنسية:

162- Addi La houari : la région ouest d'Oran, Institut des sciences sociales, Oran 1947.

163- Albertine (E) Marsais (G) : l'Afrique du Nord française dans l'histoire, e.d, Archat, Paris 1937.

164- Aramburu Don-joseph de :Oran et l'Ouest Algérien au 18 eme Sièle, Présentation et traduction de :Korso et Epalza, Alger, B.N, 1978.

165- // // la conquête de l'Algérie en initiation à L'Algérie, paris 1957.

166- // // le problème Kouloughli dans la régence d'Alger, ROM, M, N° spéciale 1970.

167- Bouabba Yamilé : Les turcs au Maghreb centrale du 16eme au 19eme, siècle, s.n.e.d, Alger, Avril, 1972.

168- Boyer. Piere, la vie quotidienne à L'Algérie à la vielle de l'intervention française.Hachette, Paris, 1963.

169- Berbugger. (A): un mémoire sur la piste en Algérie depuis 1552 jusqu' en 1819. Inexploitation scientifique de l'Algérie, paris improyale 1847.

170- Blochet .Catalague des manuscrits arabes des voua elles question 1884-1924, Edition Leroux, Paris, 1925.

171- // // Le baron deslane. Catalogue des manuscrits arabes, impr. matwiale, Paris1883-1895.

172- Camille Kehl, Oran et l’Oranie avant l’occupation française, des papeteries et imprimeries, L. Fouqué, Oran 1942.

173- Demay : la rousse, grand Atlas, Nedila Fortumate France 1997.

174- De Grammont, H. Histoire d’Alger sous la domination turque 1515-1830, Paris. 1887.

175- La Croix, n, Les Derkaoua d'hier et d'aujourd'hui, Alger, 1902.

176- Lespes (René): Oran, Etude de géographie et d’historie urbaine, Collection du centenaire de l’Algérié, Paris (1830-1930).

177- Louis moulleseaux, Histoire de l’Algérie, Imprimeries Oberthur, Paris 1962.

178- Mahfoud kadache, l'Algérie durant la période de Ottamene, Office de publication universitaire, Alger, Année 1998.

179- M.J.M.Bourget. L'Algérie jusqu'a la dénétration saharienne. Publications dico mite nationale métropolition du centenaire de l'Algérie, Alger.

180- Nettement (A) : Histoire de la conquête d'Alger. J le coffre, paris 1856.

181- Nouchi André, Enquete sue le niveau de vie des populations rurales jusqu'à 1919, C.M.M.C, Paris, 1961.

182- Penn Ella juan, le transfert des moriscos espagnols en Afrique du Nord en étude sur les moriscos andalous en Tunisie, publiées par M de Palaza et R petit Tunis 1973.

183- Peyssonnel et des fontaines, Relation d'Un voyage dans les Régences de tunis et dAlger, Paris, gide, 1838.

184- Shaw. Dr, Voyage dans la régence d'Alger, traduit de l'englais par J.Mac. Carthy, T2, Paris 1838.

185- Rozet (M.P) voyage dans la régence d'Alger ou description du pays occupé par l'armé française en Afrique, T2, paris 1833.

186- Raymond, André, Grandes Villes arabes à l'époque Ottomane. Edition sindbad, Paris, 1985.

187- René Basset, Fastes chronologiques de la ville d'Oran, Bulletin de la société de géographie et d'archéologie d'Oran, 1892.

188- Rinn, Louis : Carte du Royaume d'Alger sous le dernier Dey, in, Revue Africaine, T43, 1899.

189- // //, Marabouts et khouan, étude su l'islam en Algérie, Adolphe Jourdan, Libraire-éditeur, Alger, 1884.

المجلات باللغة العربية:

190-عمر آفا، " الخلوة في تاريخ الفكر: تساؤل في المفهوم، الطريقة الدرقاوية بسوس نموذجا"، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، مطبعة الدار البيضاء، المغرب، ط2011، ع31.

191-أبو راس محمد بن أحمد الراشدي، فصول من كتاب عجائب الأسفار"، جريدة المبشر، مطبعة سيربوتانا وشركائه، الجزائر، عدد جانفي وديسمبر 1880-1881.

192-بوعزيز يحي، الإنتاج الفكري والأدبي للشيخ أبي راس الناصر المعسكري، المجلة التاريخية المغربية، تونس، ط1989،ع53-54.

193-بونار رابح: " أبو راس المعسكري وتاريخ مدينة الجزائر"، مجلة الأصالة، الجزائر، ط1972 ،ع 8.

194-بناصر البعزاتي، "مآل علم الكلام عند ابن حزم والباجي"، أعمال ندوة الاتجاهات الكلامية في الغرب الاسلامي، تنسيق: علي الادريسي، سلسلة ندوات ومناظرات رقم:118، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.

195-الحجوي محمد، "الأهداف الدينية والعلمية لرحلة علماء الغرب الاسلامي إلى المشرق"، مجلة المناهل، وزارة الثقافة، مطبعة دار المناهل، الرباط، المغرب، السنة30، ع85، نونبر2008.

196-المكاوي أحمد، " نزهة الأبصار، للعربي المشرفي- تعدد الافادات"، المجلة المغاربية للبحوث السياسية والدينية، كلية الآداب والعلوم الانسانية بالجديدة، جامعة شعيب الدكالي، مطبعة النجاح، الرباط، 1995، ع2.

197-سعد الله أبو القاسم: "مؤرخ جزائري معاصر للجبرتي أبو راس الناصري"، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، ط1974،ع12.

198-سلفاتور بونو: العلاقات بين الجزائر وإيطاليا خلال العهد التركي، بترجمة أبي قاسم بن تومي، مجلة الأصالة،ع7، ط1972.

199-سي يوسف محمد: "دراسة مخطوط عجائب الأسفار لأبي راس الناصر"، مجلة الدراسات التاريخية لمعهد التاريخ، جامعة الجزائر، ط1986، ع2.

200-سعيدوني ناصر الدين، "ثورة ابن الأحرش بين التمرد المحلي والانتفاضة الشعبية"، مجلة الثقافة، الجزائر، ع78، نوفمبر/ ديسمبر 1983.

201-// //، "الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي بالجزائر أثناء العهد التركي"، مجلة الثقافة، الجزائر، ع92، 1986.

202- عبد الحميد حاجيات،" الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان"، مجلة الأصالة،عدد، جويلية/أوت،ط1975.

203-العيد مسعود، مجلة سيرتا، تنشرها وزارة التعليم والبحث العلمي، قسنطينة، عدد3، ط 1980.

204-عثمان شبوب، "الحياة القافية في عهد محمد الكبير"، مجلة الثقافة تصدرها وزارة الثقافة الجزائر، ط 1982، ع71.

205-غالم محمد، " مسلم بن عبد القادر"، إنسانيات، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجية والعلوم الاجتماعية، وهران. سبتمبر/ ديسمبر 2000، ج3، عدد12.

206-الخداري محمد، " الدور السياسي للطريقة الدرقاوية في العلاقات بين المغرب والجزائر في بداية القرن التاسع عشر"، عدد خاص بالزاويا في المغرب، مجلة المناهل، مطبعة دار المناهل، الرباط، فبراير2007، ع81/80.

المجلات باللغة الفرنسية:

207- Mohammad Abou Rās al Nasrī. Voyages extraordinaires et nouvelles agréables, histoire de l'Afrique septentrionale, Traduit par M. A. Arnaud, Imprimeur – Libraire De La Cademie, Revue Africaine, Alger_Anneé : 1878, 1879,1880, 1881, 1881, 1882,1883

208- B. selvatour , la domination turc en algerie, , Inventaire des registres arabes et turcs d'Alger, Revue d'histoire maghrébine Tunis année 1974, N° 02.

209- Boudin, Marcel, Notes et questions sur sidi Ahmed ben Yousef, Revue Africaine, Alger. n :66, Annee1925.

210- // //: notice historique sur les arabes soumis aux espagnols pendant leur occupation d'Oran, par abd el Kadar el mecherfi. Revue Africaine. Anneé 1924, O.P.U.Alger.N°:65.

211- Delpech. Abrien , résumé historique sur le soulèvement des Darkaoua de la Provence d'Oran , daprée la chronique del mosselem, Ben Mohamed, bach d'after du Bey hassen de 1800 à 1813, Revue Africaine 1874.

212- De la primordiale F.E le commerce de la navigation de l'Afrique avant la conquête française, In revue Algérienne et coloniale Année 1866.

213- El Bouabdelli El Mahdi, Dalil El Hairen ou Anis Essahran Fi Akhbar Madinati Ouahran, Bulletin de la société de Géographie et d'Archéologie d'Oran, Oran, n-01, 1975,T1.

214- G.Faure beget, notice sur mohammed abou rass en-nassiri, Journal Asiatique, Edition paris septembre, Octobre 1899.

215- Melki Nordine, Archives Historique National de Madrid le tremblement de tour d'Oran 1790 et tentatives du bey de Mascara pour libération cette ville Alger , Revue Africaine 1984 N° 10-11.

216- // // , le tremblement de terrer d'Oran d'Octobre 1790 et les tentatives du bey de Mascara pour la libération de cette ville d'aprés des Archives Nationales Historiques de Madrid ". in actes de

séminaire international sur les sources espagnols de l'histoire algérienne, Oran 20-22 avril 1981. N°: 10-11, pp296-307.

217- Marcel, Emerit, Mimoires de thédenat natif d'Uzés en langedoc écrites à zurich en 1785. In Revue Africainne, 1948.

218- Moulay belhamissi; Les turcs en algerie journal les travaux société, Historique algériennes, Alger, Revue Africaine 1887.

الأطروحات والرسائل الجامعية:

219- **بن جبور محمد**، صورة الجزائر والجزائريين من خلال الكتابات الفرنسية في القرنين17/18م، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2002/2003م.

220- **بوجلال قدور**، العلم والعلماء في بايلك الغرب (1711-1930م) معسكر ومازونة نموذجا، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة معسكر، 2008/2009م.

221- **بوكفة يوسف**، مدرسة مازونة الفقهية، النهضة والسقوط، مذكرة ماجستير ، قسم علم الاجتماع، جامعة وهران، 2002/2003م.

222-**بومدين أولاجي**، قراءة تحليلية في الواقع الاجتماعي للطرق الصوفية ودورها في حركة التواصل(الجزائر العثمانية)، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة سيدي بلعباس، 2011/2010م.

223-**بوسعيد فاطمة الزهراء**، دور زوايا الجزائر العثمانية في تعزيز الإسلام والحفاظ على اللغة العربية" الطريقة التجانية والدرقاوية نموذجا"، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة سيدي بلعباس، 2011/2010م.

224-**بلبروات بن عتو**، الباي محم الكبير ومشروعه الحضاري(1779-1797م)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2002/2001م.

225-**بعارسية صباح**، حركة التصوف في الجزائر خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006/2005م.

226-**بونقاب مختار**، تاريخ الطريقة الرقاوية في الجزائر، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2003/2002م.

227-**بوشنافي محمد**، القضاء والقضاة في الجزائر في العهد العثماني (16-19م)، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة سيدي بلعباس، 2004/2003م.

228-**بن حيدة يوسف**، الطرق الصوفية في الجزائر وبلاد المغرب ودورها في نشر الوعي والاخاء والتضامن الاجتماعي، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة سيدي بلعباس، 2011/2010م.

229-**حمدادو بن عمر**، أبو راس الناصر المعسكري وكتاباته التاريخية، مذكرة ماجستير، قسم الحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2003/2002م.

230-**لزغم فوزية**، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1518-1830م، مذكرة ماجستير، قسم الحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2005/2004م.

231-**صحرواي عبد القادر**، التصوف والمتصوفة في الجزائر العثمانية ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة سدي بلعباس، 2004/2003م.

232-**شارف رقية**، الكتابات التاريخية في نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر للهجرة، دراسة تحليلية نقدية، رسالة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الجزائر، 2000/1999م.

233-**شرف عبد الحق**، العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي ت1895م، حياته وآثاره، مذكرة ماجستير، قسم الحضارة الاسلامية، جامعة وهران 2007/2006م.

234-**مكحلي محمد**، ثورات رجال الزوايا والطرقية في الجزائر خلال العهد العثماني 1707-1827م، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة سدي بلعباس، 2008/2009م.

235-**المعسكري أبو راس الناصر**، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، دراسة وتحقيق، بوركبة محمد، أطروحة دكتوراه، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2009/2010.

236-**مرتاض عبد الحيم**، الطرق الصوفية في الجزائر، أصولها وتطورها حتى سنة 1939م، رسالة ماجستير، معهد الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 1998/1999م.

237-**المشرفي العربي**، أقوال المطاعين في الطعن والطواعين، دراسة وتحقيق: محمد الأمين البزاز، دكتوراه في التاريخ، شعبة التاريخ، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد الخامس أكدال، الرباط، 2003/2004م.

238-**طالبي عطاء الله**، علاقة الحكام الأتراك برجال الدين والعلماء في الجزائر 1656- 1830، بحث في منهجية الدراسات المعمقة، معهد العلوم الاجتماعية، دائرة الدراسات التاريخية، الجزائر، 1980.

الفهارس العلمية

- فهرس الطرق الصوفية والزوايا

- فهرس الأعلام

- فهرس فهرس الأماكن والبلدان

- فهرس الموضوعات

فهرس الطرق الصوفية والزوايا

اسم الطريقة الصوفية	الصفحة
الطريقة التيجانية	40، 192، 193، 195، 196، 197
الطريقة الدرقاوية	83،196،197،200
الطريقة الزروقية	183
طريقة ابن سبعين	138

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الموضوعات